

جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب - ظهر المهرزاز
معهد الدراسات المصطلحية - فاس -



جامعة مولاي إسماعيل
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
مكناس



قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية

الجزء الثاني

إعداد :

الأستاذ محمد الوادي

الأستاذ عز الدين البوشيخي

سلسلة الندوات

12

2000

جامعة مولي إسماعيل
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
مكناس

اعمال ندوة

قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية

مكناس في 9-10-11 مارس 2000

المدير:

الدكتور مصطفى بن الشيخ

نائب المدير:

الدكتور محمد إنفي

تصنيف:

عبد العالي حبيب

م. هاشم بكري

طبع:

حسنة الفيدياني - نعيمة بوتيدارت

سعيدة بخشوش - عتيقة بالخالد

رقم الإيداع القانوني :

ت.د.م.د : 0851-2086

العنوان :

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني احمد، ص.ب 4009، مكناس، المغرب.

الهاتف : 53-69-68 / 53-70-12

الفاكس : 05537252

البريد الإلكتروني : flmek @ yahoo. fr.

اعمال ندوة

قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية

مكناس في 9-10-11 مارس 2000

اللجنة المنظمة :

كلية الآداب و العلوم الإنسانية - مكناس -

عز الدين البوشيخي

٨ سعيد الأيوبي

محمد الوادي

أحمد مخوخ

علي فلوس

معهد الدراسات المصطلحية - فاس -

الشاهد البوشيخي

علي يوعلا

عبد الرحيم الرحموني

عبد الناصر السباعي

الحسين كنوان

فهرس

المور الثالث : قضايا ترجمة المصطلح الأجنبي

- 5 ----- 1- قضايا ترجمة المصطلح الأجنبي في الأدب ونقده
- مشاكل ترجمة المصطلح النقدي الحديث
- 7 ----- ذ. عبد الحميد العبدوني (كلية الآداب - مكناس)
- من قضايا ترجمة المصطلح الأدبي
- 21 ----- ذ. عبد الرحيم الرحومني (كلية الآداب - فاس)
- 37 ----- 2- قضايا ترجمة المصطلح الأجنبي في العلوم الإنسانية
- أهمية البعدين الثقافي والاجتماعي في عملية ترجمة المصطلح الأجنبي
- 39 ----- ذ. عبد الرزاق لمسلك (كلية الآداب - ظهر المهرز - فاس)
- مشكلات ترجمة المصطلح في علم النفس
- 43 ----- ذ. عبد الناصر السباعي (كلية الآداب - ظهر المهرز - فاس)
- 55 ----- 3- قضايا عامة في ترجمة المصطلح الأجنبي
- من ترجمة المصطلح النقدي
- 57 ----- ذ. محمد بوجهدي (كلية الآداب - فاس ظهر المهرز)
- ترجمة المصطلح الأجنبي بين التروع الحرفي والتأصيل المعرفي
- 65 ----- ذ. بنعيسى أزييط (كلية الآداب - مكناس)
- ترجمة المصطلح الأجنبي : مشاكل وحلول
- 87 ----- ذ. عبد العزيز العماري (كلية الآداب - مكناس)
- المصطلح الغربي في النقد المغربي بين التحديد والتوظيف
- 101 ----- ذ. مبارك أزارا (كلية الآداب - أكادير)
- الترجمة والاصطلاح
- 119 ----- ذ. مصطفى سيناوي (كلية الآداب - مكناس)

- 125 --- محور الرابع : قضايا بناء المعاجم الاصطلاحية وخصوصية القطاع المعرفي ---
- 125 ----- 1- قضايا بناء المعاجم الاصطلاحية -----
- ثلاث قضايا في بناء معجم مصطلحات نقد الشعر العربي
- 127 ----- ذ. عبد الرزاق جعنيذ (كلية الآداب - الجديدة) -----
- البنية المعرفية للمصطلح وتمثيلها في قواعد المعطيات
- 143 --- ذ. خالد الاشهب وأحمد بريسول (معهد الدراسات والأبحاث للتعريب) ---
- المعجم العربي لعلم النفس المرضي: دراسة نقدية
- 167 ----- ذ. أحمد المطيلي (كلية الآداب - تطوان) -----
- الحاجة إلى معجم لمصطلحات التاريخ الاقتصادي
- 183 ----- ذ. إبراهيم القادري بوتشيش (كلية الآداب - مكناس) -----
- 191 ----- 2- قضايا المصطلح وخصوصية القطاع المعرفي -----
- اللغة العربية وإشكالية وضع المصطلح
- 193 ----- ذ. ابراهيم الخطابي (معهد الدراسات والأبحاث للتعريب - الرباط) -----
- مصطلحات علوم الشعر : الوزن مكونا ايقاعيا
- 207 ----- ذ. ادريس الناقوري (كلية الآداب - عين الشق - الدار البيضاء) -----
- استعمال مصطلحي "المعجم" والقاموس" في العربية المعاصرة
- 219 ----- ذ. علي القاسمي (الأمانة العامة لجامعات العالم الإسلامي - الرباط) -----
- ملاحظات أولية عن المصطلح في علم الاجتماع
- 239 ----- ذ. محمد العربي ولد الخليفة (المجمع الجزائري للغة العربية الجزائر) -----
- 253 ----- محور الخامس : المصطلح والتقنيات المعلوماتية الحديثة -----
- المصطلح والتقنيات المعلوماتية الحديثة
- 255 --- ذ. عبد الله بن سليمان القفاري (مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية - الرياض) ---

المصطلح بين التوليد والنسقية)

- 269 ----- ذ. عبد الرزاق تورابي (معهد الدراسات والأبحاث للتعريب -الرباط)
- نحو معجم مفاهيمي للمصطلحات التكنولوجية الحديثة
- 285 ----- ذ. بلقاسم اليوبي (كلية الآداب -مكناس)
- قضية الترجمة الآلية للمصطلح الأجنبي
- 301 ----- ذ. العياشي السنوني (كلية الآداب-ظهر المهرز -مخاس

المحور الثالث

قضايا ترجمة المصطلح الأجنبي

1

قضايا ترجمة المصطلح الأجنبي في الأدب ونقده

مشاكل ترجمة المصطلح النقدي الحديث

ذ. عبد الحميد العبدوني

كلية الآداب - مكناس -

يجد المترجمون صعوبة كبيرة في ترجمة النصوص النقدية لانتظامها داخل شبكة اصطلاحية شديدة التعقيد. إذ أن أي خطأ في ترجمة مصطلح معين قد يؤدي إلى تقويض النظرية النقدية أو تشويهها. ولأن المصطلح في الأصل يقوم على مجموعة من العناصر المتداخلة والمتشابكة فإن مشاكل ترجمته متعددة ومختلفة يعيها المترجمون باستمرار ويعملون على تجاوزها من هذه المشاكل ارتباط المصطلح الأصل بثقافة مغايرة لها جذورها وطقوسها المعلومة، مما يقتضي حتما ممارسة التأويل الذي يجر النص إلى متاهات تبعده عن حقيقته وكنهه... إضافة إلى ارتباط المصطلح بفلسفة معينة، وانغراسه داخل تخصص من الدقة. يمكن لدرجة يصعب معها إيجاد مقابل له داخل اللغات الأخرى، إما لانعدام التخصص أو لعدم ذبوعه وانتشاره، أو عدم توافقه مع طبيعة الثقافة والقيم ونوعية التفكير السائد. إذ أضفنا مشکل المترجم للغة المصدر أو المستقبلية فإن الأمر سيصير أخطر، علما أن المترجم ينبغي أن يكون على معرفة تامة باللغة وأن يكون من ذوي التخصص في المجال الذي يرغب الترجمة فيه.

إن بعض هذه المشاكل، أو هذه المشاكل كلها هي التي سببت اضطراب المصطلح النقدي وأضافت أزمة أخرى إلى الأزمات التي يعاني منها المصطلح على مستوى الوضع والمفهوم وأحدثت انحرافا آخر " في مسار النقد الذي ينشر قضية اختلاف الترجمات، اختلاف الاجتهاد في الترجمات. في المغرب يترجمون بطريقة، وكذلك في مصر يترجمون المصطلح الواحد بثلاثة مصطلحات أو أكثر وربما داخل البلد الواحد، بل بالتأكيد هناك اجتهادات أكثر" (1). وفي الحق، إن النقاد واعون بهذه الأزمة وهم لا يتورعون في التصريح بما كلما أتاحت لهم المناسبة إذ تجدهم دائما يعترفون بشده المعاناة التي يصادفونها أثناء ترجمة

المصطلح النقدي إلى اللغة العربية ويضطرون أحيانا إلى إبقائه على أصله لعجزهم عن إيجاد مقابل له، وأحيانا يلحظون إلى وضع وتوليد مصطلحات جديدة، تقول سامية أسعد: " الواقع أننا كترجمين عندما نتعامل مع هذه النصوص، نجد أنفسنا أمام عقبة أساسية هي اللغة؛ ونضطر إلى توجيه كل اهتمامنا إلى خلق مصطلحات ومشتقات بعضها مفهوم وبعضها نقله إلى العربية غير متيسر وهذه العملية تجعل نقل الكتابات النقدية الغربية غير كاملة إلا لمن استطاع الاطلاع عليها في لغتها الأصلية، وهنا نجد أن الناقد الذي يتمكن من القراءة عن البنيوية، أو قراءة لوسيان غولدمان أوبارت مثلا، في النص الأصلي هذا الناقد يجد صعوبة في تطبيق هذه المناهج على الأدب العربي، إذ ما طبقها فإنه لا بد أن يفرد حيزا في نقده للذاتية وللترعة التأثيرية " (2).

إن إفساح المجال للذاتية والتأثيرية على حد تعبير سامية أسعد نتج عنه الاختلاف في تسمية المصطلحات الواردة، ونتجت عنه فوضى مصطلحية أربكت، وتربك، القارئ المتخصص أحيانا فما بالك بالقارئ العادي الذي يجهل اللغات الأخرى والذي بسبب ذلك ضاعت منه العديد من النظريات واستوعب بعضها استيعابا مشوها لأنه أطلع عليها مترجمة، والنصوص المترجمة في نظر يوسف بكار تظل المصادر الأساسية التي يتعرف من خلالها عدد كبير من الكتاب والنقاد العرب الذين لا يقرؤون بغير اللغة العربية على المفاهيم، والمصطلحات الإجرائية والرؤية المتعددة في النظرية الأدبية المعاصرة، فتتشكل حصيلة كل منهم النظرية من هذه المادة المعتربة عن أصلها، وترتفع الحواجز الشاهقة بينهم وبين ما يقرؤون من رطانة ويصبح استعمالهم لها مريضا بالرطانة نفسها التي تغلب على الترجمات " (3).

ومن الأمور التي تزيد في تعقيد ترجمة المصطلح النقدي عدم اطلاع المترجمين العرب، النقاد خاصة على كتابات بعضهم البعض الشيء الذي نتج عنه وجود عشرات المصطلحات لمفهوم واحد، وترتب عنه أيضا خلط وبلبلة في ذهن وفكر القارئ. ورغم أننا نجد من يضع ثبنا للمصطلحات في آخر كتابه ليسهل على القارئ فهم ما استغلق من معاني الكتاب بإمداده بمفاتيح مصطلحية، فإن تلك المفاتيح " تشكل في نهاية المطاف لغة ثالثة بين

اللغة المنقول إليها فتكون إذن أمام نصف ترجمة في أحسن الأحوال، وأمام لغة غير مفهومة في الغالب الأعم، ولقد وصل الأمر إحدى الحالات إلى تسمية ثبت المصطلحات المستمدة من كتاب فلادمير بروب عن الحكاية الشعبية " ثبت المصطلح اللساني " مع أن الرجل لا يهتم في كتابه هذا باللسانيات أي اهتمام يذكر " (4). وقد زاد من صعوبة الترجمة واضطراب المصطلحات أيضا في مجال النظريات النقدية، قلة المعاجم الخاصة وندرتها وعدم الإجماع عليها (5).

إن هذا الوضع يستدعي في الحقيقة تضافر الجهود لإيجاد حل سريع وناجع لأن النظريات النقدية تتناسل يوما بعد آخر والحاجة إلى ترجمتها أصبحت مسألة ضرورية لمواكبة ما يجد في الساحة العالمية، وخلق حوار بين ثقافتنا عامة ونقودنا العربية خاصة وثقافات وآداب الغير تفاديا للاضطراب المصطلحي الذي صار يطبع الساحة النقدية .

الاضطراب المصطلحي :

نعني بالاضطراب المصطلحي الاختلاف الحاصل في التسميات المصطلحية بسبب غياب التنسيق بين المترجمين بصفة عامة والمشتغلين في ميدان النقد الأدبي خاصة وقبل أن نعرض بعض تجليات هذا الاختلاف، نريد أن نقف عند بعض مواقف النقاد منه .

من النقاد من يعتبر ظاهرة الاختلاف مسألة طبيعية إذ " تطل المفاهيم الثقافية والعلمية تبعاً مفاهيم نسبية التحديد وهي في سعيها إلى الانضباط والتطبيق تنير الاختلاف أكثر مما تنير الاتفاق " (6). ومنهم من يعتبرها تجلياً للكسل، وضعف ملكة الخلق والإبداع فالنقاد صنفان : صنف يميل إلى العمومية وصنف يتهافت على مستودع النقد الغربي يأخذ منه من غير تدقيق أو إعمال نظر " وقل أن نجد نمطاً ثالثاً ممن يجنحون إلى الخلق وامتلاك المصطلح الخاص " (7). أحد المهتمين بالمصطلح نظر في المصطلح النقدي الحديث فوجد أن الخلل فيه كامن في إهمال النقاد الجوانب العلمية للمصطلحات وتركيزهم على المسائل اللغوية والإيديولوجية إما عن وعي، أي عن قصد وسبق إصرار وإما بسبب جهل الجذور الاستمولوجية للمصطلح أو عدم قدرة استيعاب وتمثل هذه الجذور، ويتمثل بالحيف الذي أصاب مصطلح الواقعية بحيث تحول

من مصطلح فلسفي إلى مصطلح لغوي شديد الابتدال (8). ويذهب باحث آخر إلى أن تداخل الاختصاصات والعلوم بقدر ما أفاد المصطلح العلمي بقدر ما كان آفة وويلا عليه إذ نقله من الوضوح إلى الغموض وفي نظره " إن انتقال المصطلحات من مجال إلى مجال كثيرا ما يثير الالتباس إن لم يصرف أصلا عن الخصوصية النوعية للمجال المستقبل" (9)، وهو ليس ضد استفادة النظريات من بعضها بعض إذ يعلم أن ذلك يزيد في إثرائها ولكنه يشترط ما تشرطه باحثة مصطلحية أخرى " ألا يحدث هذا الانتقال بلبله واضطرابا في الأنساق الداخلية والتماسك المفهومي للشبكة المفاهيمية من حيث تقطيعها وتسلسلها التراتبي" (10). أحد النقاد يربط المسألة بانتقال النقاد من منهج إلى منهج جريا وراء الموضة، ورغبة في مسايرة التجديد، إلا أن هذا التحول السريع في نظره يسئ إلى المصطلح لأن الناقد قبل أن يتمثل مصطلحا معينا ويتمكن من تطبيقه يفاجئه منهج جديد فتفوته فرصة تأصيل السابق واللاحق بالحاضر فيفشل في بناء هوية واضحة متفردة ومستقلة" (11). ويرى ناقد آخر أن المسألة لا تعدو أحيانا أن تكون خلافا بين أصحاب النقد المأثور والمجددين إذ يعجزون عن استيعاب المفاهيم الجديدة وفهم مصطلحاتها، فتتحول عندهم النصوص إلى الغاز وطلاسم، فتثور حفيظتهم ويشهرون أقلامهم رافضين مستنكرين مثل هذا النقد، ويتضاعف غضبهم ويتزايد إذا أثر الناقد استعمال مصطلحات معربة كالمرفولوجيا والانطولوجيا والبويطيقا والسيميولوجيا والهرمونيوطيقا (12) وغيرها من المصطلحات التي لا يفهمها إلا من له إلمام واسع باللغات الأجنبية وبالفلسفات التي نشأت ونمت فيها هذه المصطلحات. أما إذا توسل الناقد بآليتي النحت والتركيب فإن الأمر سيزيد تعقيدا وسيصير وضع الناقد شبيها بوضع من صب الزيت في النار يريد إطفاءها ناقد آخر ربط المسألة بتعصب النقاد المترجمين وتحيزهم الذي يصل أحيانا حد الأنانية، إذ حين يصدر عن الواحد منهم أو فئة أو طائفة على حد تعبيره مصطلح معين يرفض (يرفضون) الانصراف عنه واستبداله بمصطلح آخر يتم الاتفاق حوله في جهة أخرى ولو خالف ما وضعوه القياس وانزاح عن الذوق، ويعترف أن هذه الظاهرة قديمة، ولكنها الآن تتحلى بشكل أقوى وأظهر وهي تحجي على المصطلح وتقذف به

في بحر الغموض وتعمل عملها أيضا في القارئ إذ تغرقه في بحر الحيرة والتردد لأنه يجد نفسه أمام ركام هائل من المصطلحات تفترق افتراقا وتختلف اختلافا⁽¹³⁾.

إن هذه الظاهرة ليست مقتصرة على النقد العربي وحده بل طالت نقودا عالمية، فهذا انريك اندرسون على سبيل المثال يثيرها في كتابه " مناهج النقد الأدبي " مرجعا أسبابها إلى توزع ذات الناقد وانشطارها شطرين بين استعمال المصطلحات القديمة والخوف من عجزها عن نقل المحتوى، وبين ترجمة مصطلحات وردت في أعمال نقاد مشهورين قد يؤدي إلى السقوط في فخ التحذلق والفذلكة اللغوية إضافة إلى " أن هذه المصطلحات في الفرنسية أو الإنجليزية أو الألمانية أو الإيطالية أو الروسية تعمل داخل نظام خاص بعيدا عن نظامنا أي نظامنا الاسباني- دون أن نحسب أنها تتطلب نظرة على الواقع، ومفاهيم العلم، ومواقف إزاء الحياة وكلها لا تتصل بما في وجودنا القومي " (14)، ويختم كلامه بكثير من الحسرة " ليس هناك حل إذن " (15) " إننا لسنا ضد التوليد أو الترجمة أو حتى التعريب أو النحت هاجسنا المشترك ورغبتنا الوحيدة، أن يكون عندنا مصطلح قوي البناء واضح الدلالة، عميق الجذور يضمن تماسك النظرية وانسجامها لا غير.

بعض مظاهر الاختلاف في ترجمة المصطلحات النقدية :

اختلف النقاد العرب في ترجمة المصطلح الغربي " vers libres "، فإن بدا أنهم اتفقوا على مصطلح " الشعر الحر " فالحق أنهم لم " يكونوا على اقتناع بهذا المصطلح وراحوا يجتهدون بشكل فردي في طرح البدائل، والتزم بعضهم باستعمال مصطلحه، وأغلبهم

يخالف بين مصطلح وآخر ليزيد من إرباك القارئ وحيرته، حتى وصلت هذه المصطلحات المستخدمة لهذا الشكل الشعري إلى أكثر من عشر مصطلحات " (16). . وهكذا وجدنا أنفسنا أمام مسميات عديدة لمسمى واحد، (الشعر الحر، الشعر المعاصر، الشعر الحديث،). من المصطلحات الأخرى التي شابهها الاضطراب مصطلح " Romantisme " الذي يرد عندنا باسم الرومنطيقية، والرومنطكية والرومنسية (معربا)، وأحيانا نصادفه محمولا

في " الإبداعية " و " الابتداعية " (17). وما وقع لمصطلح "Romantisme" حصل لمصطلح "structuralisme" إذ ترجم بالبنائية والبنوية، والبنوية، والغريب أن ناقدة مصرية ترجمته " بالتكوينية " (18) علما أن لفظة التكوينية بالعربية يقابلها " gntique " باللغة الفرنسية.

ومن المصطلحات التي هيمنت في العقدين الأخيرين مصطلح (Hermneutique) يرد معربا (هرمنتيك) أو (هرمنطيق) ويترجم " بالتأويل " وأحيانا " بالتفسير " سعيد علوش. مثلا اكتفى بتعريبه وورد عنده بصيغته الأصلية مكتوبا بحروف عربية على غير أوزان العرب (19). وأحصى عبد الجليل ناظم ترجمات مصطلح (Potique) فوجدها من الكثرة حيث يعجز الإنسان عن حصرها (الشعرية، الإنشائية، الشعرية، علم الأدب، الفن الإبداعي، فن الشعر، نظرية الشعر) (20). أما ما حدث لمصطلح (linguistique) فحدث ولا حرج إذ تجده باسم هو " علم اللسان " وتصادفه باسم آخر هو "علم اللغة" وتلقاه باسم مخالف هو الألسنية، ورغم اتفاق المختصين في هذا العلم في الدورة الرابعة للسانيات سنة 1978 على استعمال مصطلح واحد هو "اللسانيات" والتخلي عن غيره من المصطلحات تفاديا للالتباس، ما زالت الأسماء متعددة ومختلفة. وإذا غصت في منظومة هذا العلم المصطلحية أعني اللسانيات فإنك ستصاب بدوار ويذكر باحث من أهل الاختصاص حدثا طريفا يحتزل أزمة المصطلح اللساني خاصة والمصطلح النقدي عامة، والحدث يرتبط بالندوة التي عقدتها منظمة اليونسكو بالرباط سنة 1987 حول " تطور اللسانيات في البلدان العربية "، " حيث إن كثيرا من المشاركين في هذه الندوة لم يتمكنوا من متابعة بعض البحوث اللسانية لاسيما بحوث المغاربة، وللإشارة فإن المشاركين في هذه الندوة يعدون من صفوة اللغويين العرب المحدثين وأكثرهم تأليفا، كان الواحد منهم يسأل عن مفهوم ترميز س وكان الآخر يسأل عن معنى شجرة شومسكي ومبدأ التحكم والمقولات الفارغة وما شابه ذلك ومعروف أن مثل هذه المفاهيم أصبحت جزءا من الثقافة اللسانية منذ ما يزيد عن عشرين سنة " (21) وأعتقد أن سبب عدم الفهم لا يعود لقصور في الإدراك أو نقص في المعلومات، وهو التفسير الذي أعطاه مصطفى غلفان للمسألة، وإنما يعود أساسا إلى اختلاف التسميات إذ يحدث أن يكون

الدارس على علم ومعرفة واسعة بقضية معينة ولكنه يعجز عن مناقشتها ومطابقتها في جلسة علمية تروج فيها مصطلحات غريبة عنه .

ومن الاختلافات يمكن أن نذكر عدم اتفاق اللسانيين حول اسم واحد لـ "signe" إذ تترجم برمز، أو علامة، أو إشارة ودليل، وتترجم " phrase " بركن وركنية، وتركيبية وتكوينية وتركيب ومركب. ويوضع مقابلا لـ -discours - حديث وقول وخطاب وكلام، وهذا التعدد في التسميات يضر القارئ والمقروء من جهتين. الجهة الأولى تتعلق بالغموض، والجهة الثانية تمس مسألة المفهوم نفسه إذ أحيانا بل كثيرا ما يتم الانزياح عن المفهوم عن قصد أو عن جهل يقول الفاسي الفهري موضحا مفاهيم المصطلحات المذكورة : " فنحن نعلم أن sign يدخل في حقله symbol من جهة وكذلك signifié، وsignifier من نفس الأسرة الاشتقاقية وحين تحدث ديسوسير عن sign بين أنه يختلف جذريا عن symbol فالأول اعتباطي والثاني ليس كذلك لوجود نوع من العلاقة بين الدال والمدلول، في حين أن لا علاقة في الأول. فالأقرب إلى المقصود أن تكون symbol اشتق منها الفعل signifier والمدلول signifié والدلالة signification أما علامة فأقرب إلى (Mark) Marque) واما إشارة فتناسب démonstrative ومن نفس المنظور تفضل ترجمة phrase بمركب" (22)

وفي إطار الاختلافات التي عرفتها ساحة اللسانيات يمكن الإشارة أيضا إلى مصطلح بعضهم يطلق عليه الأصوات اللغوية وبعضهم علم الفونتيك رغم أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة اختار له علم الأصوات.

وكان نصيب مصطلحي smiologie و smantique في الاختلاف نفس نصيب المصطلحات الأخرى أو أكثر، ورد في كتاب أعمال معجم اللغة العربية بالقاهرة لمحمد رشاد الحمزاوي مصطلح smantique مرة مركبا من كلمتين وهو علم الدلالة ومرة أخرى معربا السيمنته ويرد عند نقاد آخرين باسم "علم المعاني" . أما مصطلح smiologie فيكفي أن نتصفح العدد الأخير من مجلة "علامات" التي يديرها الأستاذ سعيد بن كراد لنقف على مستوى الخلاف :

وفي النقد القصصي والروائي نجد الاختلاف حاضرا باستمرار لأنه أي النقد القصصي والروائي جزء من النقاد الأخرى يمنح من نفس المناهج، ويتغذى من النظريات التي ترد علينا من الغرب، ولأن هذا الغرب نفسه متعدد فلا بد أن تتعدد الترجمات في العراق ومصر والسودان ينهلون من الثقافة الإنجليزية وفي المغرب العربي والشام يشربون من معين الثقافة الفرنسية، ناهيك عن الاختلافات التي توحد في القطر العربي الواحد، والتي تتعدد باختلاف الأشخاص والانتماءات وبتنوع الأساليب " في كل قطر يجتهد النقاد اجتهادا فرديا لنقل المفاهيم الغربية فبعضهم ينقل وبعضهم يترجم وبعضهم يعرب ، وكل ناقد يختار الكلمات التي يحس هو أنها تحمل دلالات المصطلح الأصلي" (23) . والاختلاف في الإحساس هو الذي يعطينا مصطلحات شديدة الخصوصية والتفرد كترجمة عبد المالك مرتاض أخيرا المصطلح "destruction" بالتقويفية (24) مدعيا أن له جذورا في تراثنا العربي .

إن هذا الاختلاف الذي نعاني منه على مستوى ترجمة المصطلح يعكس التشتت الفكري والنظري، ويختزل تداخل الرؤى والتصورات في وطننا العربي، ولتجاوز هذه الوضعية نقترح ما يأتي :

ضرورة توفير معاجم متخصصة، يشرف علي تأليفها جماعة من العلماء، يشهد لهم بسعة العلم والمعرفة في مجال تخصصهم، يستشيرها المترجمون والنقاد أثناء كل ممارسة تعرض مفاهيم المصطلحات بإسهاب دون أن تغفل النظرية (النظريات) التي تتأطر داخلها، إذ الشائع حاليا أن أغلب المترجمين يعودون إلى معاجم لغوية لا تقترح المفهوم الحقيقي للمصطلح، يقول سعيد يقطين عن هذه الفئة من المترجمين: "يهمهم حل مشكلة" المصطلحات" التي تعترضه وهو يقوم بعملية الترجمة، فيقترح المقابلات بناء على نوع العمل الذي يزاوله، وتغدو المصطلحات بالنسبة إليه تماما كالمفردات اللغوية التي تبهم عليه ويستعصي عليه إدراكها، فيستعين عليها بما تسعفه به قواميس اللغة الأصلية أو القواميس المزدوجة (المنهل، المورد) ويجتهد في اقتراح المقابل المناسب، وهو بذلك يتوهم أنه يحل المشكل المعجمي بنوع من "الأمانة" يكون قد حصل المشكل المصطلحي وكل مترجم يشتغل بصورة أو بأخرى وفق هذه الطريقة (25) . إن التوسل بالمعاجم اللغوية لا يحل المشكلة بقدر ما يزيد في تعقيدها .

وحرصا على الدقة والضبط يلتزم المترجم ببسط النظرية التي ينهض عليها العمل، وعرض الشبكة المصطلحية التي تؤولها مع تعريف دقيق لكل مصطلح داخل المتن (في الهوامش)، وإن اقتضى الحال تخصيص ملحق فيه معجم للمصطلحات المستعملة لا يكفي فيه بعرض المقابلات كما هو جار الآن .

وتفاديا للوقوع في الاختلاف والتعدد يقوم المترجم بمراجعة كل الأعمال التي سبقته في إطار التخصص الذي يشتغل فيه للنظر في مصطلحاتها فإن عثر على اسم لمصطلحه اكتفى به. إننا في حاجة إلى الاتفاق ولا نرغب في الخلاف والاختلاف، وينبغي أن ننشد جميعا توحيد المصطلح. ولأننا نعلم أن النظريات تتوالد وتتناسل يوما بعد يوم، ولأن المترجم لا يجد الوقت الكافي للاطلاع على الأعمال السابقة ومراجعتها، فإننا نقترح أن تقوم لجنة علمية بمراجعة العمل المترجم قبل خروجه على الناس على أن تكون هذه اللجنة من ذوي التخصص وتابعة إلى مجمع لغوي، أو معهد من المعاهد المعترف بها في وطننا العربي، ولأن هذه المجمع والمعاهد كثيرة ينبغي أن تنسق العمل فيما بينها وتحديث خطوطا للتواصل المستمر، وتستفيد من خدمات التكنولوجيا المتطورة كالانترنت مثلا، ربما للوقت وضمانا لتواصل أكثر نجاعة .

وعلى مترجمينا خاصة والعاملين في مجال النقد عامة، أن يختاروا المصطلح الواضح المحكم البناء، القادر على شحن المفهوم من غير السقوط في شرك الترادف، وتعدد المدلولات، وأن يتعدوا قدر الإمكان عن الأساليب البيانية لأن النقد علم قبل أن يكون فنا، والعلم أساسه النظام، والنظام ينهض على الوضوح، ومن شاء أن يستعرض قدراته البيانية والبلاغية فهناك مجالات أخرى غير مجال النقد .

ولأن الترجمة خيانة على حد تعبير بارت والمترجم مهما أوتي من العلم عاجز عن الوفاء للنص الأصل، وعدم الانحراف عن حدوده ورسومه، ليعمل، إذن، على عدم اتخاذ نص آخر غيره أي النص الأصل مصدرا لترجمته لأن ذلك يزيد من هول الخيانة، مع مراعاة الاختلاف الحاصل بين المصطلحات داخل اللغات الأوربية نفسها لأنها تتعدد " بتعدد الإطارات النظرية والاتجاهات المتباينة لكن السائد في التصور عندنا أو على الأقل عند

أغلب المشتغلين، أن تلك المصطلحات " لغة أجنبية " ويكفي أن نعرها أو نترجمها إلى اللغة العربية بالانطلاق من بعدها المعجمي لتكون بذلك قد قضينا الوطر المنشود " (26)، وهو خطأ يرتكب باستمرار ، والحق، إن كل علم يغطي لكل مفهوم أو مصطلح دلالاته الخاصة وفق النسق الذي ينتمي إليه، وينبغي - أيضا - مراعاة تبدل المفاهيم وتغيرها بتغير المكان والزمان وتبدل الأحوال، لأن الأخذ بالجانب التاريخي للمصطلح أثناء الترجمة ضرورة وليس ترفا وهو سبيل للحصول على أكبر قدر من الدقة والضبط، وحتى لا يتيه المترجم ويفرق في خضم من الفوضى والاضطراب عليه أن يتجنب القفز من نظرية إلى نظرية أو من تخصص إلى آخر لأن ذلك يحد من قوته على التركيز .

ولأن النقد يقوم على اللغة فالاهتمام بها، والتأنيق في استعمالها من غير اسفاق أو ابتذال، يقرب القارئ منها أكثر، ويخلق بينه وبينها ألفة ومحبة لذلك ينبغي تحييز اللفظ المناسب للمصطلح. فلا يعقل مثلا أن نتخلى عن " التفكيكية " كما فعل عبد المالك مرتاض ونتعلق بالتقوضية أو نفع²⁷ل ما فعله أ.لوقا ومحمد خير البقاعي (28). حين اختارا " المضطلع " مقابل ل (Actant) .

1 - شكري عياد، انظر كتاب جهاد فاضل، أسئلة النقد الدار العربية للكتاب (ب. ت) ، ص : 167 168 .

2 - سامية أسعد : " اتجاهات النقد الأدبي " ، ندوة مشكلة المنهج في النقد العربي المعاصر، فصول م. 1. ع. 3. 1981. ص. 211-212

3 - يوسف بكار، علامات (في النقد الأدبي) جمادى الأولى 1419 هـ . شتنبر 1998، ص : 62 .

4 - نادر ديب " محنة الترجمة في الثقافة العربية " ، الاداب ، عدد 5-6 ج. 1 ماي- يونيو 1999

5 - انريك اندرسون اميرت، مناهج النقد الأدبي، دار المعارف ، ط . 2 . س. 1982. ت الطاهر مكى ، انظر مقدمة المترجم .

- 6 - محمد الدغمومي "أوهام المثقفين"، سلسلة شراع، ع 17. يوليو 1997، صفر 1418 .
- 7 - سامي اليوسف، النقد العربي آفاهه وممكناته، مجلة الوحدة، ع. 49. السنة الخامسة، ص : 7 .
- 8 -أنظر مقالةعلي لغزيوي ، مدخل إلى مشكلة التعريف المصطلحي في النقد العربي الحديث(قضية التعريف في الدراسات المصطلحية الحديثة) . منشورات كلية الآداب و العلوم الانسانية بوجدة رقم: 24 ، سلسلة ندوات و مناظرات 8 .
- 9 - محمد العمري ، مصطلح الدرر الادبي و النسق المعرفي- فكر و نقد ، ع. 20. ص. 91 -
- 10 - ليلى المسعودي، المصطلح الطبي وتقاطع المجالات، نقلا عن محمد العمري، م. م .
- 11 - سيد مجراوي، البحث عن منهج في النقد العربي الحديث، دار شرقيات القاهرة 1993، ص: 110 111 .
- 12 - عبد السلام المسدي ، المصطلح النقدي ، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر و التوزيع 1994 ، تونس ط. 1 .
- 13 - ادريس الناقوري ، المصطلح العلمي، التأصيل والتجديد، اللسان العربي، ع. 46 ، ص : 140 .
- 14 - انريك اندرسون ، مناهج النقد الأدبي ، ص : 161 162 م . م .
- 15 - نفس المصدر .
- 16 - أحمد صالح الطامي، إشكالية المصطلح الشعري الحديث- علامات في النقد ج. 30 م. 8 ص. 200
- 17 - عبد النبي اصطياف ، الآداب ، ج. 1 ع. 5-6 ماي - يونيو 1999 .
- 18 - كوثر عبد السلام البحيري، اتجاهات النقد الادبي، القاهرة مكتبة الانجلو المصرية 1979 ص. 169 .
- 19 - سعيد علوش ، هرمونتيك النقد الأدبي ، دار الكتاب اللبناني بيروت، سوشريس الدار ال بيضاء، ط. 1 1985 .
- 20 - عبد هاني اصطياف، الآداب ، ج. 1 ، ع. 5-6 ، ص. 96 .
- 21 - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة ، دراسة نقدية في المصادر و الاسس النظرية، جامعة الحسن الثاني، سلسلة رسائل و أطروحات رقم 4 .
- 22 - عبد القادر الفهري لسانيات اللغة العربية ، دا البيضاء دار توبقال للنشر 1993، ص : 233 .
- 23 - عبد الرحيم محمد عبد الرحيم ، أزمة المصطلح في النقد القصصي فصول م. 7، ع 3 4 ، ابريل شتنبر 1987 ، ص : 104 .
- 24 - عبد المالك مرناض " نظرية التقويض (مقدمة في المفهمة والتأسيس) " علامات في النقد ، ج 34 شعبان 1420 هـ / دجنبر 1999 .
- 25 - سعيد يقطين : " المصطلح السردي العربي، قضايا واقتراحات " ، مجلة " نزوى " العدد الحادي والعشرون يناير 2000 ، ص : 62 .
- 26 - المرجع السابق ، ص : 62 .
- 27 -
- 28 - المرجع السابق ، ص : 67 .

المراجع

- 28 - جهاد فاضل، أسئلة النقد الدار العربية للكتاب، بيروت (ب. ت)، ص: 167 168 .
- 2- سامية أسعد : " اتجاهات النقد الأدبي "، ندوة مشكلة المنهج في النقد العربي المعاصر، فصول م.1. ع. 3. 1981.ص.211-212
- 3- يوسف بكار، نقادنا ونقدنا العربي الحديث(مقاربة عامة)،مجلة: علامات (في النقد الأدبي) المجلد 7، عدد 29، جمادى الأولى 1419 هـ . شتبر 1998، ص : 62 .
- 4- ثائر ديب " محنة الترجمة في الثقافة العربية" ، الآداب ، عدد 5-6 ج.1 ماي- يونيو1999، ص:88.
- 5- انريك اندرسون اميرت، مناهج النقد الأدبي، دار المعارف.مصر ، ط . 2 . س. 1982. ت الطاهر مكى ، انظر مقدمة المترجم .
- 6- محمد الدغمومي " أوهام المثقفين "، سلسلة شراع، ع 17. يوليوز 1997، صفر 1418 .
- 7- سامي اليوسف، النقد العربي آفاقه وممكناته، مجلة الوحدة، ع. 49. السنة الخامسة، ص : 7 .
- 8- علي لغزوي : مدخل إلى مشكلة التعريف المصطلحي في النقد العربي الحديث(قضية التعريف في الدراسات المصطلحية الحديثة) .منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بوحدة رقم: 24 ، سلسلة ندوات و مناظرات 8. ص:74.
- 9- محمد العمري ، مصطلح الدرس الادبي و النسق المعرفي- فكر و نقد ، ع.20 ص.91 -
- 10- ليلي المسعودي، المصطلح الطي و تقاطع المجالات، نقلا عن محمد العمري، م.س .
- 11- سيد البحراوي، البحث عن منهج في النقد العربي الحديث، دار شرقيات القاهرة 1993، ص: 110 111. نقلا عن يوسف بكار ،علامات في النقد، العدد 29 (م.س).
- 12- عبد السلام المسدي ، المصطلح النقدي ، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر و التوزيع، تونس، ط1، 1994 .
- 13- ادريس الناقوري ، المصطلح العلمي، التأصيل والتجديد، اللسان العربي، ع. 46 ، ص : 140 .
- 14- انريك اندرسون ، مناهج النقد الأدبي ، ص : 161 162 م . م .
- 15- نفس المصدر .

- 16- أحمد صالح الطامي، إشكالية المصطلح الشعري الحديث- علامات في النقد ج.30 م.8 ص.200
- 17- عبد النبي اصطيف ، الآداب ، ج.1 ع.5-6 ماي - يونيو 1999.
- 18- كوثر عبد السلام البحيري، اتجاهات النقد الأدبي، مكتبة الانجلو المصرية 1979 ، القاهرة ، ص.169.
- 19- سعيد علوش ، هرمونتيك النقد الأدبي ، دار الكتاب اللبناني بيروت، سوشيريس الدار ال
بيضاء، ط.1 1985 .
- 20- عبد النبي اصطيف، الآداب ، ج.1 ، ع.5-6 ، ص.96.
- 21- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة ، دراسة نقدية في المصادر و الأسس النظرية، جامعة الحسن
الثاني، سلسلة رسائل و أطروحات رقم 4.
- 22- عبد القادر الفاسي الفهري: (اللسانيات واللغة العربية) ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء 1993،
ص : 233.
- 23- عبد الرحيم محمد عبد الرحيم ، أزمة المصطلح في النقد القصصي فصول م. 7، ع 3 4 ، أبريل
شتنبر 1987 ، ص : 104 .
- 24- عبد المالك مرتاض " نظرية التقويض (مقدمة في المفهمة والتأسيس) " علامات في النقد ، ج 34
شعبان 1420 هـ / دجنبر 1999 .
- 25- سعيد يقطين : " المصطلح السردي العربي، قضايا واقتراحات "، مجلة " نزوى " العدد الحادي
والعشرون يناير 2000 ، ص : 62 .
- 26- المرجع نفسه ، ص : 62 .
- 27- المرجع نفسه، ص : 67 .

من قضايا ترجمة المصطلح الأدبي

ذ. عبد الرحيم الرحموني

كلية الآداب - ظهر المهرز - فاس

من البدهي أن الترجمة تعتبر من أكبر البوابات التي تعبر منها العلوم والمعارف والثقافات من لغة إلى أخرى، ومن أمة إلى أمة، وأحيانا من عصر إلى آخر. وتعتبر ترجمة المصطلح من أكبر العقبات التي تعترض سبيل المترجمين. وإذا كان المترجم يتغلب على هذا العقبة في الغالب بمجهود ذاتي، فإن المشكلة مع ذلك تبقى قائمة حتى بعد ترجمة النص، وخاصة إذا تمت الترجمة من قبل شخص غير واع بالقضية الاصطلاحية.

وفي اعتقادي أن الترجمة في مجال الأدب وما يرتبط به من ضبط اصطلاح، يعتبر من أصعب قضايا الترجمة في مجال المعارف والعلوم، وذلك لأسباب منها:

- التقدم الحاصل في مجال الدراسات الأدبية والنقدية واللغوية عند الغرب وقصور الدراسات العربية، كما هو الشأن في جل المعارف والعلوم الأخرى.

- الانقطاع الحاصل بين حاضر الدراسة الأدبية والنقدية وماضيها، ذلك أن الذي يتعرض في العادة إلى استعمال المصطلح الأجنبي وترجمته بما يحمله من خلفيات دلالية وفلسفية، يكون في الغالب متخصصا في الأدب الحديث، وليس له اهتمام كبير بقضايا الأدب العربي القديم ونقده، بما في ذلك قضايا المصطلح.

- إن الدراسات الأدبية هي من جملة الدراسات القليلة التي يحاول من خلالها العرب إثبات وجودهم الثقافي والعلمي، بواسطة اللغة العربية، واعتمادا على أدب يراد له أن يعبر عن الواقع العربي، وعبر نقد أدبي استنبطت أسسه ومعايره من الدراسات النقدية الأجنبية. أما العلوم الأخرى فما زالت أعجمية اللسان في معظم الجامعات العربية، وبذلك فإن أصحابها يبدو وكأنهم استراحوا من قضية الترجمة، وربما كانت قضية ترجمة المصطلح الدافع الأساس عن حسن نية أو سوء نية - لعدم تعريب العلوم الدقيقة في الجامعات العربية.

- إن الدراسات الأدبية والنقدية ، وكيفما كان مستواها العلمي تعتبر بعيدة عن متناول الطبقات العامة من الناس ، بل هناك شرائح عريضة من المثقفين أنفسهم تعرف عن الأدب ونقده ، بسبب غموض الأول والاضطراب الحاصل في الثاني ، وخاصة على مستوى الضبط الاصطلاحي . ومن الطريف أن نجد برامج ترتبط بمختلف العلوم الدقيقة تكاد أن تكون منتظمة في وسائل الإعلام المرئية، ويتبعها عدد كبير من عامة الناس ، بينما البرامج الأدبية لا تكاد تذكر ، وحتى إن كان لا يتبعها إلا المهتمون شأنها في ذلك شأن الملاحق الثقافية التي لا يقرأها إلا المختصون .

ونحن في هذا العرض المتواضع سنحاول التعرض إلى بعض من هذه القضايا ونحصرها في:

- 1 ترجمة المصطلح الواحد بألفاظ متعددة .
- 2 عدم الضبط في تعريف المصطلح المترجم ، أو التعريف المترجم .
- 3 عدم الدقة في الترجمة .

مع العلم أن الدراسات في هذا الموضوع بدأت تظهر هنا وهناك ، مما يعني أن الظاهرة بدأت تتعاطم وتتطلب حلا مناسباً ومعالجة علمية جادة لتجنب الفوضى الاصطلاحية الحاصلة 1 .

1 ترجمة المصطلح الواحد بألفاظ متعددة :

لا أحد ينكر أن الدراسات الأدبية الغربية أم ولود تنتج العديد من المصطلحات بشتى الوسائل حسب طبيعة اللغة المستخدمة ، وطبيعة الدراسة المنتجة، وحينما تترجم هذه الدراسات إلى العربية أو تؤخذ مفاهيمها ومصطلحاتها إلى العربية وتوظف فيها يقع الاضطراب وتتعدد الترجمات، فالمصطلح الواحد قد يترجم بعدة ألفاظ في نص واحد، وحتى إذا استعمل أحد المترجمين مصطلحا واحدا لمفهوم واحد، فإنه يأتي بعده من يعيد ترجمة النص ذاته مرة أخرى بدعوى أو بأخرى، ثم يضع مصطلحات جديدة خاصة به، وقد يأتي رابع وخامس ، إلى أن يتولد العديد من المصطلحات، وبعد أن يستقر المفهوم على مصطلح متداول دال عليه في الدراسة العربية، يأتي آخرون ويجتهدون في استخدام ألفاظ جديدة يرونها أنسب

لنقل المفهوم إلى العربية، وهكذا تتكاثر ألفاظ عديدة لنقل مفهوم واحد ، يراد لها كلها أن تحمل حمولة اصطلاحية .

وفيما يلي نماذج من هذا التعدد .

- **مصطلح الشعرية (Poetique)** ترجم ب: الانشائية فن الشعر نظرية الأدب الشعاعية قضايا الفن الإبداعي علم الأدب صناعية الأدب الإبداع فن النظم نظرية الشعر بويطيقا بويتيك 2 .
وإن كان المفهوم قد استقر في مصطلح الشعرية ، فاننا مازلنا نسمع هنا أو هناك من يشوش على هذا الاستعمال .

- **مصطلح الخطاب (discours)** ، استعملت له عدة مقابلات منها: القول الأطروحة الحديث- الإنشاء لغة الكلام الكلام المتصل أسلوب التناول. وإن كان الاستعمال قد استقر تقريبا في مصطلح خطاب .

- **مصطلح العدول: (Ecart)** . ولعله المصطلح الأكثر أهمية في الدراسة الأدبية عموما والشعرية على الخصوص ، لكنه رغم أهميته استعملت له عدة مقابلات ربما أكثر من المصطلحين السابقين .

ومن تلك المقابلات: الانزياح الانحراف الازرار الشذوذ الخروج التشويش البعد الفارق الحرق الابتعاد التشويه المجاوزة الانتهاك النشاز الاتساع 2 .
بل إن المقابلات قد تعدد حتى بالنسبة للفظ أو تعبير لا يقبل التعدد لوضوحه كعناوين الكتب والأبحاث مثلا ، فعنوان مثل : مدخل إلى التحليل البنيوي للنص introduction a enalysestructurale du texte لرولان بارت ترجم إلى العربية بأربع صيغ تقريبا .

أ التحليل البنيوي للقصة القصيرة ترجمة نزار صبري بغداد 1986 .

ب مدخل إلى تحليل السرد بنيويا ، ترجمة : أنطوان أبو زيد ، بيروت 1988 .

ج مدخل إلى التحليل البنيوي للسرد ترجمة : مجراوي قمري عقار الرباط 1988 .

د مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص ترجمة : نخلة قد يفر بيروت 1989 .

ولعل التأمل البسيط لهذه الاختلافات في الترجمة تبيء عن عدة دلالات منها :

أ عدم استيعاب المفهوم في أصله الأجنبي :

فلو أخذنا مصطلح الشعرية Poetique ، وبحثنا في المعاجم الاصطلاحية الأوروبية،

لوجدنا أن من بين التعريفات مانصه :

1 الشعرية في معناها الحديث نظرية داخلية للأدب ، بمعنى أنها نظرية تتناول الفعل الأدبي باعتباره شكلا خاصا للكلام وانتاج المعنى ، وليس كنتيجة للتحديدات الاجتماعية والنفسية والتاريخية 3 .

2 والوظيفة الشعرية عند ياكبسون وظيفة للكلام التي بواسطتها يمكن لخطاب معين أن يكون مؤلفا فنيا 4 .

إن نظرة بسيطة إلى هذا التعريف وما ناظره ، تبين بوضوح أن استعمالنا للمصطلحات من مثل: (فن الشعر أو نظرية الأدب أو قضايا الفن الابداعي أو علم الأدب أو صناعة الأدب) لا يمكن قبولها لبعدها دلالاتها عن المفهوم الحقيقي لمصطلح الشعرية (Poetique)، وحتى مصطلح (شاعرية) ومصطلح (انشائية) لا يمكن قبولها لبعدها معناها عن المفهوم الدقيق للمصطلح . فالأول يرتبط بالشاعر ويوصف به، بينما الثاني لا نجد فيه لمسات الشعر أصلا، هذا إضافة إلى أن مصطلح " الشعرية " قد ورد في التراث النقدي العربي بنفس المعنى تقريبا 5 .

والشيء ذاته يمكن أن يقال عن مصطلح الخطاب (Discours) ، فمفهومه في الدراسات الحديثة يعني بصورة عامة ، كل قول أطول من الجملة ، ويخضع لقواعد التسلسل اللغوي للجمل 6 وهذا يعني أن المقابلات التي وضعت للمصطلح من مثل (الأطروحة والانشاء ولغة الكلام والكلام المتصل وأسلوب التناول) غير دقيقة ولادالة لأن مثل هذه الألفاظ لا تتناسب والمفهوم الاصطلاحي ولا حتى المعجمي لمصطلح Discours فضلا عما تمثله هذه التعابير المركبة من ثقل لفظي ومعنوي، ف "لغة الكلام" تعبير غير مقبول، لما بين اللفظين من علاقة دلالية سواء في الدراسة اللغوية القديمة أو الحديثة، ومن ثم لا يمكن أن يضاف أحدهما إلى الآخر، لما في ذلك من تشويش وضبابية في المعنى، ولا يرتبط بأي حال بالمعنى الحقيقي للمصطلح، والشيء ذاته يمكن أن يقال عن التركيبين الآخرين: (الكلام المتصل أسلوب التناول).

هذا بالإضافة إلى أننا إذا تتبعنا معنى مصطلح (خطاب) في التراث الأدبي العربي سنجد أنه يقارب إلى حد بعيد معنى مصطلح (Discous) 7 ، وهذا يعني أن استيعاب التراث مصطلحا ومفهوما ، واستيعاب الحديث أيضا في أصله الأجنبي يعني كثيرا عن الاضطراب الاصطلاحي الذي تعرفه الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة .

أما مصطلح العدول فقد بينا ما يعرفه من اضطراب اصطلاحى في دراسة سابقة، وبيننا مزية استعمال مصطلح العدول مقابل (Ecart) اعتمادا على بعض الدراسات التي إنجزها أحد

الباحثين 8

ب عدم اطلاع اللاحق على أعمال السابق أو تجاهلها :

وهذا ما تعكسه ترجمة الكتاب الواحد مرات عديدة داخل القطر الواحد، وفي زمن متقارب، فلو تأملنا الترجمات المشار إليها سابقا ، لوجدنا أنها حدثت في زمن متقارب لا يتجاوز 3 سنوات، وبعضها حدث في سنة واحدة، وبعضها حدث في بلد واحد مع فارق سنة واحدة بين طبعة الترجمة الأولى وطبعة الترجمة الثانية، وحتى إذا افترضنا أن المترجم في بلد ما، لم يطلع على الترجمة التي نشرت في بلد آخر، فإنه من المستبعد أن نتصور أن مترجم عمل معين لم يطلع على من ترجم هذا العمل في بلده قبله، هذا إن لم نقل إنه استفاد منه، مما يعني أن الأمر فيه نوع من التسابق نحو الشهرة، أو نحو الربح الذي قد يدره توزيع الكتاب، وقد نلمح ذلك واضحا في بعض مقدمات هذه الترجمات التي تهدف إلى تبرير إعادة الترجمة وهذا ما نجده مثلا في مقدمة التحرير لمجلة (العرب والفكر العالمي) مبررة إعادة ترجمة (لذة النص) لبارت بعد عدة ترجمات جاء فيها:

" لقد رغبتنا حقا في هذا النص وفي إعادة ترجمته رغم محاولات مشرقية ومغربية ، وأردنا نشره واسعا ، لأن المحاولات السابقة ليست مقصرة بعض التقصير أو كله هنا أو هناك في الأداء والفهم فحسب ، بل محدودة الانتشار اقليميا وقطريا " وبعد بيان مزايا الترجمة المغربية للنص باعتبارها أقرب إلى روح النص الذي ألفه بارت ، وذات صياغة عربية متميزة ، تقول المقدمة : " مع ذلك فقد وردتنا ترجمة من الزميل محمد خير بقاعي ، وكانت مختلفة وعهدنا بها إلى زميل آخر هو محمد رفراقي ، فسلك تقريبا سلوك الترجمة الجديدة ، ثم جاء دور

المراجعة الأخيرة من قبل فريق المركز ، وكانت الحيرة والصعوبة وغموض الاختيار في الصياغات والعبارات والكلمات وأخيرا قدمنا هذا النص المنشور بعد مراجعة أخيرة من قبل رئيس التحرير ، الذي رأى في الجهد المغربي ما يشبه المحاولات الأنجح حتى الآن " 9 .

ولعل هذا التبرير لا يحتاج إلى تعليق ، فكل هم هو تبرير إعادة الترجمة لا غير ، وإلا لماذا الحيرة والصعوبة في الاختيار إذا كانت الترجمات المغربية مقصرة ؟ ثم أين هذا التقصير إذا كان هذا التبرير قد شهد بتميز الترجمة المغربية أكثر من مرة . بالتأكيد المسألة ذاتية وليست علمية ، لأن من يطلع على الترجمتين يدرك ذلك بوضوح ، والحالة نفسها يمكن أن تتكرر على أكثر من مستوى وتبدو في أكثر من مظهر ، ولعله من الطريف أن نجد بعض المؤلفين يصدرون كتباً برافة في عناوينها ، لافتة لانتباه القارئ، موحية بالاتيان بالجديد ، من مثل: " نحو بديل لساني لنقد الأدب " نحو بديل جذري لعروض الخليل " لكنهم ان قدر لهم أن يطبعوها طبعة ثانية يغيرون هذه العناوين، نعم قد يكون تغيير العنوان أمراً طبيعياً في إصدار الكتب وطبعاتها، لكنه في مثل هذه الحالات السابقة لا يمكن أن تحمل إلا على ما سبق أن ذكرناه.

والرغبة الذاتية في المخالفة أو التجاهل عن قصد وسابق اصرار كما يقال، يتكرر كثيراً في المصطلحات الأدبية واللغوية عموماً، ولقد سبق أن أشرنا في بحث سابق إلى نماذج من هذا التجاهل 10 ، فحينما انعقدت ندوة اللسانيات التي نظمها مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية التابع للجامعة التونسية في دجنبر سنة 1978، أوصت باستعمال مصطلح (اللسانيات) دون غيره، وبذلك أصبح استعمال مصطلح آخر من قبيل العبث الذي لا مسوغ له خاصة وأن الندوة المذكورة حضرها باحثون من مختلف الدول العربية، بالإضافة إلى ممثلين عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وعن مكتب تنسيق التعريب، لكن الباحث الدكتور أحمد مختار عمر فضل بعد إحدى عشرة سنة من انعقاد الندوة المذكورة وتوصيتها ، فضل استعمال مصطلح (الألسنية) حينما اختير ضيفاً للعدد الخاص باللسانيات من مجلة (عالم الفكر) 11 .

ج غياب التنسيق فيما بين المترجمين :

وهذه الحالة مرتبطة بالحالة السابقة ارتباطا عضويا، فعدم التنسيق يؤدي إلى عدم اطلاع البعض على أعمال البعض الآخر ، وعدم الاطلاع ناتج عن عدم التنسيق وقد يؤدي له. إننا نتحدث عن المصطلح الأدبي لاعتن المصطلح الطبي أو الهندسي، أو ما شابه ذلك من العلوم الدقيقة، مما يعني أن الأمر أيسر من أن يؤسس لهذا الغرض مؤسسات علمية وبجامع لغوية لو أن الترجمة في مجال الأدب كانت تخضع لأبسط جوانب التنسيق، لكن يبدو أن وجود مثل هذه الهيآت أصبح ضروريا، أو لنقل أن هذه الهيآت لابد أن تهتم بالمصطلح الأدبي بقدر اهتمامها بالمصطلح العلمي، ولا بد من عقد ندوات ومؤتمرات متخصصة لمعالجة مثل هذه القضايا، وإصدار توصيات ملزمة ولو بشكل معنوي، كأن تكرم كل مجموعة قامت بالتنسيق فيما بينها في ترجمة مصطلحات أو وضعها أو تأصيلها وأن يعزز كل باحث ولو بشكل معنوي خالف هذه التوصيات، كحرمانه من الحضور في هذه الندوات والتشهير به بدراسات علمية جادة تنتقد عمله انطلاقا من معطيات توصيات تلك الندوات .

2 عدم الضبط في التعريف :

أدت عملية توليد المصطلحات بأشكالها المختلفة ، إلى ظهور عدد من المعاجم التي تعرف بهذه المصطلحات، بهدف تيسير فهمها واستعمالها ولكن الذي يحدث في الغالب هو أن هذه المعاجم لا تقدم التعريف الدقيق لهذه المصطلحات ، إذ أنها في الغالب لا تزيد على تقديم الترجمات اللغوية لا الاصطلاحية ، ولنأخذ بعض النماذج على ذلك:

أ مصطلح " النص " : يعتبر هذا المصطلح من أكثر المصطلحات دورانا واستعمالا في الدراسات الأدبية الحديثة على اختلاف اتجاهاتها وتشعباتها .ولكن مع ذلك إذا بحثنا عن تعريف لهذا المصطلح لن نجد له تعريفا دقيقا وافيا بالمقصود حتى ان المعاجم القديمة تقدم ما هو أوضح وأدل .

جاء في تاج العروس مايلي : " النص التوقيف والنص التعيين على شيء ما. وكل ذلك مجاز من النص .بمعنى الرفع والظهور. قلت ومنه أخذ نص القرآن والحديث ،وهو اللفظ الدال

على معنى لا يَحتمل غيره . وقيل نص القرآن والسنة مادل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام ، وكذا نص الفقهاء الذي هو بمعنى الدليل بضرب من المجاز كما يظهر عند التأمل " 12 .

وفى التعريفات " النص ما ازداد وضوحا على الظاهر وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى . فاذا قيل أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي ويغتم بغمي كان نصا " 13 .

وهذان التعريفان على عموميتهما وقلة نضحهما لارتباطهما بالبيئة التي قدما فيها، فأنهما مع ذلك أكثر وضوحا مما تقدمه المعاجم العربية الحديثة ، بل أقول إنهما إذا ضما إلى باقي التعريفات التراثية، فإنه يمكن استخلاص تعريف متماثل أو على الأقل متقارب مع ما نجده في المعاجم الغربية المتخصصة . أما إذا أراد الباحث أن يتجاوز هذه التعريفات ويعود إلى المعاجم العربية الحديثة فلن يجد شيئا مقنعا ، ومن نماذج ذلك:

- في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، نجد ما يلي: " النص : الكلمات المطبوعة أو المخطوطة التي يتألف منها الأثر الأدبي " 14 .

- وفي قاموس المصطلحات اللغوية والأدبابة نجد مايلي: " النص كلام مكتوب أو مطبوع " 15، كذا .

وواضح أن التعريفين لا يفيان بالعرض وغير دالين على حقيقة المفهوم الذي يحمله مصطلح " النص " فضلا عن أن أصحاب هذين المعجمين قد نقلوا فيما يبدو ما هو وارد في المعاجم اللغوية والاصطلاحية الغربية ، لكن دون أمانة أو دقة .

لقد عرف جورج مونان مصطلح " النص " (Texte) بقوله : " إن هذا المصطلح لا يقتصر معناه على الوثيقة المكتوبة ، بل يتعداه إلى كل أثر يستعمله اللساني " 16 .

وعرفه تودوروف بما يفيد بأن النص ينبغي أن يتميز عن الفقرة التي تعتبر وحدة نمطية لعدة جمل، لكن في الوقت ذاته يمكن للنص أن يتطابق مع الجملة، كما يمكن أن يتطابق مع الكتاب بأكمله، فهو يتحدد باستقلالته وباكتماله بنهاية محددة ، حتى ولو كانت بعض النصوص من منطلق آخر غير مكتملة بنهاية محددة 17 .

وهكذا نلاحظ الفرق بين التعريفين العربي والفرنسي ، العربي مختصر ومحل ، بينما الفرنسي مفيد ودال ، حتى ولو كان موجزا كما هو الشأن عند جورج مونان .

وحتى إن كانت بعض المعاجم قد نحت نحو تعريف متكامل للمصطلح كما نجد في معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، الذي عرف المصطلح بقوله :

- 1 مصطلح محل محل (العمل الأدبي) وفي الحين الذي نرفض فيه مفهوم الابداع الفردي / الدلالة / تمثيلية الواقع يصبح النص أثرا للكتابة .
- 2 ويستهدف تعريف (النص) انكار مفهوم العمل المكتوب ك " حقيقة تعبيرية وهو يعلم على " اللاتعبيرية الراديكالية " و " اللعب المتعدد الخطوط " ل " كتابة النصية " .
- 3 ويستخلص تعريف النص من ميتية التمثيلية ، إذ لا يفكر فيه إلا من خلال ادبيته وفضائه "18 .

لكن الذي يؤخذ على هذا التعريف هو أنه بقدر سعته وشمولته غير محدد أيضا ، ولا يخرج منه القارئ العربي بتحديد دقيق ومتكامل وجامع مانع . ولعل مقارنة بسيطة بين هذا التعريف والتعريفات التي وردت في المعاجم الاصطلاحية الغربية تبين الفرق بوضوح ، حتى وإن كان التعريف العربي قد استفاد منها .

وإذا كان عدم الضبط في التعريف سمة من سمات المصطلح المترجم فإننا نجد عدم الضبط من سمات تعريف المصطلح العربي الأصيل أيضا ، وخاصة حين يعتمد المعرف إلى اقتباس التعريف الأجنبي أو إلى نقله ، فمصطلح البلاغة مثلا ، مصطلح عربي أصيل نجد بداية تعريفه المكتوب منذ بداية القرن الثالث الهجري كما أن مصطلح الاستعارة معروفا أيضا ضمن مباحث البلاغة منذ القلم أيضا ، ولكن مع ذلك حينما نبحت له عن تعريف في المعاجم الاصطلاحية الحديثة نجد مثلا :

- 1 الاستعارة صورة بلاغية يمكن أن تكون لغوية أو ايقونية . .
- 2 ومصطلح البلاغة القديمة استعادته الشكلانية .
- 3 وتعمل الاستعارة على فتح فضاءات سردية بثنائية تصويريتها 19 .

في هذا التعريف عمومية، بل ونوع من الغموض، صحيح أن الاستعارة صورة بلاغية لكن أية صورة من الصور البلاغية المتعددة؟ وما المقصود بأنها تكون لغوية أو ايقونية، وبأي طريقة استعادت الشكلانية مصطلح البلاغة القديمة ن هل استعادته كمصطلح أو كمفهوم أو

وثانيهما: أنه تم المزج بين كلمتين لغير ضرورة لغوية أو اصطلاحية ، إذ أن التركيب المزجي له أسبابه ودوافعه المعروفة ، كما أن تصريف كلمة معربة ممكن نظريا وعمليا أيضا ، لكن بعد أن تكون الكلمة معربة متماشية مع المنطق الصرفي العربي ، أما أن نخضع للتصريف تركيا نصفه عربي ونصفه الآخر أعجمي ، فأظنه غير مقبول لغويا ، أو غير مناسب للذوق اللغوي العربي على الأقل .

وأما المجموعة الثانية فهي تمثل نختا بين مصطلحين عربيين يعتبران في أصلهما ترجمة لمصطلحين أجنبيين . والواقع أن النحت في العربية وإن كان موجودا فإنه غير محبذ وغير مستعمل على نطاق واسع ولهذا وجدنا عددا من اللغويين القدماء قد نصحوا بترك غير المسموع منه . وحتى إذا التجأ إليه الواضع الناحت ، فإن عليه أن يراعي في اعتقادي الوضوح وعدم الالتباس ، ولا أظن أن العبارات السابقة بمنأى عن هذا الجانب ، فلو أخذنا عبارة " العوامل الخالسانية " لوجدناها غير دقيقة من جانبين :

- الأول عدم الدقة في الترجمة حيث ترجم *Luiquistique* باللسانيات، وجاء في سياق ما يفهم أنه يقصد علم اللسانيات، وهو غير سليم في نظري ، لأن المقصود هنا هو اللغوي (من اللغة) لا اللساني (من اللسانيات).

- الثاني هو النحت الذي أنجز من اللفظين ، وهو نحت غير سليم ولا دقيق الدلالة، فالذي يقرأ التعبير " العوامل الخالسانية" مجردا عن سياقه قد يخيل إليه أنه يرتبط بعالم البناء والتعمير أو ماشابه ذلك .

وكذلك الأمر بالنسبة للمنحوتين الآخرين، فالذي يقرأ نفسجي أو يسمعه مجردة عن سياقها ربما خيل إليه أن الأمر يرتبط باللون البنفسجي أو بالاسفنج أو ما شابه ذلك، وكذلك الأمر بالنسبة للفظ الثانية (نفستماعي) يمكن أن تلبس بسهولة مع السمع والاستماع أو ما شابه ذلك ، وهذا كله ينبغي أن ينأى عنه الاصطلاح جملة وتفصيلا .

ومن باب عدم الدقة، ما شاع من استعمال بعض المصطلحات مع أن مرادفاتهما يمكن أن يكون أدق وأدل، فلو تأملنا مصطلح " اللذة " على سبيل المثال ، الذي يعتبر ترجمة لمصطلح " Plaisir " لوجدنا أن الترجمات المتعاقبة على مؤلف بارت (Le plaisir du texte) قد

أجمعوا على ترجمة (Plaisir) ب "لذة" مع أن مصطلح "المتعة" أنسب وأجدى وأدل لغويا واصطلاحيا .

جاء في لسان العرب : الماتع من كل شيء: البالغ في الجودة الغاية في بابه. وباستقصاء المادة في المعاجم بما في ذلك لسان العرب، نجد أن مصطلح "المتعة" شامل لكل شعور نفسي أو جسدي باللذة ، أو حسب تعبير بعض المعاجم يتضمن الجانب الجوهري والعرضي للمفهوم ، ثم إن المتعة لا تكون إلا نتيجة شيء جميل.

بينما " اللذة " ليست إلا للعرض 23، فضلا عن أن اللذة يمكن أن تحصل نتيجة شيء قبيح كما يتلذذ بعض الناس بتعذيب الآخرين مثلا ولقد نصت المعاجم الفرنسية على أن (Le Plaisir) يكون ناتجا عن شعور أو إحساس بالجمال 24 ، ولا أحد يجادل في أن المتعة الفكرية جمالية بشكل كامل.

ومما يرتبط بعدم الدقة في الترجمة تداخل ترجمة مصطلح بترجمه مصطلح آخر، من ذلك مثلا ما نجده في ترجمة مصطلحات (code) و (signe) و (geste) ، فلقد ترجم الأول ب "النظام" كما ترجم ب "الرمز" كما أن الثاني ترجم ب "الرمز"، أيضا وترجم ب "الإشارة"، وترجم الثالث بالإشارة 25 وهذا كله يحدث تشويشا في الفهم واضطرابا في المفاهيم.

ومن هذا القبيل أيضا ما يفعل عادة بالمصطلحات الغربية ذات الأصول العربية، التي توجد في مختلف العلوم، ومن بين ذلك مما يرتبط بمجال الأدب مصطلح (Preislamique) الذي ترجمه البعض ب (قبل اسلامي) وهي ترجمة حرفية لمصطلح ترجم عن العربية أصلا، ويبدو أن خلفية معينة ما كانت وراء هذه الترجمة ، لأن المترجم ربما أراد اجتناب استعمال مصطلح (الجاهلية) لما وجد فيه من دلالة على الجهل لم يرد أن يصف به عرب الجاهلية.

وقريب من هذا أيضا اللجوء في نص واحد إلى استعمال ألفاظ متعددة للتعبير عن مفهوم واحد أو مصطلح أجنبي واحد، يوجد مقابل له في التراث النقدي العربي، كما نجد في قول موريس أبو ناضر :

" إن الأسلوب هو ابتعاد (ecart) عن الكلام المؤلف والمستعمل ، فقولنا سال ماء الوادي قول مؤلف، أما قولنا "سال الوادي" فابتعاد عن المؤلف وخروج عن المستعمل، وبالتالي نحن تجاه ظاهرة اسلوبية تعرف بالابتعاد".

ثم يقول بعد ذلك : " إن الأسلوب هو نشاز (ecart) وانحراف عن الكلام المؤلف والمستعمل، فقولنا "سال ماء الوادي" قول مستعمل، أما قولنا "سال الوادي" فانحراف عن المستعمل وخروج عن المؤلف ، وبالتالي نحن تجاه ظاهرة أسلوبية تعرف بالنشاز 26 .
لقد تردد في هذا النص أربعة ألفاظ ، أريد لها أن تكون مصطلحات وهي ابتعاد ونشاز وانحراف وخروج .

وإذا نظرنا إلى هذا النص من جهة ثانية سنجد أن المثال الذي طبق عليه مدلول الألفاظ الأربعة السابقة هو "سال ماء الوادي" و"سال الوادي"، وهو مثال يحيل على التعليقات. العديدة التي كتبت على النموذج الشعري القدم :

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطي الأباطح

والمتبع لتلك التعليقات يجد ثلاثة مصطلحات بارزة وهي : الاستعارة ، والعدول ، والغرابة ، مع العلم أن الغرابة قد وصفت به الاستعارة في معظم تلك التعليقات وإذا علمنا أن تلك التعليقات تجاوزت العشر ، وتوزعت عبر مسافة تعد بالقرون 27 ، ومع ذلك أجمعت على استعمال هذه المصطلحات الثلاثة أو كادت، فمضى ذلك أن الخروج على هذا الاجماع يعد فوضى غير مقبولة منهجيا وعلميا، ومرد ذلك كما هو واضح عدم الاطلاع على التراث الاصطلاحي والنقدي.

وعنى هذا أن العديد من قسايا ترجمة المصطلح في الدراسات الأدبية والنقدية يمكن أن تحل إذا ما تكاثفت الجهود، وغيبت الذاتية والفردية واجتهد الجميع في التنسيق، وولى الباحثون أو طائفة منهم وجوههم نحو التراث، لأخذ ما يمكن أخذه، وتوظيف ما يمكن توظيفه.

الهوامش والإحالات

- 1 انظر مفاهيم الشعرية حسن ناظم ص 18 .
- 2 انظر بجنابعنوان : (إشكالية المصطلح في الترجمة الأدبية إلى العربية) ضمن أعمال ندوة اللغة العربية والثقافة الحديثة ، كلية اللغة العربية مراکش نونبر 94 .
- 3 - Dictionnaire Historique thematique et techniques des litteratures p 1267
G Mounin dictionnaire de lalinguistique p 323
- 4 - Dubois et autres Dictionnaire de linguistique larousse 1973 /p 381
- 5 من بين الذين استعملوا هذا المصطلح بشكل واسع ودقيق حازم القرطاجني في المنهاج .
- 6 أنظر : Dictinnaire de linguistique P 156
- 7 من بين التعقيبات التراثية التي تبين مفهوم (الخطاب) ما أشار إليه بعض المفسرين حينما فسروا قوله تعالى (وآتيناها الحكمة وفصل الخطاب) ، وما أشار إليه عدد من الدارسين حينما تطرقوا لمصطلح (الخطابة) ومشتقاته .
- 8 أنظر: (إشكالية المصطلح في الترجمة الأدبية إلى العربية) والدراسة المشار إليها ، دراسة للدكتور محمد بوحمدى لمصطلح العدول في بدائع الفوائد ، ضمن أعمال ندوة (الدراسة المصطلحية والعلوم الاسلامية) المنعقد بكلية الآداب سايس 1993 .
- 9- انظر لذة النص / العرب والفكر العالمي بيروت 1990 .
- 10 المقصود ببحث : اشكالية المصطلح في الترجمة الأدبية .
- 11- انظر مجلة عالم الفكر المجلد العشرون العدد الثاني .
- 12 تاج العروس للزبيدي / نصص .
- 13 التعريفات للجرجاني / النص .
- 14 معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدى وهبة وكامل المهندس ص 412.
- 15 قاموس المصطلحات العربية اللغوية والأدبية أميل يعقوب وآخران ص 379 .
- 16 Dictionnaire de la linguistique P 323
- 17 O Ducrot T Todorov Dictionnaire encyclopedique des sciences du langoge points P 374

- 18 معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة سعيد علوش ص 213 .
- 19 المرجع السابق : ص 144 145 .
- 20 أنظر : Dictionnaire encyclopedique Des laugage P 101
- 21- أنظر على سبيل المثال Hachette encyclopedique Dictinnaire de linquistique
- 22 الحيوان 1 / 75 76 (ت هرون) .
- 23 تاج العروس للزبيدي لذذ .
- 24 أنظر : Dictionnaire Hachette encyclopedique /Plaisir
- 25 انظر ترجمات الكتب الآتية إلى العربية :
- critique et verite:R Barthes
- intraduction a l aalyse sturcturale du recit
- ledegre zero de l ecriture
- والترجمات هي لانطوان أبو زيد الذي ترجم "النقد والحقيقة" و"مدخل إلى تحليل السرد بنيويا" ومحمد برادة الذي ترجم "درجة الصفر في الكتابة" .
- 26 إشارة اللغة ودلالة الكلام ص 85 و 155 .
- 27 تبدئ هذه التعقيبات بابن قتيبة وتنتهي في العصر الحديث .

قضايا ترجمة المصطلح الأجنبي في العلوم الانسانية

أهمية البعدين الاجتماعي والثقافي في عملية ترجمة المصطلح الأجنبي

ذ. عبد الرزاق مسلك

كلية الآداب، ظهر المهرزاز

فاس-

تحاول هذه الورقة التدليل على أن عملية الترجمة عموما وعملية ترجمة المصطلح الأجنبي خاصة ليست عملية لغوية فحسب بل إنها عملية مشروطة اجتماعيا وثقافيا، ومن هنا أهمية الدور الذي يلعبه البعدان الاجتماعي والثقافي في ترجمة أي مصطلح أجنبي إلى العربية. يقول فوندرليش WUNDERLICH في معرض حديثه عن الترجمة أن الترجمة عمل لغوي بامتياز يؤخذ فيه الجانب التركيبي والدلالي والتداولي بعين الاعتبار. أما ديفيدسن Davidson فإنه يذهب نفس المذهب حين يدعي أن الترجمة ليست إلا مفهوما تركيبيا محضا:

" كتاب الترجمة مجرد طريقة للإنتقال من جمل لغة ما إلى جمل لغة أخرى. ولا نستطيع أن نستنتج منه أي شيء بخصوص العلاقات بين الكلمات والأشياء، أكيد أننا نعلم، أو نظن أننا نعلم، ما تشير إليه كلمات لغتنا، لكن هذه معلومات (أخبار) لا يشمل عليها أي كتاب ترجمة، الترجمة مفهوم تركيبى محض".

إن المتأمل والمتفحص في عملية الترجمة سيلاحظ أننا حين نقوم بعملية الترجمة فإننا لا نترجم من لغة إلى أخرى فقط، بل من ثقافة إلى ثقافة أخرى وذلك نظرا للارتباط العضوي الذي يجمع بين اللغة والثقافة، فعملية الترجمة على هذا الأساس عملية ثقافية لا تنحصر فقط في مجال الوحدات اللغوية بل تتعدى ذلك لتطال مجموعة من التصورات الاجتماعية وطرق التفكير التي تحملها اللغة وتعبر عنها. ولقد أشار العديد من الأنتروبولوجيين واللسانيين الاجتماعيين إلى هذا الأمر أخص بالذكر منهم على سبيل المثال: سابر ووورف اللذان عرفت

نظريتهما بفرضية سابير وورف Sapir Whorf- Hypothse ومدرسة هالدي وهايمز. لو أردنا أن نلخص أهم أفكار سابير وورف لقلنا ما يلي:

" حسب فرضية سابير وورف ترتبط اللغة بتجربة المجموعة البشرية التي تتداولها في كل جوانب الحياة، فاللغة ليست أداة للتعبير فحسب، بل هي جهاز يؤثر خيرة المجموعة البشرية، والتأثير لم يكن ليتم لو لم تكن للغة قدرة على تكييف المعلومات حول العالم فاللغة تفرض تصنيفا وتنظيما واختزالا على مكونات العالم الذي تبلوره وتبينه وتفرضه على الأذهان التي تتداولها ... فما يدركه شخص يتداول لغة ما يختلف عما يدركه شخص آخر ينتمي إلى لغة أخرى".

أما هالدي وهايمز فقد أكدوا في كتابتهما على أهمية دراسة اللغة ضمن سياقها الاجتماعي، والسياق الاجتماعي حسب هالدي وهايمز يعني "جميع العوامل الخارجية التي تؤثر في اللغة أو النص الذي يتكلمه المرء أو يكتبه في أي وقت من الأوقات، منها العوامل الجغرافية والسياحية والدينية والثقافية، وهذه العوامل تختلف اختلافا ملحوظا من مكان إلى آخر، وكلما ابتعدت اللغات زاد الاختلاف في سياقها الاجتماعية".

مما تقدم يتبين أن جانبا اللغة الاجتماعي والثقافي يلعبان دورا مهما في نقل معنى المصطلحات من لغة إلى أخرى أثناء الترجمة. وسأسوق متالين اثنين للتدليل على صحة هذا الادعاء:

المثال الأول:

المحرمات بالقراءة من الأمهات والبنات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت.

Les femmes prohibes par la parent sont les mres, les filles, les surs, les tantes paternelles et maternelles, les filles du frre et de la sur.

Die verbotenen Frauen wegen Verwandtschaft sind : die Mtter, die Tchtern, die Schwestern, die Tanten, die Tchtern des Bruders und die Tchtern der Schwester.

Wegen Blutsverwandschaft sind folgende Frauen zur Eheschliessung verboten: die Mütter, die Töchter, die Schwestern, die Tanten, die Nichten.

المثال الثاني:

ينتهي الزواج بالفسخ أو بالطلاق أو بالموت.

Die Ehe endet durch Aufhebung, Verstossung oder Tod.

في المثال الأول نجد أن المترجمين العربي والألماني (a و b) أعطيا كلمة Tanten مقابلا لكلمتي الخالات والعمامات وهذا راجع إلى تأثير ثقافي اجتماعي بين، ذلك أن اللغات الأوربية لا تفرق بين الخالات والعمامات بل تطلق عليهما معا كلمة Tante.

أما في المثال الثاني فإن كلمة الطلاق ترجمت بكلمة Verstossung التي ترادفها في الفرنسية كلمة Rpudiation. والفارق طبعا شاسع بين المصطلحين لأن مصطلح Verstossung يحمل في طياته معان سلبية لا تتوافق والمعنى الإيجابي لمصطلح الطلاق في الشريعة الإسلامية.

إن هذين المثالين، وهناك طبعا أمثلة كثيرة يضيق المقام لذكرها كلها، يدلان دلالة قاطعة على أن الثقافة بما هي منظومة من القيم والأفكار السائدة في مجتمع ما تلعب دورا مهما في عملية ترجمة المصطلح. إذ النسق اللغوي ليس إلا انعكاسا للنسق الثقافي والاجتماعي لمجتمع معين. إن اللغة لا تعكس البنية الثقافية فحسب بل تحكمها معايير اجتماعية معينة وكذلك تعكس في الأخير البنية الاجتماعية.

إن المصطلحات التي يتداولها الشباب مثلا ليست قطعاً تلك التي يتداولها الشيوخ، كما أن معجم الحرفي يختلف كثيرا عن معجم التقني. أما المصطلحات التي يستعملها الطبيب فلا شك أنها تختلف عن تلك التي يعتمدها المهندس إلخ... إذا نظرنا إلى مجالات التواصل داخل المجتمع نجد تنوعا لغويا داخل اللغة الواحدة، العلوم النظرية والتطبيقية والمؤسساتية -أو ما يصطلح على تسميته باللغات الخاصة- لها دلالات ثابتة ومحددة. أما مصطلحات الآداب والعلوم الإنسانية -موضوع ندوتنا هاته- فلها دلالات مختلفة يحددها المقام والسياق غالبا. ومن هنا صعوبة ترجمتها ترجمة صحيحة وسليمة. بل من هنا كذلك تعدد ترجمات المصطلح الواحد. لكن لنا أن نتساءل في الأخير، بعد أن بينا مدى أهمية البعدين الاجتماعي والثقافي في

عملية ترجمة المصطلح الاجنبي، هل نريد من خلال الترجمة أن نصل إلى معنى معين أم إلى قيمة تواصلية؟. إذا انطلقنا من فكرة مفادها أن عوامل غير لغوية تؤثر في عملية التواصل وتؤدي إلى إنتاج بنيات دلالية مختلفة أمكننا أن نطرح السؤال التالي عند القيام بعملية الترجمة: " ماذا يقول مستعمل اللغة ب - في سياق مواز حين يتحدث عن شيء معين؟" عوض أن نقوم بترجمة حرفية نتوخى من ورائها البحث عن مقابل لمصطلح معين ينتمي إلى مقام ثقافي معين أو إلى سياق تاريخي واجتماعي مختلف.

فالقيمة التواصلية هي التي يجب البحث عنها عوض البحث دائما عن مقابل للمصطلحات. والمصطلحات عموما مثلها مثل العبارات المسكوكة- لا يمكن ترجمتها دائما حرفيا.

الهوامش:

Dieter Wunderlich: Arbeitsbuch Semantik.

Athenum. 1980; صفحة: 17

(2) نقلا عن: بناصر البعزاتي: الترجمة بين النص والمرجع في: الترجمة والتأويل منشورات كلية الآداب. الرباط. 1995. ص: 33

(3) نفس المرجع. ص: 37

(4) يوثيل يوسف عزيز: لغة الترجمة في: الفكر العربي. العدد الستون. أبريل يونيو 1990 ص: 160

(5) أمثلة ساقها M. Forstner أستاذ مادة الترجمة بجامعة Gernsheim بألمانيا في إحدى محاضراته بكلية الآداب ظهر المهراز فاس-

(6) عبد الرزاق مسلك: التنوع اللغوي في إطار اللغة الواحدة (يصدر قريبا).

مشكلات ترجمة المصطلحات في علم النفس

د . عبد الناصر السباعي

ظهر المهرز فاس

مدخل

إن ترجمة المصطلحات هي المهمة الأكثر إلحاحا على المشتغلين بعلم النفس في الوطن العربي الإسلامي، إذ إن أدبيات علم النفس المتداولة حاليا باللغة العربية منقولة كلها من اللغات اللاتينية إما على شكل ترجمة مباشرة و إما عن طريق الاقتباس والتصرف، ولا توجد أية استمرارية بين جهود السلف في مجال دراسة الظواهر السلوكية و بين علم النفس كما نتداوله حاليا في جامعاتنا ومعاهدنا. فقد أدخل علم النفس إلى المنطقة ضمن مواد النظام التعليمي الذي فرضه المستعمر الصليبي كبديل للمنظومة التعليمية الإسلامية في إطار مخططة لترسيخ هيمنته على العالم الإسلامي وطمس معالمه الحضارية، ورغم مرور عقود من الزمن على احتكاك الدارسين العرب بهذا المجال المعرفي فإنهم لم يتمكنوا من الإسهام فيه بإبداعاتهم حتى الآن، بل اقتصر همهم على محاولة استيعاب ما ينتجه الغربيون بترجمة أعمالهم ودراساتهم، والعمل داخل الإطار النظري الذي ترسمه النظريات و الدراسات الغربية.

وإذا كانت الترجمة عملية ضرورية للتمكن من استيعاب المعرفة الغربية الغازية قبل العمل على نقدها و اقتراح الطريقة المناسبة لمواجهتها و الحد من خطورها، فإنها ينبغي لكي تؤدي دورها أن تتم بشكل سليم يغني اللغة العربية و يشجع على استعمال هذه اللغة في تداول المعرفة النفسية. غير أن الوضع الحالي للكتابات النفسية العربية أقل ما يقال عنه إنه غير مشجع، و يدفع المتخصصين إلى تجنب قراءة الدراسات النفسية بلغاتها الأصلية إن أمكن أو مترجمة إلى إحدى اللغتين : الفرنسية أو الإنجليزية على الخصوص .

ونود منذ البداية أن نستبعد بعض الأفكار الشائعة حول مشكلات الترجمة إلى اللغة العربية و التي تدور حول التشكيك في قدرات هذه اللغة على مواكبة التطور المعرفي السريع الذي يعيشه العالم اليوم. فمثل هذه الأفكار إنما هي نتيجة أو أثر للتربية الفاسدة التي درج عليها أبناء الأمة الإسلامية في عصور الانحطاط. فقد تعودنا أن ننسب إلى الآخر دائما مظاهر عجزنا ونقصنا و نحمل الآخر سواء إنسانا أم حيوانا أم جمادا- مسؤولية فشلنا و تقصيرنا. فالترجمون العرب لا يقرون أبدا بأن تكوينهم اللغوي و المعرفي هو السبب في رداءة ترجماتهم، بل يضعون وزر ذلك على عاتق اللغة العربية و هي من ذلك براء . فالترجمة من إحدى اللغات الأوربية كالروسية و الألمانية أو اليونانية إلى الفرنسية مثلا لا تطرح مشاكل للقارئ الفرنسي حسب ما لاحظناه خلال إقامتنا للدراسة في فرنسا. و نفس الأمر يلاحظ أيضا على النصوص المترجمة إلى الإنجليزية، الشيء الذي يدعونا إلى استبعاد فكرة عجز اللغة العربية عن استيعاب المعارف الحديثة بحجة أنها لغة قديمة أو غير علمية. وليس أدل على سخافة مثل هذه الفكرة مما نراه الآن لدى اليهود الذين يمتلكون الريادة في جميع ميادين المعرفة و يكتبون و يدرسون جميع المعارف المتطورة في جامعاتهم باللغة العبرية و هي لغة ترجع إلى حقب ما قبل التاريخ.

إن مشاكل ترجمة المصطلحات في علم النفس و غيره ترجع إذن إلى المترجمين، و ما علينا الآن إلا أن نفحص بعض النماذج المنشورة و المتداولة من النصوص المترجمة لمعرفة تلك المشكلات بتفصيل. و يمكننا أن نميز ثلاثة مستويات في مشكلات المترجمين العرب تتصل فيما بينها بشكل عضوي و هي كالتالي :

- في المستوى الأول نجد المشكلات المتعلقة بمدى إتقان اللغات المترجم منها وإليها.
- في المستوى الثاني نجد المشكلات المتعلقة بمدى استيعاب المعارف موضوع الكتابات المترجمة.
- وفي الأخير نجد المشكلات المرتبطة بالمضمون الحضاري للمصطلحات

أولا : مشكلات إتقان اللغات

لا نحتاج إلى التأكيد، ونحن بصدد الحديث عن الترجمة، على ضرورة إتقان المترجم للغات التي يترجم منها وإليها، فهذا من البديهيات. غير أن واقع النصوص المترجمة يبين أن هذا الشرط البديهي لا يتوفر دائما لدى المترجمين العرب، ونورد لذلك مثالين من المصطلحات التي تزخر بها النصوص العربية :

1- التمثل وهو مصطلح يستعمل لترجمة لفظين مختلفين هما REPRESENTATION و ASSIMILATION ولا يخفى أن المصطلحين الفرنسيين غير مترادفين كما يتبين من مراجعة القواميس الفرنسية، و لا يمكن بالتالي أن يكون المصطلح العربي صالحا لترجمتهما معا. فالمصطلح الفرنسي الأول يستخدم في مجال الأنشطة العقلية. بمعنى الاستحضار الذهني لشيء غائب عن طريق صورة متخيلة، و أقرب مصطلح عربي لترجمة هذا المعنى هو مصطلح التصور. كما يستعمل المصطلح الفرنسي أيضا في مجال علم النفس الاجتماعي بصيغة (2) REPESENTATIONS SOCIALES للإشارة إلى التصورات المشتركة بين أفراد مجموعة بشرية حول موضوع ما. وأغلب الكتاب العرب يترجمون هذا المفهوم باستعمال مصطلح التمثلات الاجتماعية، وهو مصطلح غير مناسب. أما المصطلح الفرنسي الثاني Assimilation فمعناه اللغوي الأصلي هو التشبيه أو المماثلة، ومنه اشتق التمثيل الغذائي (في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي) الذي يعني العملية التي يحول الجسم عن طريقها المواد الغذائية المستهلكة إلى مواد مشابهة لمكونات الجسم، ثم استعمل في القرن التاسع عشر الميلادي في المجال الاجتماعي. بمعنى تبني الأقليات الأجنبية المضيفة و الذي يطلق عليه الآن الإدماج الاجتماعي. هذه المعاني نجدها حاضرة في مادة "مثل" العربية و لذلك نرى أن مصطلح "التمثيل" أنسب لترجمة المصطلح الفرنسي الأخير.

2- المثاقفة و التناقف (3) وهما مصطلحان يترجمان المصطلح الفرنسي Acculturation ويستعمل هذا المصطلح في الكتابات الفرنسية للدلالة على تحلي شعوب المجتمعات غير الغربية عن ثقافتها المحلية وتبني ثقافة الدول الغربية المستعمرة لها كما في حالة الهنود الحمر الأمريكيين. ويستعمل أيضا للدلالة على تبني المهاجرين من الدول المتخلفة لثقافة البلدان

المصنعة التي يهاجرون إليها (انظر القاموس الفرنسي Le Robert). وفي رأينا فإن اللفظ العربي المعبر عن هذا المعنى هو الاستعمار الثقافي، وليس الثقافة أو الثقافة.

ونظرا لعجز المترجمين في كثير من الأحيان عن التوصل إلى اللفظ العربي الموقى بالمعنى يلجأ هؤلاء إلى كتابة المصطلحات بحروف عربية و الأمثلة على هذا كثيرة منها : سيكولوجيا، بارانويا، إكلينيكي، إمريقي، سيكوباتي، سيكاثينيا، سيكوفيزيقا، هاياراكبي، سكيما

ثانيا : مشكلات استيعاب المعرفة النفسية

هذا المستوى من المشكلات أخطر بكثير من مشكلات المستوى السابق. ومن أقرب الأمثلة على هذا المصطلح "علم النفس" نفسه. فقد وضع الأصل اللاتيني لهذا المصطلح في القرن الثامن عشر على الأرجح (4) من كلمتين يونانيتين : psukh وتعني الروح أو النفس، و Logos وتعني دراسة أو مبحث. وكان اللفظ المركب منهما يدل على مبحث من مباحث ما وراء الطبيعة موضوعة دراسة النفس أو الروح .

وقد تم التخلص عن التعريف السابق منذ منتصف القرن التاسع عشر، وحين وصلت المعارف المتعلقة بهذا الميدان إلى الدارس العربي في العقود الأولى من القرن العشرين- كان موضوعه قد استقر على دراسة السلوك ولم يعد أحد من الباحثين الغربيين يستعمل مصطلح Psychology بمعنى دراسة النفس أو الروح. بل إن بعض الباحثين الأمريكيين اقترح استعمال behaviorology (علم السلوك) بدلا منه، لأن هذا المصطلح أقرب للدلالة على موضوع البحث في هذا الميدان. غير أن المستهلك العربي لم يتفطن لهذه المفارقة، وبدلا من ترجمة دلالات المصطلح كما وصلت إليه في بداية القرن الحالي، نجد أنه اكتفى بترجمة حرفية بسيطة كما لو أنه كان يعيش في القرن الثامن عشر يوم كانت دلالة ذلك المصطلح لا تتعدى المعنى اللغوي للكلمتين اللتين ركب منهما. وإذا كان الباحثون في الدول المصدرة للمعرفة النفسية

قد احتفظوا بالمصطلح القديم رغم تجاوز دلالة الأصلية- فذلك لاعتبارات تاريخية لا غير، وليس لدى المستهلك العربي منها شيء.

وقد ترتب عن هذا الخطأ في الترجمة أن أخطأ القارئ العربي فهم موضوع "علم النفس" بشكل منظم، لدرجة أن عددا من المختصين أصحاب النوايا الطيبة الذين يحاولون العمل على تأصيل هذا العلم في ثقافتنا الإسلامية وقعوا ضحية لهذا الخطأ. فبدلا من تأصيل الموضوع الحالي لعلم النفس اتجهت جهود هؤلاء إلى البحث في معاني "النفس" في القرآن الكريم و السنة النبوية، و إلى كتابات السابقين عن أحوال النفس من أمثال الغزالي وابن قيم الجوزية معتبرين أن ذلك هو البديل الإسلامي لعلم النفس المعاصر.

كما أنه ترتب عن ذلك الخطأ في تسمية علم النفس أول الأمر أن انتشر المصطلح الخاطئ بشكل واسع يجعل محاصرته الآن واستبداله بمصطلح آخر أمرا يكاد يكون مستحيلا. وليس أدل على هذا من أننا ونحن نبه على الواقع لا نملك إلا أن نستمر في استعمال مصطلح "علم النفس" على عواهنه. في انتظار أن يحصل اتفاق بين المشتغلين بهذا الميدان على مصطلح آخر، وإن يكن هذا حلما بعيدا في نظرنا.

وهناك مثال آخر على الاضطراب المصطلحي لدى المترجمين العرب وجدته في عمل الكاتب عطوب محمود ياسين (5) الذي نشره تحت عنوان "قضايا نقدية في علم النفس المعاصر". فحسب المعلومات التي اطلعت عليها في الكتاب فإن مؤلفه متخصص في علم النفس العيادي، غير أنه تناول موضوعا بعيدا جدا عن هذا التخصص هو أعمال الباحث السويسري جان بياجي تحت عنوان مثير : "جان بياجي بين أنصاره و خصومه".

وإذا كنا نعلم أن بياجي قد كتب بالفرنسية أساسا، فإن الأستاذ عطوف ياسين لم يطلع على أعمال بياجي بلغتها الأصلية بل مترجمة إلى الإنجليزية كما تدل على ذلك المصطلحات الإنجليزية التي أثبتتها أمام الترجمات التي اختارها لها. و لا يخفى أنه كلما تمت الترجمة من نصوص غير أصلية إلا وازداد احتمال الوقوع في أخطاء نتيجة الانزلاقات اللغوية. ولأخذ كمثال على ذلك المصطلحات الفرنسية التي استعملها بياجي لتسمية مراحل النمو ومقابلتها الإنجليزية التي ترجمها عطوف ياسين بعد ذلك إلى اللغة العربية :

المصطلحات الفرنسية	المصطلحات الإنجليزية	المصطلحات العربية
sensori-moteur	perceptual	حسي حركي
pr-opratoire	pr-conceptual	ما قبل المفهومي
opratoire concret	concrete processes	العمليات المحسوسة

من قراءة جدول المصطلحات أعلاه، يتبين أن الترجمة لم تكن سليمة إلا في حالة واحدة (حسي حركي) وحتى في هذه الحالة لم يكن المصطلح الإنجليزي الوسيط مطابقاً للأصل الفرنسي.

إن الكاتب يستعمل مصطلحات غريبة عن فكر بياجى تماماً مثل العمر العقلي، وهذا يدل على أن الكاتب يخلط بين الاتجاهين القياسى للذكاء-وهو السائد في الأبحاث الأنجلو ساكسونية- ونمو الذكاء العمليّاتي الذي يتميز به بياجى. ولا يبدو لنا من قراءتنا للنص أن الكاتب قد استوعب شيئاً من الأسس والخلفيات المعرفية التي وجهت أعمال مدرسة بياجى. ولنقرأ النص التالي لبيان ما نقول :

"أبرز ما يقرره بياجيه هو أن (التكوينات أو الأبنية العقلية هي التي تتغير خلال نمونا العقلي، أما الوظائف العقلية فتبقى على ما هي عليه. ونحن لا نرث-التكوينات- وإنما نتبثق خلال النمو ولكننا نرث- طريقة القيام بالنشاط العقلي- أي- طريقة معينة للتعامل مع البيئة- وبما أن طريقتنا في الأداء تبقى واحدة خلال جيلنا- فإن بياجيه يطلق على الخصائص التي تميز الاستخدام الوظيفي الوظيفية : (Functional invariants) .

وتمثل الثوابت الوظيفية في أمرين هما :

1) التنظيم : Organisation

2) التكيف : Adaptation

ويقصد (بياجيه) بالتنظيم أن الأفعال العقلية ليست منعزلة، ولكنها (متلاحمة متآزرة). فكل فعل من الأفعال أي (أفعال وعمليات الذكاء) تتصل ببعضها بترابط كلي أي أن الجزء يتصل بالكل.

أما التكيف فهو عمل من أعمال الذكاء الجوهرية حيث يتم التوازن بواسطته بين كفتي الملاءمة Accomodation والاستيعاب Assimilation وهذا ما يخلق حالة (التعادل) فكريا وسلوكيا وبيئيا Equilibrium. فالذكاء هو إحراز الفرد على هذا النمط من التوازن . إن الملاءمة إذن هي (عملية تكيف الذات) مع مطالب البيئة و الأشياء وينبغي أن تراعي أنماط التفكير الأساسية مقتضيات الواقع.

ولكي ندرك أن (التعادل) هو حل للصدام الديالكتيكي المعهود في مفهوم (هيجل وماركس) والوصول إلى تلاحم جديد Synthesis يجب أن ندرك نظير (بياجي) في أن (الاستيعاب والملاءمة) وظيفتان متكاملتان، كل واحدة منهما تكمل الأخرى، ويمكن أيضا النظر إليهما (ديالكتيكيا) كصفتين متعارضتين. فالاستيعاب المألوف في أساسه (محافظة) على الوضع؛ تراهن بينما الملاءمة (تحرك وتغير) مع الحديد والمتطور، فهي (تحرر). ويضيف بياجيه معلقا: (إن هذه الجوانب المتضادة شكليا و المتكاملة ضمنيا لهاتين الوظيفتين ستقودنا تلقائيا إلى حالات من التوازن و عدم التوازن)؛ وهذا ما يفسر سلوك الكائن الحي منذ طفولته؛ فهو يتدرج من حالات عدم التوازن إلى حالات التوازن مع نموه العقلي ونضجه الاجتماعي، واقتراه من مرحلة التفكير الناضج". (6)

إن المصطلح (7) على فكر بياجي يعرف أن أعمال هذا الباحث لا علاقة لها بمجدلية ماركس أو هيجل، و بالتالي فإن محاولة فهم علاقة الثوابت الوظيفية في إطار الصراع (الديالكتيكي) يدل على سوء فهم لنظرية بياجي وخلفياتها المعرفية. كذلك نجد أن ما قدمه عطف ياسين في النص السابق كشرح للنمو المعرفي لدى بياجي غامض بقدر ما هو ناقص بحيث لا ينقل للقارئ صورة متكاملة عن فكر بياجي كما نعرفها من كتاباته الغزيرة بالفرنسية. وللتذكير فإن بياجي درس النمو المعرفي انطلاقا من تخصصه في مجال علم الأحياء، حيث كان الذكاء شكلا متطورا من التوافق مع البيئة ويمثل استمرارا للتوافق العضوي الحيوي الذي يبدأ منذ الإخصاب. فإذا كان الجنين يبدأ توافقه مع الوسط المحيط به عن طريق إدماج عناصر من هذا الوسط في ذاته أثناء التغذية وتمثلها. بمعنى تحويلها إلى عناصر مماثلة لما تحتوي

عليه ذاته؛ بحيث تصبح في النهاية جزءاً لا يتجزأ منه، فإنه بعد ميلاده يستمر في القيام بهذا التوافق العضوي الحيوي بالإضافة إلى ظهور شكل جديد للتوافق مع البيئة هو التوافق المعرفي.

إن التوافق المعرفي يقوم على أساس التفاعل المستمر بين الذات و البيئة، على اعتبار أن البيئة منظمة بشكل دقيق و محكم. لكن الذات لا تمتلك في بداية النمو الخطاطات الكافية لمعرفة هذه البيئة. إذن يبدأ النمو باختلال كبير في التوازن بين مستوى تنظيم البيئة ومستوى الخطاطات المعرفية للذات، فتعمل الذات على التوافق مع البيئة بإقامة توازن نسبي يرتكز على تنظيم البيئة وفق الخطاطات المتوفرة في كل مرحلة من مراحل النضج. لكن هذا التوازن النسبي يختل بتقدم النضج الذي يسمح باكتساب مهارات وقدرات عقلية جديدة. فتعيد الذات تنظيم خطاطاتها المعرفية وكذلك تنظيمها لبيئتها في نفس الوقت، فيحصل توازن نسبي جديد في انتظار أن يختل بتقدم النضج وهكذا دواليك حتى نهاية النضج في سن المراهقة حيث يكتسب الإنسان الخطاطات المعرفية التي تمكنه من معرفة بيئته على أفضل وجه ممكن.

هذه العملية المستمرة من اختلال التوازن واستعادة التوازن يطلق عليها بياجي مصطلح EQUILIBRATION وقد ترجمه عطوف ياسين في النص أعلاه "التعادل" وهو لفظ يتعد معناه كثيراً عن مفهوم المصطلح الفرنسي الذي يمكن لمصطلح عربي آخر هو الموازنة أن يؤدي معناه بشكل أفضل بكثير. كذلك استعمل الكاتب مصطلح الاستيعاب لترجمة مصطلح Assimilation وهي ترجمة بعيدة عن أداء معنى المصطلح الفرنسي الذي يحمل في فكر بياجي دلالة مرتبطة بعلم الأحياء. و يصبح الاستيعاب أبعد أكثر عن فكر بياجي حين يفهم على أنه "محافظة" كما ذكر الكاتب في النص السابق.

ثالثاً : مشكلات الأبعاد الحضارية للمصطلحات

إن الترجمة بالاعتماد على المعاجم اللغوية المتداولة توقع المترجم في مشكله من نوع خاص. إذ إن مصطلحات مثل Culture و Science و Homme . . . لا تطرح ترجمتها مشكلة من الناحية اللغوية، إلا أن الدلالات التي تستعمل بها في الثقافة الغربية تختلف اختلافاً كبيراً عن

الدلالات التي تحملها الألفاظ المقابلة لها في اللغة العربية . وقد تناولتها (8) في أبحاث سابقة المصطلحات الثلاثة التي أشرنا إليها بتفصيل في محاولة لبيان وجهة نظرنا هذه وسنعطي في هذه الفقرة مختصرة عن المشكلة وأهميتها .

فمن المصطلحات المتداولة و الشائعة بين الباحثين في مجال علم النفس، لدرجة أن أحدا لا يجشم نفسه عناء البحث عن مدلولاتها، مصطلحا: الإنسان و العلم. ولعل مصدر هذه اللامبالاة هو كون الباحثين المعاصرين في علم النفس يعتقدون أنهم يقدمون معرفة صالحة لجميع بني "الإنسان"، ما دام أنهم يقدمونها تحت لافتة "العلم" غير أن هؤلاء يغفلون عن أن مصطلحي الإنسان و العلم ليس لهما معنى موحد في الثقافات الإنسانية المختلفة. وهذا المشكل لا يطرح عادة في الأوساط الغربية، بالنظر إلى أن هناك تطابقا تاما بين فهم كل من الباحثين المتخصصين وبقية المجتمع للمصطلحات المستخدمة في علم النفس. لكن الأمر يختلف عندما يراد نقل المعارف النفسية من المجتمعات الغربية التي أنتجتها إلى مجتمعات أخرى بقصد الاستفادة منها في فهم الظواهر النفسية الخاصة بهذه الأخيرة، أو بهدف استثمارها في المجالات التطبيقية المختلفة. إذ يطرح في هذه الحالة مشكل اختلاف دلالة المصطلحات من ثقافة إلى أخرى. ونظرا لما تكتسبه مسألة نقل المعرفة الغربية إلى مجتمعاتنا الإسلامية من خطورة، فإننا نود تنبيه المشتغلين بعلم النفس في مجتمعاتنا على ضرورة إعادة النظر في المصطلحات المتداولة بينهم، لأننا لا نتكلم نفس اللغة التي يتكلمها الغربيون.

فنحن حين نستعمل لفظ "الإنسان" في اللغة العربية نقصد به هذا الكائن الذي خلقه الله عز وجل من قبضة من طين ونفخة من روح وجعله خليفة في الأرض وسخر له ما فيها ليعبده ويقوم بعمارة الأرض و إصلاحها. وسيحاسبه الله عز وجل على مدى قيامه بواجبه بعد فناء هذه الدنيا ويجازيه إما بالجنة وإما بالنار جزاء أهدى لا نهاية له. بينما حين يستعمل الباحثون الغربيون في علم النفس مصطلح Homme فهم يقصدون به حيوانا متطورا ومادة لا روح فيها. لذلك من غير المقبول ترجمة هذا المصطلح الأخير بمصطلح الإنسان، بل قد يكون اللفظ العربي الأقرب إلى التعبير عن دلالة المصطلح الغربي هو "البشر". فهذا اللفظ يستعمل في

العربية للدلالة على ما له صورة الإنسان حتى وإن لم يكن في حقيقته إنسانا، كما جاء في قوله تعالى: "فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا" (مرجم:16)

كذلك نجد أننا نستعمل مصطلح "العلم" في اللغة العربية للإشارة إلى تلك الميزة التي شرف الله تعالى بها آدم وذريته على سائر خلقه واستحق بها أن تسجد له الملائكة. و العلم الذي ميز الله تعالى به آدم وذريته على سائر خلقه و استحق بها أن تسجد له الملائكة. هو جزء يسير جدا من العلم الذي اختص به الله عز وجل فهو صاحب العلم المطلق الذي لا يحده زمان ولا مكان. ومن فضل الله تعالى على البشرية أن أكرمها بالوحي الذي أنزله على رسله حاملا إليها قبسا من العلم الحق اليقين ليبين للناس الصراط المستقيم الذي ينبغي عليهم أن يسلكوه ليفلحوا في الدنيا والآخرة ولذلك ارتبط العلم في تاريخ الأمة الإسلامية بدراسة كتاب الله عز وجل، وأطلق اصطلاح العلماء على المتعمقين في معرفة الشرع بالدرجة الأولى بالإضافة إلى معرفة ما ينفع الناس من أمور دنياهم.

وقد درج المترجمون في العصر الحاضر على ترجمة المصطلح الغربي Science بلفظ العلم، علما بأن مفهوم المصطلح الغربي مناف تماما للدين ومناقض له لكونه اكتسب شرعية رغما عن الكنيسة وعلى حسابها. وهذا الصدد كتب التوسير (9) ما يلي: إن المذهب المادي الذي جاء لنجدة المعرفة و الباحثين (خلال القرن 18) كان يحميها قبل كل شيء من سلطة الدين ودجله. إن "خط الفصل التاريخي" آنذاك كان يمر بين "المعرفة الدينية" و المعرفة العلمية. لقد كانت المعرفة الدينية تريد التحكم في كل المعارف الموجودة، في حين أنها لم تكن تقارير لا دليل عليها وعداء لنشر المعرفة بين أبناء الشعب؛ وذلك في مقابل المعرفة التجريبية المفتوحة و"الحرّة" أمام الاكتشاف اللامتناهي لآليات الأشياء.

وإذا تتبعنا المسار التاريخي الذي تطور من خلاله مفهوم المصطلح Science في الثقافة الغربية نجد، من ناحية أولى أنه تبلور في مقابل مفهومين آخرين هما الدين و الفلسفة، كما أنه اكتسب ثقله وأهميته في الفكر الغربي على حسابهما. ومن ناحية أخرى نجد أنه ارتبط بشكل عضوي وثيق بمفهوم آخر هو التقنية. وهذه التقابلات غير واردة إطلاقا عند الحديث عن العلم في ثقافتنا الإسلامية. ولهذا نرى أنه من غير المقبول ترجمة المصطلح الغربي Science

إلى العلم، نظرا لاختلاف مفهومهما في كل من الثقافتين الغربية والإسلامية. و الملاحظ أن انتشار هذه الترجمة جعل أبناء المسلمين الآن يتداولون مصطلح "العلم" بالمعنى الغربي وليس بالمفهوم الإسلامي للمصطلح العربي، بل إن هذا المفهوم الأخير احتفى تقريبا من الاستعمال لذا نقتح ترجمة Science إلى "المعرفة" وترجمة Savants إلى "الباحثين" دفعا للالتباس المشار إليه. أما صيغة النعت Scientifique فتقترح ترجمتها بالتحريب أو المادي بحسب السياق الواردة فيه. فمثلا عندما يتعلق الأمر بعبارة La connaissance scientifique فيمكننا ترجمتها إلى المعرفة التجريبية لأن هذا هو المقصود منها. وحين يتعلق الامر بعبارة Les disciplines scientifique فإننا نقتح ترجمتها إلى المباحث المادية، وهكذا.

وفي رايانا أن هذه المشكلات بمستوياتها المختلفة نابعة من الانفصام الذي أحدثه الغزو الغربي بين الأمة الإسلامية وتراثها الحضاري حين أبعدت اللغة العربية التي هي مفتاح التراث الإسلامي- من موقع اللغة الأم ولغة العلم إلى موقعها الحالي كلفة ثانوية يدرس بها الأدب و الشرعيات لا غير. لكننا نلاحظ الآن أن آثار الغزو الفكري الغربي قد بدأت تتبدد مع تباشير الصحوة الإسلامية المباركة، وأن الانبهار بالمعرفة الغربية قد خف بدرجة كبيرة وفسح المجال لتعامل أكثر اتزاناً مع الطوفان المعرفي الآتي من الغرب . وما الاهتمام بقضايا المصطلح الذي جمعنا في هذه الندوة إلا دليل على تغير وشيك في اتجاه الأحداث.

بناء على هذا نرى أنه ينبغي، للتغلب على مشكلات الترجمة، اتباع خطة من ثلاث نقاط:

- النقطة الأولى تتمثل في إعادة الاعتبار للغة العربية في نظامنا التعليمي وجعلها لغة التدريس في جميع المستويات وفي جميع التخصصات. ذلك أنه بدون لغة مرجعية متينة وأصيلة لا يمكننا أن نواجه الغزو الثقافي الغربي العاتي .
- وتتمثل النقطة الثانية في استيعاب المعرفة الغازية بلغاتها الأصلية موضوعاً ومنهجاً استيعاباً يمكن المتخصصين من تحليل تلك المعرفة و التعرف على خلفياتها الثقافية وخصوصياتها الحضارية.

أما النقطة الأخيرة فهي إعادة كتابة المعارف الغربية بلغة عربية سليمة تراعى فيها دقة المصطلحات ودلالاتها الحضارية، مع بيان نقط القوة والضعف في تلك المعرفة ليستفاد من ذلك في تطوير الأبحاث في اتجاه يخدم المستقبل الحضاري للأمة الإسلامية.

قضايا عامة في ترجمة المصطلح الأجنبي

من قضايا ترجمة المصطلح النقدي

د. محمد بوحدي

كلية الآداب، ظهر المهرار فاس

يشهد النقد العربي الحديث نمواً واتساعاً وتدققاً على مستوى التأليف والترجمة، ويحاول أن يكرع من مناهل النقد الغربي مستلهماً نظرياته، ومقتبساً مناهجه، ولكن هذه المحاولات لم تسلم في أكثر الأحيان، من الاضطراب والتعثر والارتباك. وقد يكون من أسباب ذلك المصطلحات الأجنبية وما تثيره من مشاكل وقضايا لا حصر لها؛ فالمصطلح يتأثر قليلاً أو كثيراً عندما يتم نقله من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف.

وسأقتصر في هذا العرض على قضيتين اثنتين هما:

غموض المقابل العربي للمصطلح الوافد.

تعدد المقابل العربي للمصطلح الأجنبي.

- غموض المقابل العربي للمصطلح الوافد.

من الخواص الأساسية للمصطلح أنه ذو مدلول دقيق وواضح، وذو معنى محدد، ولكن الملاحظ أن حشداً كبيراً من المصطلحات الوافدة التي يتداولها النقاد والمشتغلون بالأدب غامض وملتبس، يستعصى على الفهم، مصطلحات تتعدد مفاهيمها بتعدد النقاد، وتقدم تصورات مختلفة لقرءاء مختلفين. فإلى ماذا يعزى هذا الغموض؟ إلى قصور في الترجمة أم إلى استخدام المصطلح في سياق فكري بعيد عن سياقه الذي ارتبط به في بيئته الأصلية؟ أم يعزى إلى أن المصطلح في لغته الأصلية غامض وفضفاض وغير محدد؟

الواقع أن لهذه الأسباب مجتمعة أو متفرقة (قصور في الترجمة تغييب السياق الفكري للمصطلح - غموض متأصل في طبيعة المصطلح الأجنبي) دوراً لا ينكر في غموض المصطلح

العربي. ولا يتسع المجال لبسط القول في كل سبب من هذه الأسباب على حدة، وتقدم الأمثلة والشواهد، لذا سأكتفي بمناقشة السبب الأخير، وأمثل له بثلاثة مصطلحات على قدر كبير من الرواج والانتشار، ولكنها في المقابل، تتميز بأنها مصطلحات مترقمة وغامضة ومنفلتة، يعيش في وهم كبير من يزعم أنه يمتلك مفاهيمها، وهي الحدائة: Modernism .

وما بعد الحدائة: Post-modernism .

والموضوع أو الفكرة الرئيسية المهمة في النص: Theme

أ - الحدائة : Modernism

لا يمكن فهم الأبعاد النظرية للحدائة دون أن نستحضر مصطلحين إنجليزين آخرين يستخدمان في نفس السياق بدالتين مختلفتين، هما: Modernity / Modernization فالأول: Modernization يعني التحديث، ويركز مفهومه على درجة التقدم العلمي والتطور التكنولوجي التي وصل إليها المجتمع.

أما الثاني: فقد ظهر إلى الوجود مع بداية النهضة الأوربية، ويعني في معناه العام كما جاء في معجم اكسفورد:

رؤية عصرية أو أسلوب عصري.

حركة في الفكر الديني تسعى إلى إخضاع تعاليم الكنيسة لتسجيم والأفكار الجديدة.

أحدث مراحل تاريخ العالم المعاصر وتتميز بالإيمان بالعلم والتقدم والعقلانية والعلمانية، والإيمان بالمستقبل، والانبهار بقدرة التكنولوجيا الحديثة على صنع المعجزات، والافتناع بإمكانية تحقيق عالم مثالي تسوده العدالة والنظام والرفاه المادي، فـ: Modernity تؤكد على الفلسفة المادية كخيار استراتيجي في الحياة.

ولكن الكثيرين من المفكرين من رواد الحدائة مثل جيمس جويس، والدكتور لورانس

عبروا عن شكوكهم في الحدائة وأهموها بتحجيم دور الإنسان واختزاله إلى مجرد مخلوق مادي

نحركه النوازع والأهواء والقيم الاستهلاكية، وتحويل الدين إلى مجرد طقوس شكلية خالية من أي معنى، في احتفالات أعياد رأس السنة الميلادية، وفي حفلات التعميد⁽¹⁾.

وتعني الحداثة: Modernity عند ماكس فيبر: مجموع القيم والسلوكيات التي أدت إلى ظهور المجتمعات الصناعية والرأسمالية في العالم الغربي، والتي تولدت عنها حركة المد الاستعماري خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

أما: Modernism فهي الثقافة المنبثقة عن: Modernity وهي نزعة في الفن الحديث إلى تَدَفُّع إلى قطع الصلات بالماضي والبحث عن أشكال من التعبير جديدة.

ومن روادها في مجال الأدب جيمس جويس، واليوت والدكتور لورانس. ويلاحظ أن المصطلح الإنجليزي، في الحقيقة، مصطلحان: Modernity - Modernism

والكثيرون يترجمونها كليهما بمعنى واحد وهو الحداثة، والقليل من يميز بينهما فيضع الحداثة في مقابل: Modernity .

والتحديثية في مقابل: Modernism .

ب - ما بعد الحداثة: Post-modernism .

يعود استخدام مصطلح ما بعد الحداثة Post-modernism استخداما أدبيا إلى ما قبل حوالي أربعين سنة، فقد استعمله الروائي الأمريكي جون بارث في مقالتي مختلفتين بمعنيين متناقضين⁽²⁾، الأولى كتبها سنة 1967، والثانية كتبها سنة 1979، كما ردها بعض النقاد والفنانين في نيويورك عام 1970. وفي سنة 1984 ألف الفرنسي جان فرانسوا لوتار كتابه المعروف: حالة ما بعد الحداثة، وترجم إلى الإنجليزية بعنوان: ⁽³⁾ The Post-modern Condition ؛ فند فيه كل الرؤى والأسس التي قامت عليها فكرة الحداثة، وفي العام نفسه أي 1984 ألف تشارلز جينكس كتابا

بالتعنوان: What is Post-modernism .

ما "ما بعد الحداثة"؟ .

وتحولت موجة ما بعد الحداثة في النهاية إلى موضة آسرة، وإلى مصطلح رنان يقصد به مجرد لفت النظر وإثارة الاهتمام، لأنه في الحقيقة لا يبشر بمرحلة جديدة في التاريخ الإنساني. وأخذ الكثير من الدوريات العلمية والمجلات الأكاديمية تكتب عن: ما بعد الحداثة، كما صار كل فرع من فروع المعرفة يتأمل نفسه في مرآة الحداثة، ومن خلال عيون ما بعد الحداثيين⁽⁴⁾، فكتب كريفين: الله والعقيدة وما بعد الحداثة (1989)، وصدر كتاب عن المكتب الأبيض بعنوان: رئيس ما بعد الحداثة (1988)، وتطلع الباحثون والمفكرون إلى مرحلة ما بعد الحداثة، فألفوا كتباً مثل: أبعد من عقل ما بعد الحداثة.

أما تشارلز جينكس الذي سبقت الإشارة إليه فقد ضاق ذرعاً بهذا المصطلح وأعلن موته، ودعا إلى استبداله بمصطلح جديد هو: الحداثة الجديدة، ولا يخلو هذا المصطلح المقترح من غموض كسابقه، كما دعا بعضهم إلى استعمال مصطلح: الحداثة المتأخرة.

ولا يوجد تعريف دقيق وواضح لمصطلح ما بعد الحداثة في أي من المراجع المذكورة، فكلما ينبه إلى أن المصطلح غامض يتعذر تحديد مفهومه بشكل دقيق، وتعتمد إلى ذكر بعض الملامح الكبرى التي تميز مرحلة ما بعد الحداثة، وهي ملامح تنتمي إلى مجالات معرفية متنوعة: فلسفية وأدبية وتاريخية ومعمارية وسوسيولوجية وإعلامية وجمالية إذ لا يعرف منشأه الأصلي على وجه اليقين؛ وعندما يرد هذا المصطلح في نص ما فلا بد أن يعكس بعض هذه الملامح أو جلها، وهنا⁽⁵⁾:

- يتميز عصر ما بعد الحداثة بتفنيد كل الرؤى والأسس الفكرية التي قامت عليها الحداثة كالتأكيد على فكرة المركز وذاتية الأمة، والنظرة إلى العالم كبنية شمولية، وتوقع الحلول النهائية، والأجوبة اليقينية الحاسمة.

ومن أجل مقارنة أدق وأعمق لمفهوم ما بعد الحداثة على المرء أن يبحث عن خصوصية المعنى وغناه بدلا من البحث عن الوضوح والدقة، وأن يتجنب الخيارات الصارمة بين الأبيض والأسود، بين هذا وذاك.

- تتزامن مرحلة ما بعد الحداثة مع عصر الإعلام القوي الجبار المتغلغل في كل مناحي الحياة، فالإعلام يسلي، ويثقف، ويهذب، ولكنه أيضا يفسد ويضلل ويخرب، إنه الدينامو الأساسي، وصانع الحقيقة في مرحلة ما بعد الحداثة، ولم تعد الأمم والشعوب تخشى من أي تهديد خارجي، ولكنها تخشى سطوة الإعلام وآلة الجهنمية الطاحنة، إن مجموعة من اللقطات والصور التلفزيونية يمكنها أن تدمر بلداً تدميراً شاملاً، كما لو أن أسطولا من السفن الحربية قصفته بوابل من القذائف الصاروخية.

- الربط ما بين ما بعد الحداثة وظهور الحركات الدينية والاثنية المتطرفة، أو الحركة الأصولية، وبالنسبة فإن مفهوم الأصولية كما تروجه وسائل الإعلام في مرحلة ما بعد الحداثة لا ينحصر في الدين؛ فاللبنينية الماركسية هي شيوعية أصولية.

العودة إلى الماضي واستلهامه والارتقاء في أحضانه ملامح أساسي من ملامح مرحلة ما بعد الحداثة، وهي سمة أساسية من سمات أدب ما بعد الحداثة كذلك.

- من الملامح الأساسية لمرحلة ما بعد الحداثة نمو المدينة نمواً متزايداً، وامتداداتها العملاقة أفقياً وعمودياً، واستقطابها لإعداد ضخمة من البشر، إذ أصبحت رمزاً للأمل والرفاهية والنعومة والإلهام.

ولكنها من جهة أخرى مرادف للشرور والكوابيس والرعب والقهر، إن هندستها المعمارية تخنق الإنسان وتقهره، وتخلق بيئة اجتماعية مميزة يسود فيها مفهوم جديد للحياة ونمط للعيش يتميز بالفوضى والهميار القيم الدينية والأخلاقية مثل الشفقة والرحمة، وحلت محلها الأنانية والعنف المجاني الشرس.

وقد وصف ليفي شتراوس حياة المدينة قائلاً:

حياة المدينة قدرة وبغاء وفوضى وإفلاس أخلاقي، وبراز، وأوحال، ودور صفيح، ورائحة عرق، وروث بهائم، وقبح وصديد

ج Theme

ويقابله في العربية الموضوع أو الموضوع؛ وهو الفكرة المهيمنة في نص أو في مجموعة من النصوص، ومن النقاد من يفضل تعريف المصطلح لا ترجمته، وذلك بإبقائه على لغته الأصلية بعد إدخال بعض التغييرات التي يقتضيها التعريب، فينطق هكذا: التيمة بالثاء المثناة إذا كان المصدر الفرنسية، والتيمة بالثاء المثناة إذا كان المصطلح الأجنبي إنجليزيًا. ويتميز هذا المصطلح كسابقه: الحدائة وما بعد الحدائة، بالغموض الشديد في اللغة الأصلية، بله العربية. يقول غريماس⁽⁶⁾:

ومن الملاحظ أن الموضوع: Le Theme فضفاض وشديد التفاوت، وإنه إذا ما أراد علماء الدلالة أو علماء اللسانيات أن يدققوا في التحديد الذي قدمه بارث لهذه المفاهيم الأساسية فإنهم سيجدون أنفسهم تائهين".

ويقول ديفيد كوهين⁽⁷⁾: "إنه من الصعوبة بمكان أن نفهم ما الذي يمثله الموضوع". وتحدث جيوفري ليتش عن سبعة أنماط من المعنى، وذكر من ضمنها ما سماه بالمعنى التيماتي⁽⁸⁾:

Thematic meaning

ويتعلق بترتيب عناصر الجملة، فقولنا:

ضرب زيد عمراً يختلف عن قولنا: عمراً ضرب زيد. ففي كل مرة يقع التركيز على الكلمة التي يفترض أنها تتضمن معلومة جديدة في مقابل ما يفترض أنه معلوم سلفاً.

فالمعنى التيماتي هنا هو مسألة اختيار بين بدائل تركيبية معينة

- تعدد المقابل العربي للمصطلح الأجنبي :

من مظاهر السلبية في النقد العربي الحديث تعدد المقابلات العربية للمصطلح الأجنبي الواحد، وقد يصل عددها في بعض الأحيان إلى ثلاثين مقابلاً، وهو أمر مستهجن ولا يصدق العقل، وطالما دعت الجماع اللغوية العربية على امتداد الوطن العربي إلى تجنب تعدد الدلالات للمصطلح الأجنبي الواحد⁽⁹⁾، ولكن لا حياة لمن تنادي.

إن المصطلح الأجنبي الواحد يتحول في اللغة العربية إلى جملة من المصطلحات يقل عددها أو يكثر،

فمثلا المصطلح الإنجليزي: Thematic Criticism يصبح في العربية:

النقد الموضوعاتي (10).

النقد الموضوعي (11).

النقد الثيماتي.

النقد الثيماتيكلي.

النقد الجذري (12).

النقد المداري (13).

فالمقابل العربي غير موحد في المقابلات التي اخترناها، وبعض هذه المقابلات يكتنفه الغموض كالنقد المداري، فلا يفهم المقصود بالنعته: المداري.

وأظن أن من الأنسب هنا تعريب المصطلح؛ النقد الثيماتي أو النقد الثيماتيكلي، لا ترجمته تجنبا للتعدد واخترازا من الوقوع في التقصير أثناء الترجمة.

ولاشك أن تعدد المقابلات العربية للمصطلح الواحد يصدد القارئ ويولد في نفسه الحيرة والقلق، ولا يمكن أن تزول هذه الظاهرة وتختفي من حياتنا الثقافية إلا بزوال أسبابها، وهي كثيرة منها: غياب التنسيق بين العاملين في حقل الترجمة

الوامش:

- 1- Postmodernism and Islam: p: 7. AKBARS. Ahmed. 1992 London and New-york.
- 2- Post-modernism and Islam, p: 8.
- 3- ترجمة إلى الإنجليزية: G.Bennington and B. Massumi .
- 4- Post-modernism and Islam .
- 5- نفسه : 10 .
- 6- الموضوعية البنيوية، دراسة شعر السياب 14، عبد الكريم حسن، ط. 1 1983.
- 7- الموضوعية البنيوية، دراسة في شعر السياب : 18 .
- 8- Semantics, P: 10
- 9- العربية لغة العلوم والتقنية: 330، عيد الصيور شاهين.
- 10- النقد البنيوي الحديث بين لبنان وأوروبا. فؤاد أبو منصور.
- 11- الموضوعية البنيوية دراسة في شعر السياب، عبد الكريم حسن.
- 12- النقد البنيوي الحديث، فؤاد أبو منصور.
- 13- نقد النقد لتودروف، ترجمة سامي سويدان.

البعد التداولي في الحجاج اللساني (استثمار التداولية المدججة)

ذ . بنعيسى أزييط

كلية الآداب مكناس

ملخص المداخلة :

تسعى هذه المداخلة الى إبراز " البعد التداولي " في الحجاج اللساني ، انطلاقا من الفرضية التي تقول : " إن الحجاج فعالية تداولية جدلية " تقوم عناصره الاستدلالية على معطيات عملية تواصلية ، في صلب اللغة أو الخطاب الطبيعيين ، ويحتكم فيهما الحجاج (1) الى أساسيات محايدة لن ومؤطرة إبان ، ومنها : العماد اللغوي ، وطبيعة الاستدلال ، ومقتضيات الأحوال ، والمعارف المشتركة ، التي تكيف كلها نتائج العملية والنظرية .

كما تنصب المداخلة - في مساءلتها للحجاج على قراءة نماذج من الحجاج اللغوي العربي القديم ، منظورا إليها على أنها نماذج رائدة في صلب الحجاج اللساني الطبيعي .

•مدخل:

يعد الحجاج " Argumentation " اوالية خطابية وخطابية " Diseursifet oratoir " لدى الانسان ، ممارستها مع الآخرين دفاعا عن افكاره ومعتقداته ، عارضا أو مفندا ، محاور أو مقنعا (aleron 1983 : 3 4) .

إنه فعل عقلائي " Acte rationnel " يبرر به صاحبه أنماط أفعاله ، بالحجة والبرهان ، بشكل طبيعي ، أو يتعمل فعال ، غير شبكة من الأقوال أو التعابير الحاملة لقوة حجاجية ، تستجيب لأهداف تأثيرية إنجازية في المخاطبين أفرادا أو جماعات ، (Moeschler 1985 : 46) .

إلا أن الحجاج في معطفه لا يتم إلا باللغة أو الخطاب ، او داخلهما معا، الشيء الذي يجعل الحجاج ذا بعد تلفظي استدلالي ، ينتمي عناصره الحية المتفاعلية الى " المجال التداولي " بحكم متغيراته وآفاه " كأن يعتمد المحاور في بناء النص الصور الاستدلالية مجتمعة

الى مضامينها أوثق اجتماع، وكان يطوي الكثير من المقدمات والنتائج، ويفهم من قوله أموراً غير تلك التي نطف بها، وكان يذكر دليلاً صحيحاً على قوله من غير ان يقصد التذليل به، وأن يسوق الدليل على قضية بديهية أو مشهورة، هي في غنى عن دليل للتسليم بها، كل ذلك لأنه يأخذ بمقتضيات الحال من معارف مشتركة، ومعتقدات موجهة، ومطالب إخبارية، وأغراض عملية .

وكل سبيل استدلاي يكون هذا وصفه فهو سبيل احتجاجي لابرهاني، يفيد فيه المقام التراكيب ويرجح فيه العمل على النظر " (طه 1987 : 40) .

هذه العناصر المتغيرة يجد " الحجاج " على أنه "فعالية تداولية جدلية: فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي ، اذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية ، ويهدف الى الاشتراك جماعيا في انشاء معرفة عملية، إنشاء موجهها نقدر الحاجة .

وهو أيضا جدلي : لأن هدفه إقناعي ، قائم بلوغه على التزام صور استدلاية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة ، كأن تبني الانتقالات فيه ، لا على صور القضايا وحدها، كما هو شأن البرهان ، بل على هذه الصور مجتمعة الى مضامينها أيما اجتماع ، وأن يطوي في هذه الانتقالات الكثير من المقدمات والكثير من النتائج ، وأن يفهم المتكلم المخاطب معاني غير تلك التي نطق بها ، تعويلا على قدرة المخاطب في استحضارها إثباتا أو إنكارا كلما انتسب الى مجال تداولي مشترك مع المتكلم " (م . ن : 59 60) .

لكن كلما ثابنت أنماط الحجاج وتوجهاتها المعرية والأدائية ، كلما تباين في الوقت نفسه عناصر المجال التداولي المستثمر ، وتخصصت زوايا التقاط الأثر التداولي ، تحليلا وتقويما، منهجا وتطرقا .

ومادام الامر في هذه المداخلة ينصب على نظرية الحجاج تداوليا ، وتطبيقها على نص حجارجي لغوي عربي قديم ، فإننا سنعمل على :

1 التعريف بنظرية الحجاج اللساني تداوليا ، وبسط التعالق بين نظرية الحجاج ونظرية التلفظ مقترحين نموذجا تداوليا ملائما للحجاج بموضوعاته ومناهجه الحجاجية .

2 ثم نعمل على رصد انعكاس مقومات هذا النموذج التداولي على نص لغوي حجاجي عربي قديم ، ثمثلة المناظرة التي جمعت بين أبي سعيد السيرافي ومنى بن يونس .
1/ - الجانب النظري :

الحجاج اللساني تداوليا

1 التعريف :

تختلف تعاريف " الحجاج Argomentation " من حقل معرفي لآخر، ومن زاوية استثمارية لأخرى ، وحسب العلوم التي يوظف داخلها أساسا أو عرضا، ووفق قوامها الايستمولوجي أو المنهجي .

إلا أن التعاريف كلها ، وكبما كانت انبثاقا المعرفة وحقوقها التحريبية ، يجمعها في نهاية المطاف ذلك الخيط الرابط بين قواعد المنهج الحجاجي وغاياته وهو الخيط الجامع بين العقلية والاقناعية في القضايا والاطروحات التي تساق حجاجيا ، وهذا ما يؤدي إلى مصداقية الحجاج ومشروعيته ، كلما احتجاج المقام الحجاجي أو محيطه إلى تبرير مسطراته الاستدلالية أو الاجرائية ، على صحة اللغة أو الخطاب .

إلا أن التعريف التالي خير ملخص لأساسيات الحجاج اللساني الطبيعي .

" إنه تلك الخطوات التي يحاول بها الفرد أو الجماعة أن تقود المستمع أو المخاطب إلى تبني موقف معين وذلك بالاعتماد على تمثيلات [ذهنية مجردة أو حسية ملموسة]
representations حجيات Arguments تهدف إلى البرهنة على صلاحية رأي أو مشروعته " .

(أوليرونه 1983 : 4)

2/ - خصائص الحجاج :

يستدعي التعريف السابق خصائص الحجاج الأربع التالية (بصفة عامة): " يضم الحجاج عدة أشخاص: منتجين له أولا، ومتقبلين له ثانيا، بما في ذلك العموم أو الحضور".

وبهذه الخاصية يغدو الحجاج ظاهرة "اجتماعية" Social ، حيث تخصص هذه "الاجتماعية" بتخصيص موضوع الحجاج وفتاته وبمجاله المعرفي على المستوى الماصدقي والمستوى المفهومي .
2 " ليس الحجاج ممارسة تأملية Speculatif، بل هو عملية تسعى الى خلق تأثير influence في الآخرين " .

وهو بهذا وجود فكري فعلي يتجه نحو الممارسة الآتية ، وتتحكم فيه معطيات الجاهمة والمدافعة، تقدر الامكان والضرورة .

وهو بهذا أيضا " مناخ تداولي " تعيش فيه كل الأطراف المتحاوره ، فتتنفس به العقول والقلوب على حد سواء ، سلبا أو إيجابا .

3 " وسيلة الحجاج التبرير والتعليل ، كما يستخدم البرهنة لصالح الأطروحة أو الفكرة التي يدافع عنها بطريق لا تنم عن فرض أو قوة .

لهذا فإن هذا الاجراء يحتوي على عناصر عقلية naisonnemt والمنطق Logiyu " .
ودون أن تضرب هذه العناصر في ثنايا التجريد التعليلي وما وراثيات المنطق .

بهذه الخاصة يغدو الحجاج " فعلا عقلانيا ACTE NATIOBBEL ، دون أن يتمحض للعقلانية الخالصة .

4 " لا يتم الحجاج الا باللغة وداخلها ، وسواء اعتبرت اللغة وسيلة أو هدفا، أو كانت اللغة ثابتة (ت: جملا وقضليل ونصوصا) أو متغيرة (ت: ملفوظات وتعابير وأقوال وخطايا، ..) ، فالكل تلحقه النمذحة الاجرائية الحجاجية .

لذا يصبح الحجاج بهذه الميزة ذلك المجال الذي تنعكس فيه أنشطة المتكلمين والمخاطبين لسانيا .

وبهذا أيضا يجسد الحجاج " أفعالا لسانية : Actis linguistikus طبيعية في تصورهما اللساني (ت: حوارات، محادثات، مفاوضات مناقشات، مناظرات، تبادلات،)
قد تتركز على " الملفوظات الحجاجية Enonces argumentatives " انطلاقا من بؤرة " التلفظية الحجاجية Enouciation Argumentative " وإسقاطها التداولية نفسها .

كما تمارس وتروج ضمن التلفظية الخطابية " اللغة الواصفة الحجاجية Meta language Argumen " (= : مصطلحات، مفاهيم، إجراءات، أدوات، روابط، مؤشرات ، فرضيات ، علوم ، شبكات ، توجهات ، تمثيلات الخ .) .
تكاد الخصائص السابقة (2) أن تكون الغالية في كل حجاج ، وكيفما كان نوعه المعرفي من الناحية النظرية .

ولا نريد أن نغفل - في هذا الصدد - الجانب العملي الملموس في الحجاج، ونعني به الجانب الحركي "والاشاري" وبالخصوص الجانب المتعلق بالوجه واليدين والشففتين، والتغيرات التي ترافقها أثناء الاستدلال، وما يتبع ذلك من الفعالات مادية وصوتية، من تبئير ونبر وتنغيم ، مواكبة لعملية التحاج .

إن هذا الجانب - إن كان مهما في تفسير المتواليات الحجاجية Sekuences Argumentatives أو تأويلها - لا يمكن رصده ، إلا إذا تمكنا من حضوره ، أو تمكنا من استحضاره عبر شريط مرئي مسموع ، أو حاولنا افتراض هذا الجانب إذا صادفتنا نصوص بحاجية مكتوبة .

وما دام الحجاج تطبعه الاجتماعية والتأثيرية ، وتتنازع الآفعال العقلانية واللسانية، وتسود فيه الحركية والنشاط ذهنيا وبيولوجيا ، فإنه يُؤسس بالفعل والقوة مجالا تداوليا .
لكن أي مجال تداولي ملائم للحجاج اللساني ؟ وما طبيعة التعلق بين نظرية الحجاج ونظرية التلفظ؟ وما اواليات هذه النموذج التداولي حجاجيا ؟ وما موضوعاتها ومناهجها الحجاجية ؟ وكيف تنعكس هذه الموضوعات والمناهج في اللغة أو الخطاب ؟
تلكم بعض التساؤلات التي سنحجب عليها تباعا في المراحل التالية :

3 اشكال التعالق بين التداولية المدمجة والحجاج اللساني :

- لانحائب الصواب إذا قلنا: إن الحجاج اللساني يشكل مجالا لكل التداوليات الصورية الطبيعية، ولتداوليات ذات الدرجات الثلاث (3) لكن تظل "التداولية المدمجة: Lapragmatikue integree" من بين التداوليات التي - نراها تتسم بكفاية قوية Adikuatation foete إزاء تحليل النجاح اللساني، وهذا الزعم قد برهنت عليه الأعمال التداولية

المعاصرة (انظر دو كرو، موشر، أنسكومير ، نيف، جور كنسون،) ، ولو في أجزائها
التصورية الأولى ؟

لماذا كانت التداولية المدججة p/i صالحة لتناول الحجاج اللساني ؟

إن الاجابة على هذا السؤال تكمن في قول موشر (1985 . 72) :

- : رهان نظرية الحجاج مزدوج : فهي تسمح باستخلاص خصائص نظرية التلفظ *theorie de l'enonciation* من جهة ، ومن جهة أخرى تبرهن نظرية الحجاج على أنها صالحة لأن تتناول في إطار التداولية المدججة ، أي التداولية المدججة في الدلالة " .
باعتبار أن الحجاج في رتمه حجاج بالمضامين الدلالية .

ولذا فالإطار العام الذي يحكم الحجاج هو الإطار الدلالي غير أن ما يتفاعل داخله هو

العناصر التداولية ، بشروط تلفظية ، فما العلاقة بين الحجاج والتلفظ ؟

4 تعلق نظرية الحجاج بنظرية التلفظ :

من مقومات هذا التعلق ما يذكره موشر (1985) :

- إن نظرية الحجاج المعاصرة تستبطن مبادئ تحتية في العملية المعرفية الخطائية ، وهذه المبادئ تعود الى السلسلة الحوارية المشتركة (*topoi*) (4) التي تشكل مجالات حجاجية .

- إن نظرية الحجاج المعاصرة لا تفرق عن نظرية التلفظ .. بحيث إن خصائص النشاط التلفظي تتكون من النشاط الحجاجي *Activite Aryamenlative* الذي نستطيع أن نترجمه بفعل إنجازي *Acte Illocutoise* الذي يعادل فعل الأمر أو النهي أو السؤال وبالتالي تجسد نظرية الحجاج نظرية عامة هي نظرية التلفظ .

- أما الفكرة القاعدية لنظرية التلفظ كما طورها " انسكومير *Anscombe* وكرو

" *Du crot* فتكمن في المسلمة التالية : (مس 1) :

مس 1 : " كل معنى للمفوض معين ، إنما هو إلماع وإشارة إلى نلفظ معين .

أو بعبارة أخرى :

إن المعاني التي تفهم من الملفوظات الأقوال إنما تعود أساسا لعملية التلفظ نفسها ، وليس

لعملية القوة الانجازية *foraliloutoise* مما عند سورل 1972 / *scasle*

ويعني هذا الفهم الجديد أن لكل ملفوظ ماهو الاصورة image تشكل مرشدا لقراءة .م.ن : (73) .

5 أسس نظرية التلفظ الحجاجية :

إن أهم ما يؤسس نظرية التلفظ الحجاجية ما يلي :

1-5 المؤشرات الحجاجية التلفظية :

Instutions enonciatife

" لكي نفهم الملفوظ E يجب أن نبحت عن التلفظ التحتي (= فعل التلفظ E

Acte de) المتعلق ب E (م، ن : 73) .

2 . 5 يؤسس نظرية التلفظ المتلظ (أو اللافظ)

Enonciateur وليس المتكلم (انظر دو كرو 1980 p) .

إذ المتلفظ هو المسؤول عن النشاط الانجازي Activite Illocutoire ، في حين يعذو

المتكلم مسؤولا عن النشاط الكلامي Activite lomtoire وعلى هذا المعنى يصبح للمتكلم

متلفظ أرعدت متلفظين قد لا يشابهونه (= انظر مصطلح التعدد polyphonie عند دو كرو

1980 p) .

3. 5 إن نظرية التلفظ ونظرية الحجاج تشكلان جزءا مما أطلق عليه " دو كرو

انسكومر 1976 .

اسم " التداولية المدججة " pragmatikue intergree " التي تعني: النظرية الدلالية التي

تنصب على مظاهر تداولية المعنى Aspects pragmetigues du sens (م . ن : 74) .

فما خصائص هذا النوع ضد التداوليات ؟ وما موضوعاتها ؟ وما منا مدججة التحليلية ؟

6 خصائص التداولية المدججة :

1. 6 : تبتق فكرة " التداولية المدججة " عن تطبيق المسلمة السابقة (مس 1) :

*- [لا وجود لمعنى الملفوظ إلا بالعودة الى تلفظه]

ويعني ذلك " الحاقه المظهر التلفظي للمعني Aspect monciatif flivi ، معظهره الاخباري Aspect informatif ، أو معظهر شروط الصدق vericonditionnel (الذي تنتجه الدلالة) (م.ن : 74) .

2. 6 : تميز التداولية المدججة بين :

أ ما يعود الى الخصائص الداخلية للغة :

(الوقائع المراضعية : Faits conventionnels .

ب - وما يرجع الى الخصائص الخارجية للغة :

(= الوقائع السياقية : faits contextels) .

(أو = الوقائع الحوارية Faits conversationnele)

مفهوم كرايس grice

(وهذا يعني أن التداولية المدججة لا تتناول جميع الظواهر المتعلقة تقليديا بالتداوليات، بل تدرس فقط تلك الظواهر المتعلقة بالمواضع اللسانية Laconventionnatite lingistie داخل بنية اللغة) ، (م.ن : 74) .

ولذا كانت التداولية المدججة لها ارتباط كبير الاستراتيجية الاقتضائية

Presuppositions ، أو أنها تعتمد على العماد اللساني الذي تعتمده الاقتضاءات في

الاستدلالات الاشتقاقية (انظر أزييط 1997) .

3 . 6 موضوعات التداولية المدججة : رصد البثاء ورصد التوجيه :

- أما موضوعاتها فتحدد عنه " أنسكوسر دو كرو 1978 1979 " في الفرضيتين

الخارجية والداخلية التاليتين :

- الفرضية الخارجية :

رصد البناء : " لايتشكل موضوع التداولية المدججة من ملفوظ معين ، وانما بالاصح

يتشكل من ذلك المعني المرتبط بذلك الملفوظ " (م.ن : 75) .

- الفرضية الداخلية : رصد التوجيه

يتشكل موضوع التداولية المدججة خارجيا من اوالية " التوجيه الحجاجي orientation Argumentative الموظفة للمؤشرات الحجاجية سلبا أو إيجابا .
4. 6 مناهج تحليل التداولية المدججة : المؤشرات الحجاجية :

يتولد " المعنى sens " من مجموع المؤشرات Instructions الحجاجية (مصطلح دو كرو) ، وهي مجموعة من المؤشرات Indicatins التي تسند معنى من المعاني الى التلفظات ruonciations .

وقد تأخذ المؤشرات الحجاجية احدى المظاهر التالية :

- أدوات حجاجية Margues argumentatives

- عوامل Operateurs .

- روابط conuecteurs .

أواليات خطابية Mecanismes discoursifs

- وغيرها .

(انظر مؤشر 1985 : 65) .

وتنقسم هذه المؤشرات الى ثلاثة أصناف :

1. 4. 6 المؤشرات الحجاجية : I/a

وداخلها نجد :

- العوامل الحجاجية O/A

- أروابط الحجاجية C/A

وبها يتخصص الحجاج ويوجه دفتيه بداية ونهاية افتتاحا واختتاماً .

(لاحظ تحليل : ومؤشر وغيرهما)

العربي : انظر ابن هشام في المغني نموذجاً) .

2. 4. 6 المؤشرات التلفظية : I/E

تتعلق هذه المؤشرات بنظرية التلفظ أساسا وقد تلعب فيها الأدوات اللغوية مفردات

ومركبات وتعابير دور تحصل المعنى أو استخلاصه من التلفظ لا من الدلالة .

[لاحظ المركبات التالية : ومع ذلك ، إى أنه ، لكن ،]

ودورها في تخصيص المعاني للدلالات .

3 . 4 . 6 المؤشرات الخطابية : Idiscursives .

تقدم هذه المؤشرات على نظام مرجعي خطابي ، أو على استثمار بنيات لغوية معينة

داخل مجال تخاطبي معين ، ومنها :

- نظام التسلسل الحواري Enchainement

- نظام بنيات المطروح Pose لابنيات .

- المقتضى Presuppose

- بنيات المعاني الحرفية لا المعاني المشتقة .

في سبيل استخلاص المعاني الحوارية المرسلة Conveyed لا المعاني المقولة Said ، واشتقاق المقتضى والمعنى المشتق والمعنى المسكوت عنه بصفة عامة

(لاحظ اشتقاق المعنى : " مدني بالملح " من التعبير الخيري : " الحساء يحتاج الى ملح " مثلا)

هكذا تأتي على أهم مقومات نموذج " التداولية المدلجة " تصورا وادراكا ، موضوعا

ومنهجيا ، أدوات وإواليات فهل سمنطو أن نقرأ بهذه الأساسيات التداولية الحجاجية نصا

عربيا قديما ، من قبيل نص المناظرة التي جمعت بين أي سنعتد السيراني النحوي ومتى بن يونس

المنطقي ؟

2- الجانب التطبيقي :

(مناظرة حتى بن يونس وأبي سعيد السيراني)

1 - تاريخ المناظرة ومجلسها :

إنها المناظرة التي جرت فيمجلس الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات بين أبي سعيد

السيراني النحوي، وأبي بشير متى بن يونس القنائي، سنة ست وعشرين وتلاثمائة للهجرة، في

مجلس ضم عددا كبيرا من أعلام ذلك العصر، ومنهم الكندي وقدامة بن جعفر وأبو فراس

ويحيى العلوي والمرزباني وغيرهم. وقد نقلها أبو حيان في "المقاييمهات" و" الامتاع والمؤانسة"

عن السيراني وعلي بن عيسى الرماني .

والمناظرة طويلة وممتعة ، وبها قضايا كثيرة ومتعددة ، وسنعمل على الاستشهاد بما نراه
ذا فائدة بالنسبة لموضوع هذه المداخلة في جانبها التطبيقي .

2 - بؤرة الحجاج :

- ادعاء حتى بن يونس :

" لاسييل الى معرفة الحق من الباطل، والصدق من الكذب، والخير من الشر، والحجة من
الشبهة ، والشك من اليقين ، إلا بما حوينا من المنطق ، وملكانه من القيام به ، واستفدناه من
واضعه على مراتبه وحدوده ، فاطلعنا عليه من جهة اسمه على حقائقه "

(الامتاع 1 / 108)

وليكن صياغة هذا الادعاء على الشكل التالي :

بؤرة الحجاج = 1 ج [قضية أو قضايا]

حيث : + ج : الدفاع عن قضية أو قضايا حجاجية .

- ج : نفي أو دحض قضية أو قضايا مرتبطة بالحوار الحجاجي .

ويمثل الادعاء - أعلاه - بؤرة الحجاج وصلبة ، ومنها كتشكل قضايا الزعم المنسوبة لمتى
بن يونس المنطقي ، وقضايا الرد والتفنيد التي يصدرها أبو سعيد السيرافي النحوي .

3 - طبيعة الحجاج :

- أسئلة وأجوبة ، يتنازعها قطبان :

- قطب يعتبر المنطق الأداة الوحيدة للمعرفة إذا لم تكن مصدر المعرفة كلها (=) :

متى بن يونس) .

- قطب يرفض هذا الادعاء ، ويركز على دور النحو والاستعمال اللغوي ، ويذهب

الى الاستنتاج التالي :

- " النحو منطوق ولكنه مسلوخ من العربية ، والمنطق نحو ولكنه مفهوم باللغة "

(=) أبو سعيد السيرافي)

4 - تجسد المناظرة مناخا حجاجيا تداوليا ومعرفيا :

من عناصره الأساسية :

- 1 صاحب الادعاء ومفنده ، وهما قطبا الحجاج وعليهما تقدم عملية التناظر تكلما وتخطبا (= متكلم — مخاطب) .
 - 2 القضايا المعروضة أثناء المناظرة :
- قضايا أساسية ترتبط ببؤرة الحجاج .
- قضايا فرعية نتيجة الاستطراد والاطناب .
 - 3 فضاء زمكاني وشخص .
 - 4 اصطدام الاقناعية باللاإقناع ، والجزمية بالرفض والحجيات بالحجيات ، والتمثيلات بالتمثيلات .
 - 5 يمثل مجلس المناظرة الجمهور المتردد بين المتناظرين ، أو مجالا للتأثير والتحكيم .
 - 6 تمثل لغة الحجاج أو خطابه الوسيلة التلفظية الاقناعية والاقناعية ، بما تحمله من مضامين ودلالات واشارات واستلزمات واقتضاءات ، تتراوح تأثيراتها الانجازية قوة وضعفا ، وإن كان جانب الرد عند السيرا في يمثل أوج النجاح .
 - 7 تولد من المناظرة نص طويل ، ولاندعى أنه هو النص الذي جرى في المناظرة شفويا ، وإن كان أبو حيان نقل هذا النص عن علي بن عيسى الرماني بإملائي ، أو أن أقواسا حضروا وكتبوا ذلك في ألواح كانت معهم ومحابر ايضا .
 - 8 غير أن هذا النص المعتمد (الامتاع 1 / 108 129) يجسد بالفعل نصا حجاجيا فعلا وإن كان سبيل السرد ونظامالحكي والايخبار ووصف الاحوال تغلب على المكونات الحجاجية فيه .
 - 9 تستطيو هذه المكونات الحجاجية - في النص أن تبلور أفعالا حجاجية كثيرة .
- 5 - تسود المناظرة أفعال حجاجية متنوعة :
- أمثلة فقط :
- فعل الأمر والسؤال والتساؤل :

- حدثني عن المنطق ، ما تعني به ؟
- إذا كان المنطق وضعه رجل من يونان على لغة أهلها ، فمن أين يلزم الترك والهند والفرس والعرب أن ينظروا فيه ؟
- فما تقول في معان متحولة بالنقل من لغة يونان الى لغة أخرى ؟
- فعل السؤال التقريري :
- أفليس قد لزم الحاجة الى معرفة اللغة ؟
- فمن أين يجب أن نثق بشيء ترجم لك على هذا الوصف ؟ (السيرافي)
- الانتقال في الاستدلال :
- انما لزم ذلك: لأن المنطق بحث عن الأغراض المعقولة والمعاني المدركة والناس في المعقولات سواء، ألا ترى أن أربعة وأربعة ثمانية سواء، عند جميع الأمم (متى).
- بحارة الخصم في دعواه :
- ولقد موهت بهذا المثال ، ولكن مع هذا أيضا .
- إذا سلمت لك أن الترجمة صدقت وما كذبت وقومت وما حرفت وإن كان هذا لا يكون (السيرافي) .
- تحدي الخصم وإبطال دعواه :
- وأنت لو فرغت بالك وصرفت عنايتك الى معرفة هذه اللغة [العربية] التي نتحاور بها وتشرح كتب يونان بعادة أهلها ، لعلمت أنك غني عن معاني يونان ، كما أنك غني عن لغة يونان (السيرافي) .
- التعجيز المعرفي :
- أسألك عن حرف واحد، وهو دائر في كلام العرب) ومعانيه متميزة عند أهل العقل، فاستخرج أنت معانيه من ناحية منطق ارسطاطا ليس وهو الواو ما أحكامه؟ وكيف موافقه ؟ وهل هو على وجه أو وجوه؟ (السيرافي)
- الاستدراج نحو الاعتراف بالخطأ أو الاستسلام :

- وأنت تجهل حرفا واحدا في اللغة التي تدعو بها الى حكمة يونان ،ومن جهل حرفا أمكن أن يجهل حروفا ، ومن جهل حروفا جاز أن يجهل اللغة بكاملها .
- فإن كان لا تجهلها كلها ، ولكن يجهل بعضها ، فلعله يجهل ما يحتاج اليه . ولا ينفع فيه علم ما لا يحتاج إليه .

6 - ارتباط الحجاج بالمواضعة اللسانية :

يحتكم الحجاج في جزئه اللساني الى المواضعة التي جرى بها اللسان العربي واستند إليها الاستعمال الخطابي، وفيما يلي بعض النماذج التي تشكل ثغرة للمدعي وقوة للمفند (السيرافي):

- [المنطق] الة مند آلات الكلام ، يعرف به صحيح الكلام من سقيمه، وفساد المعنى من صالحه كالميزان (متى) .

- أخطأت : لأن صحيح الكلام يعرف بالنظم والاعراب ، وفساد المعنى بالعقل وليس كل ما في الدنيا يوزن ، بل فيها ما يوزن وفيها ما يكال ، وفيها ما يذرع ، وفيها ما يمسخ (السيرافي) .

- أفليس قد لزم الحاجة الى معرفة اللغة ؟ (السيرافي) .

- نعم (متى)

- أخطأت ، قل في هذا الموضع : بلى (السيرافي)

وفي إطار المقبولية (لا النحوية) اللغوية تمت مساءت حتى في المقابلات التالية :

- زيد أفضل إخوته (لا يجوز)

- زيد افضل الاخوة (يجوز) .

كما تمت مساءلته فيما يتعلق بالجانب التأويلي الدلالي في الجملة التالية :

- لفلان من الحائط الى الحائط .

ليرفع الخلاف بين التأويلات التالية بمنطقه الذي ينتصر له :

- له الحائطان معا وما بينهما .

- له النصف من كل منهما .

- له أحدهما .

نكن " حتى " أفحم حسب ما أورده أبو حيان .

وغيرها من القضايا التي تتكيء في المناظرة على المواضع اللسانية العربية ، أو على الاستعمال اللغوي العربي .

7 - البناء والتوجيه الحجاجيان :

- تتعدد الأبنية الحجاجية بتعدد المنطلقات الاستدلالية التي تتراوح جملها بين :

- الانشائية والخبرية .

وبين الأخرية والاستفهامية (حدثني عن المنطق ، ما تعني له) ، والجزمية والتقريرية ، وبين الشرطية (إذا كان المنطق وضعه رجل من يونان) والاستفهامية (فمن اين يلزم الترك واهند والفرس والعرب ؟) والوصفية (ولقد موهت بهذا المثال) وبين الانثائية الآنية (أنا أفلك في مثل هذا والنحويليه) فكيف صرت تدعوننا الى لغة لاتفي بها (وغيرها .

- ويترتب عن الأبنية المختلفة توجيهان حوار بان حجاجيان :

- أحدهما إيجابي (للمدعي)

- والآخر سلبي (للرافض)

عبر النص برمته .

غير أن أغلب الأبنية الحجاجية تركيبية ، تحاول إعادة بناء القضايا بمضامين جديدة، وإنشاء منطق نحوي معرفي من نوع آخر ، بل إنشاء معلومات حجاجية جديدة فيلغة لمعلومات قديمة عرف بها المدعي في المناظرة .

وإذا ما حاولنا إحصاءا لكم اللغوي الذي استهلك في المناظرة ، انطاقا من النص الذي أورده أبو حيان فسنجد ، لا محالة أن النصيب الأوفر يعود الى ابي سعيد السيرافي فكيف نحلل هذا ؟ وهل وراءه ذلك الصراع الذي قام بين دعاة المقولات الأرسطية ومناصري النحو العربي ؟ وكيفما كانت الاجابة عن هذين السؤالين فإن بواعث المناظرة تعود في الواقع الى هذا الصراع بين المنطق الأرسطي والنحو العربي ، الشيء الذي جعل أبا سعيد السيرافي تحذره الرغبة في الانتصار للنحو العربي ، وللسليقة العربية ، في العقود الأولى للقرن الرابع

الهجري، ومن هنا كانت بناءاته اللغوية حاملة للمؤشرات الاستدلالية القوية ، يصعب حصرها في خانات حجاجية ضيقة .

8 - مؤشرات المناظرة الاستدلالية :

8 . 1 - المؤشرات الحجاجية :

تتجلى هذه المؤشرات في العوامل Operateurs والروابط connecteurs الحجاجية

التالية :

- أدوات : لأنه ، إذا إنها ، الا ترى أنه ، لكن لا بد لك ، إذن ،

الشرطية : لو .. ل ، إن مر المنطقي باللفظ فبالعرض ، وإن عثر النحوي بالمعنى فبالعرض .

- الافتراض : هيك : عرفت الراجح من الناقض من طريق الوزن ، فمن لكبمعرفة الموزون ، أيما هو حديد ، أو ذهب ، أو شبه أو ، صاص ؟ .

8 . 2 - المؤشرات التلفظية :

- المفردات :

- ولكن مع هذا أيضا .

- ولهذا كان اللفظ بائدا على الزمان .

- ولهذا كان المعنى ثابتا على الزمان .

- فكأنك : تقول لاحجة إلا عقول يونان .

ولا برهان الا ما وضعوه (5)

- المركبات / الملفوظات :

يمكن تقسيم النص الى مركبات من الملفوظات التي لاتتجلى معانيها إلا بالعودة . للعملية التلفظية في حد ذاتها .

- الحوارية :

تعد " الحوارية " أساس المناظرة ، غير أنها تغطي عليها التحاملية والتعاكسية، الى درجة أن مبدأ التعاون فيها يكاد يكون صوريا أو صنفيا ، وإلا ما تزل متزلة المتجلى، واي يتمثل في ضعف الخصم إزاء أسئلة خصمه ، أو أن المعرفة العلمية المشتركة غير متكافئة، أو أن الرصيد الحجاجي غير متوازن بينهما .

ولذا كانت المعاني التلفظية تستثمر حرفيا في سبيل إفادة الخصم (الطرفين معا) وإفادة الحضور الجلس المناظرة .)

أما المعاني المضجرة فيتم إدراكها عن طريق النقيض ، وفق السلمية التعاكسية التي تلعب فيها مجالات الاستبدال المشتركة (Topoi) دور الرد ، ومثال ذلك النص التالي:

بعد عجز متى بن يونس عن الاحاطة .معنى " الواو " في الخطاب اللغوي العربي، قال السيرافي: " وأنت تجهل حرفا واحدا في اللغة التي تدعو بها الى حكمة يونان ، ومن جهل حرفا أمكن أن يجهل حروفا ، ومن جهل حروفا جاز أن يجهل اللغة بكاملها . فإن كان لا يجهلها كلها ولكن يجهل بعضها فلعله يجهل ما يحتاج اليه .

وهذه رتبة العامة ، أو رتبة من هو فوق العامة بقدر يسير ، فلم يتأبى على هذا ويتكبر ، ويتوهم انه من الخاصة وخاصة الخاصة ، وأنه يعرف سر الكلام وغامض الحكمة وخفي القياس صحيح البرهان ؟

(الإمتاع : 1 / 117)

ويمكن تجسيد طرفي الادعاء (ا دعاء متى 1 ، وادعاء السيرافي 2) في الترسيمة التالية :

2		1
خاصة الخاصة (-)	المجال الاستدلالي	(+) خاصة الخاصة
الخاصة (-)	المشترك	(+) الخاصة
فوق العامة (+)	Topoi	(-) فوق العامة
العامة (+)		(-) العامة
عامة العامة (+)		(-) عامة العامة
	رد السيرافي	ادعاء متى بن يونس

الموقع المعرفي سلميا سلبا
وإيجابا بين الادعاء ونقيضه

ويتيح مفهوم " التحليل السلمي Scalar Analysis " إمكانيات اقتضائية لسانية، في صلب قواعد الحجاج ، ذلك أن هذه المعطيات تتخذ أوضاعا قارة في صلب المواضع اللسانية، إذ كلما ذكر حد أو لفظ إلا وكانت نسبته المرجعية متمحورة على سلم القيم Evaluative، فالأسوار الكلية (كل) والبعضية (بعض) مثلا لها درجاتها في هذا السلم بسلبا أو ايجابا ، مدحا أو دما ، رفعة وسموا ، أو انحدارا وتقوقعا ، وأشباهها كثير في واقع اللغة والخطاب .

خاتمة التحليل :

لقد قصدنا من وراء هذا التطبيق المختزل تحقق أمرين اثنين :

- أولهما :

اختبار " التداولية المدجة " في حقل الحجاج اللساني، ومعرفة مدى نجاعتها وقدرتها الكفائية.

- وثانيهما :

مساءلة نص (6) لغوي عربي قدم مساءلة تداولية حجاجية، لإثبات التحام الجوانب التداولية بالجوانب الحجاجية من جهة، وأصالة الخطاب الحجاجي اللساني في الفكر اللغوي العربي القديم، من جهة ثانية .

فاتضم من هذا التحليل بجزئيه النظري والتطبيقي أن الحجاج فعالية جدلية على مستوى الموضوع والمنهج ، وعلى مستوى التواصل والممارسة الحجاجيتين ، باللغة الطبيعية وبالمتنا لغة الصورية .

كما استطاع نص المناظرة (بين متى بن يونس وأبي سعيد السيرافي) أن يعكس عامة أوجه الحجاجية القوية Argumentativit forte " كما يفهمها المعاصرون (انظر موشر وربول (1994 ، 322) عن دوكر و 1987) ، ومنها الأوجه التالية :

- 1 إن أطروحة الحجاج في اللغة تفترض " القدرة الحجاجية Potentialit argumentative " التي تكمن في المعجم Lexique والبنيات اللغوية .
- 2 إن العوامل الحجاجية وأدواته تشكل أثر بارزا في الحجاج اللغوي .
- 3 لكي يحدث حجاج ما ، أو لكي تخلق جملة مستعملة ما نتيجة معينة أو تلة من النتائج، لا بد من استدعاء مجال حجاجي مشترك Topoi " .
- 4 وأن يكون مجال الحجاج هذا وقواعده العامة خاضعة لتراتبية معينة Graduels، تتراوح بين صيغ الاثبات والجزم ، وصيغ الانتفاء والتفنيد .
- 5 ويجب أن تكون للعوامل الحجاجية وظيفة خاصة ، هي تحديد التوجيه الحجاجي للجمل المستعملة، وذلك بانتقائها صيغا محورية ملائمة للسلسلة الحجاجية .
- 6 يفترض استعمال اللغة في الخطاب تصنيفا بالمجال المشترك الحجاجي، أو أن يكون المجال اللغوي في الخطاب الحجاجي قابلا للتصنيف .
- 7 إذا كانت اللغة تحدد بنية المجالات الحجاجية ، فهي لا تحدد مضامينها فحسب، باعتبار أن اللغة تقبل مجالات حجاجية متناقضة .

ونعتقد في ختام هذه المداخلية أنمناظرة متى والسيرافي قد استطاعت أن تعكس هذه الأوجة (من 1 الى 7) بصفة عامة ، ولا يمكن اعتبار هذه القراءة الحجاجية للمناظرة نهائية في بعدها التداولي ، لأن نظرية الحجاج في بعدها التداولي لازالت في بدايتها التاريخية من جهة " ، ولأن التجريب على نصوص عربية قديمة لازال يشكو من الندوة وقلة الروز من جهة ثانية .

الهوامش :

- 1 جاء في لسان العرب لابن منظور (2 / 228) : " حاججته أحاجه مجاجا ومحاجه حتى حججته أي غلبته بالحجج إنما سميت حجة لأنها تحجج: أي تقصد، لأن القصد لها وبإيها".
 - 2 أشار أو ليرون Olron (1983 : 5) الى الخصائص الثلاث الأولى فقط، وأغفل الخاصة الرابعة التي هي المقوم الأساس للحجاج برمته، كما أنه لم يشر الى ما تؤديه الجوانب الحركية والاشارية من أدوار تفسيرية لمقاصد المتناظرين، أو تفعيل اللغة الحجاجية.
 - 3 إشارة الى ما ورد في برنامج ها نسويه Hansson (1974) الوارد في كتاب " النظرية المنطقية والتحليل الدلالي " بالانجليزية دور دريخت ، رايدل / Reidel .
 - 4 إن مفهوم Topoi (ومفرده Topos) الذي نترجمه بالمجال الحجاجي المشترك مستعار من كتاب أرسطو الجدل Topikus ويشار به تلك المبادئ العامة التي تحتضنها مجموعة بشرية متجانسة لسانيا، والتي تستخدمها في تعضيد التواصل الحجاجي " (انظر موشرل وربول 1994 : 317) .
 - 5 هذا البناء برهاني حجاجي يقوم على الحصر والاستثناء .
- في سبيل توضيح دور مثل هذا البناء في عملية الاستدلال الحجاجي ينظر مقال Nef Surgenson (1985) المنصب على السلم التقييمي Evaluative والحجاجي .
- 6 يسمح نص " المناظرة " باعتباره نصا لغويا مكتوبا بعدة قرأت : تداولية ودلالية وأسلوبية وغيرها ، وهذا التعدد يثبت تعقد بنية النص وغناها في ذات الوقت ، إلا أن النص في حد ذاته كتابة بلغة موضوعة مقرؤة ، ولن تتم قرأته إلا بلغة طارئة قارئة .

المصادر والمراجع :

1 باللغة العربية :

- أزيبط (بنعيسى) 1997:

المعنى المصفر في الخطاب اللغوي العربي البنينة والقيم التنجيزية .
أطروحة جامعية مرقونة .

- (أبو حيان) التوحيدى .

الامناع والموانسة .

صححه وضبطه وشرح غريه أحمد أمين وأحمد الزين .

منشورات المكتبة العصرية بيروت 1953 .

المقاسات :

تحقيق السندوبى

المكتبة التجارية 1948 .

- طه عبد الريحية 1987 .

في أصول الحوار وتجديد علم الكلام المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع

طه / 1987 .

- ابن منظور الافريقي :

لسان العرب

الجزء 2

دار صادر .

- Anscombe S.C Ducrot. O : 1976 Argumentation dans la langue
Langages 42, 5-27.
- Anscombe J.C Ducrot.O : 1978-79 Lois logiques et trois
argumentatives 46, 347-357 et 47, 35-52.
- Ducrot.O, 1980 a :
-et al., les
mots du discours, Paris, Minuit, 7-56.
- L.Jurgenson et N.NEF 1985
argumentatives le fra 1985- :1-21).
- J. Moeschler 1985
analyse pragmatique du discours. Eds : Hatier
- J. Moeschler Anne Rebout 1994
pragmatique. Eds. Du seuil , 1994.
- Scarle J.R : 1972 : Les actes de langage, Essai de philosophie du langage Paris
Nermann.

ترجمة المصطلح الأجنبي : مشاكل وحلول

ذ . عبد العزيز العماري

كلية الآداب - مكناس

0 - تطرح ترجمة المصطلح الأجنبي إلى اللغة العربية عدة مشاكل . وسنحاول في هذا العرض أن نحدد بعض هذه المشاكل وأن نقترح لها الحلول الممكنة . وسنحاول أيضا أن نبرز مدى قدرة اللسانيات العربية على المساهمة في حل هذه المشاكل.

- 1 - لاشك في أننا ننتمي إلى أمة متخلفة علميا وتقنيا ، ولاشك في أننا نسعى إلى أن نلتحق بركب التقدم العلمي والتكنولوجي . وفي انتظار ذلك سنظل مستهلكين للإنتاجات الغرب في المجالات العلمية والتكنولوجية ، لأن الذي يخترع وينتج هو الذي يملئ شروطه .
- 2 - ولا شك أيضا في أن ترجمة العلوم وتقنيات البحث تشكل وسيلة مهمة من وسائل تعلم العلوم ونقل التكنولوجيا . ويشجع على الاعتماد على هذه الوسيلة كونها رخيصة الثمن وسهلة المنال .
وقد جعلت منها هذه الوضعية بضاعة يتاجر فيها كل من هب ودب ، ومهنة يمتنها كل من اعتقد أنه يملك ناصية اللغة العربية وخبيا لغة أجنبية .

3 - إن الترجمة مسؤولية ومعاناة ، ولا يحس بذلك إلا المترجم الذي يحترم نفسه ويحترم المتلقين والقراء المترجم لهم . إن الترجمة الرديئة أو المغلوطة كالسلعة الرديئة أو المغشوشة ، إن لم تقتل تضرر .

4 - يجب ، إذن ، أن يكون المترجم مؤهلا لأن يترجم . ولكي يكون كذلك يجب عليه أن يكون متوفرا على رصيد معرفي كاف ، ونقص ذلك معرفته اللغة التي يترجم منها واللغة التي يترجم إليها معرفة كبيرة ، ونقص ذلك أيضا معرفته المجال الذي يترجم منه والمجال الذي يترجم إليه معرفة مرضية .

يجب ، إذن ، أن يكون المترجم متخصصا لا متطفلا . ولانقصد بالتخصص التخرج من مدرسة متخصصة في تكوين المترجمين أو الحصول على شهادة تخصص في الترجمة ، بالرغم من أن ذلك أمر مرغوب فيه ، نحن نقصد بالتخصص امتلاك القدرة على الترجمة

5 - ولن يكون المترجم ممتلكا لهذه القدرة إلا إذا كان متوفرا على رصيد منهجي يسهل عليه الخوض في هذا المجال الخطير . ويتمثل ذلك في منهجيات الترجمة ، أي في الأدوات المستعملة في الترجمة . وهي منهجيات أو أدوات تمكن المترجم من الإجابة عن أسئلة أساسية أهمها ما يلي : كيف يترجم ؟ لمن يترجم ؟

6 - وعندما يتوفر المترجم على هذه المواصفات المهنية ، فإنه يصبح مهيباً
نجاهة مشاكل عالم الترجمة . ولا شك في أنها مشاكل
ضخمة لا يقدر خطورتها إلا من يحس بجسامة المسؤولية
الملقاة على عاتقه ، فالمترجم الخنك الأمين يدرك أنه مجبر على
توخي الأمانة العلمية أولاً وقبل كل شيء .

7- تحدثت لحد الآن عن المترجم . وأن الأوان للحديث عن المادّة المترجمة .
والسؤال المطروح هو الآتي : هل يمكن للمترجم أن يكون مختصاً
في ترجمة كل أنواع العلوم ؟ لاشك في أن لكل مجال علمي أو تكنولوجي
خصوصياته، وبالتالي فإنه يجب أن يكون لكل مجال علمي مترجمون
مختصون

فيه ، فلا يمكن أن يقوم ، مثلاً ، بترجمة مادة طبية إلا مترجم
متخصص في الأصل في هذا المجال ، ولا يمكن أن يقوم بترجمة
مادة اقتصادية إلا مترجم متخصص في الأصل في هذا المجال .

وإذا لم يحترم هذا التخصص الضيق في الترجمة ، فإن الفوضى والتسيب
سيسيطران على ميدان الترجمة. هذا لا يعني أنه ليس ممكناً أن يوجد
مترجم متعدد التخصصات يستطيع أن يترجم عدة علوم . ولكن يجب
أن نعترف بأن هذا النوع من التخصص ليس متاحاً لكل المترجمين .

8 - وتطرح ترجمة المصطلح الأجنبي إلى اللغة العربية للمترجم
عدة مشاكل نلخصها في النقاط التالية :

أ - مشكل تحديد المصطلح في المجال العلمي الخاضع للترجمة. ونقصد هنا أنه يوجد فرق بين ترجمة مادة علمية ترجمة كاملة، بترجمة كتاب، وترجمة مصطلحات من هذه المادة العلمية. ويمكن أن نعبر عن هذا المشكل بطريقة أخرى : عندما يترجم مترجم مادة علمية فإن ما يمكن أن يعرقل عمله ليس هو ترجمة الكل ، إن ما يمكن أن يعرقله هو ترجمة المصطلح، ونقصد الألفاظ المفاتيح التي تعتمد عليها تلك المادة العلمية .

ب - بعد تخطي مشكل تحديد المصطلح في المادة المترجم منها يطرح مشكل إيجاد الألفاظ (أو العبارات) التي تصلح لترجمة هذه المصطلحات . وهنا تطرح عدة أسئلة نفسها : أين يبحث المترجم عن المصطلحات الملائمة ؟ هل يبحث عنها في المعاجم ؟ هل يبحث عنها في الكتب المتخصصة ؟ هل يخترعها فيريح نفسه ويستريح ؟ هذه هي الأسئلة التي تترك المترجم .

ج - إذا قرر المترجم البحث عنها في غياهب الكتب أو المعاجم العربية ، فإنه سيشتقى، ولا شك ، في عمله . وقد يكلل هذا العمل بالنجاح ، وقد يفشل. وسواء نجح المترجم في إيجاد المصطلح الذي يبحث عنه أو لم ينجح ، فإن مما لا شك فيه هو أنه يكون قد ضيع وقتا طويلا وثمانينا.

د - وقد يفضل المترجم اختراع مصطلحه ، وفي هذه الحالة سيربح وقتا ثميننا ، ولكنه قد يصطدم بالمعارضين

الذين يكونون له بالمرصاد ، حيث يفاجئونه بمصطلح أصلي غير مصنوع وغير مخترع .

9 - وهنا يطرح السؤال التالي نفسه : هل يعتبر عيبا أن يخترع المترجم مصطلحه دون الالتفات إلى المصطلح الذي قد يكون موجودا في اللغة المترجم إليها ، أو لا يكون ؟ هذا هو السؤال الذي يجب أن نجيب عنه بكل موضوعية .

10 - لا يمكن للمشاكل السابق ذكرها أن توقف نشاط المترجم ، ذلك أن المهم في الأخير هو أن تكون الترجمة المنجزة مفيدة ودقيقة ، ولن تكون كذلك إلا كانت مفهومة ، فعندما يحس المتلقي بالرضى ، فإن ذلك دليل على نجاح الترجمة . أما إذا أصيب المتلقي بالإحباط والنفور ، فإن ذلك دليل على أنها رديئة وفاشلة .

وبصفة عامة ، فإن المصطلح المترجم و المادة المترجمة يكونان مرضيين عندما تسهل إعادة ترجمتهما إلى لغتهما الأصلية .

ولتوضيح هذه المسألة أقدم النموذج التالي : في مجال اللسانيات احتجت إلى ترجمة المصطلح الآتي : " **le lexique grammair** " ، وهذا هو اسم نظرية لسانية غريبة ، وكانت الترجمة الشائعة آنذاك هي ما يلي : " المعجم التركيبي " . وبعد ممارسة طويلة تبين لي أن هذه الترجمة غير دقيقة ، ولا شك أنها كانت تزج الطلبة . وقد قررت أن أعيد النظر فيها فاخترت المصطلح التالي :

" المعجم - النحو " . وقد اقتنعت بأنني حصلت على ترجمة تفي بالغرض الأساسي ، وإن كان شكل

هذا المصطلح العربي غريبا نسبيا . ولكنني فضلت أن أخرج قاعدة شكلية عوض التوضيح بالأهم ، وهو المحافظة على المعنى المتوخى من هذه الترجمة، ذلك أن المصطلح السابق ، أي:

" المعجم التركيبي" يفرض بالضرورة أن يكون المصطلح الأصلي المترجم عنه هو: (Le lexique syntaxique) ، وهذا مصطلح غير مقصود في السياق الذي أخذ منه .

المهم ، إذن ، في المادة المترجمة هو أن تكون مفهومة ومحتفظة بدلالاتها التي كانت تحملها في لغتها الأصلية المترجم منها .

11 - ويمكن للمترجم أن يخترع مصطلحاته بدون تردد أو تحفظ، عندما يتعلق الأمر بمصطلح يصف آلة (أو جهازا) لم يعرفها أبدا أصحاب اللغة المترجم إليها ، فعندما يترجم المترجم اسم الجهاز المعروف بذكائه الاصطناعي ، وأقصد ما يسميه مخترعه (**computer**) أو

(**L ordinateur**) ، بمصطلح: (حاسوب) ، فإنه لاحق لمعتراض أن يعترض على هذه الترجمة ، وكل اعتراض يعتبر ضربا من ضروب المزايدة والعرقلة ، حتى صيغة " فاعول " التي صيغ عليه مصطلح : (حاسوب) لا تسمح بأي اعتراض ، بما أنها صيغة مألوفة في العربية .

وفي مجال اللسانيات ، وحتى أبقى مرتبطا بالعلوم الإنسانية، ضيع اللسانيون العرب في الستينات والسبعينات والثمانينات، وربما في التسعينات أيضا ، وقتا ثميننا في البحث عن مصطلحات عربية

لترجمة مصطلحات نحوية أو لسانية غربية. لتأمل،
مثلاً، المراحل التي مرت منها ترجمة مصطلحات، نحو: (Le
phonme) و (La smiologie) و (La voix passive) ، الخ... .

لما ظهر مصطلح: (phonme) في بعض اللسانيات الغربية
الحديثة تلقفه بعض اللسانيين العرب بسرعة وحاولوا ترجمته ، فبدأوا
بالبحث عن مصطلح مناسب في التراث اللغوي العربي فوجدوا
مصطلح :

(حرف) جاهزا ، فاستعملوه ، لكن تبين بعض الممارسة
والتجريب أنه غير صالح ، لأن له سياقاً خاصاً وللمصطلح الغربي :
(Le phonme) سياقه الخاص . ولم يبق أمامهم إلا وسيلة إبداع
المصطلح واختراعه ، فاقترح بعضهم ترجمته ب : (صُويت) ،
وهذا المصطلح ، في نظري أقرب إلى الصواب ، ومع ذلك لم
يكتب له البقاء ، حيث أهمل ثم أقبر . ومنهم من اقترح ترجمته
ب : (صوتم) . لكن هذا المصطلح أهمل ، أيضاً ،
لأن شكله كان يوحي باختراع مبني على التلفيق . ومنهم من تجرأ
فاقترح الاحـ تفاظ بشيء من دالّ المصطلح الغربي
وإخضاع شكل هذا الدال لصيغة صرفية مقبولة نسياً في
اللسان العربي ، فتم الحصول على مصطلح : (فونيم) . وقد
أصبح هذا المصطلح شائعاً في الاستعمال . وأنا
أفضل أن يترجم ب : (فُنيم) حتى يكون على صيغة مطردة

نسبياً في اللغة العربية . وكيفما كان الحال فإن المشكل الآن
محلول ، بما أن المصطلح المخترع يفني بالغرض .

ويمكن أن نلاحظ أن ترجمة مصطلح :

(smiologie) قطعت أيضاً عدة مراحل ، فقد ظهر هذا
المصطلح الغربي وأهمر عدداً من النقاد واللسانيين العرب فبحثوا له
في التراث العربي عن مصطلح يصلح للترجمة . فلم يجدوا ما يملأون به هذا
الفراغ . وبما أن مجهوداتهم كانت فردية ومنعزلة فقد أخرجوا إلى الوجود
مصطلحات متضاربة ، نحو: (علم الرموز) و(علم الدلالات)

و(علم العلامات). وقد أهملت في الأخير هذه المصطلحات، لأن
مصطلحين آخرين فرض نفسيهما ، وهما :

(السيميائيات) ، وهذا في نظري هو المصطلح الذي ينبغي أن
يبقى لأنه موضوع في قالب عربي ومتضمن لدال عربي له مدلول قريب جداً من هذا
المجال . أما المصطلح الآخر ، وهو منافس قوي للأول ، فهو :

(سيميولوجية) أو (سيميولوجيا) ، ولاشك في أنه
معبر جداً، لأنه يذكر بسرعة بالمصطلح الغربي، شكلاً
ومضموناً ، ولكنه ، بدون شك لا يرضي جمالية اللغة
العربية .

وورط بعض اللسانيين العرب أنفسهم ، في مرحلة من
مراحل تطور اللسانيات وتطور ترجمة المصطلحات اللسانية:
في مشاكل لم يكن هناك داع إليها، فقد ترجموا
المصطلح النحوي واللساني الغربي : (La voix passive) بمصطلح

نحوي عربي معروف جدا ، هو : (البناء للمجهول) ، الذي يسمى أيضا : (البناء لغير الفاعل) و: (البناء للمفعول) . وقد كان ذلك خطأ جسيما سببه التسرع وعدم التروي، ذلك أن الاستفادة من المصطلح النحوي العربي في الترجمة لاتسمح بالتعسف . ولا شك أنه من السهل ملاحظة أنه لاتوجد علاقة بين مصطلح (La voix passive) ومصطلح : (البناء لغير الفاعل): كل واحد منهما يخضع لقيود تركيبية ودلالية و صرفية خاصة به. ولهذا السبب أهملت هذه الترجمة في السنوات الأخيرة. وقد يطرح السؤال التالي نفسه : بماذا نترجم، إذن ،هذا المصطلح الغربي ؟ هذا السؤال يرجعنا إلى نقطة الصفر . وكيفما كان المصطلح العربي الذي يقترح للترجمة فإنه مجبر على أن يكون قادرا على أن يعكس بدقة مدلول المصطلح الغربي المترجم .

وترجم بعض اللسانيين العرب مصطلحي :

(tructure profonde) و (Structure de surface) على التوالي كالتالي : (بنية جوانية) و (بنية برانية) . ولكن هذا الجهود الفردي ضاع ، ولاسيما أنه اعتمد على ترجمة ساذجة وغير دقيقة وغير جميلة. وترجمهما آخرون على التوالي كالتالي: (بنية ظاهرة) و (بنية خفية) . وهذه ترجمة ساذجة أيضا ، فلم يكتب لها الانتشار . أما اليوم فإن ترجمتهما بواسطة المصطلحين: (بنية عميقة) و (بنية سطحية) أصبحت مؤكدة ومنتشرة ومقبولة . ولاتحتاج مثل هذه الترجمة إلا إلى معلومات معجمية قاموسية وإلى معرفة بالمجال المترجم منه وإليه .

نلاحظ أن العمل المنفرد المنزّل فوت على الباحثين اللسانيين المترجمين فرصة ربح الوقت وتوحيد المصطلح .

12 - وقد حدثت المشاكل نفسها في مجالات أخرى غير مجال اللسانيات . لتأمل المراحل التي قطعتها ترجمة مصطلح: (Tlvision) . في البداية تعسف بعض المترجمين العرب فحاولوا إيجاد ترجمة تعتمد على ألفاظ المعجم العربي وتحترم قواعد اللغة العربية ، فوضعوا الترجمة التالية: (الجهاز المرئي) . ولاشك في أن هذا المصطلح مزعج ومنفر لطول حجمه وسذاجة دلالاته ؛ ولذلك لم يعرف أي انتشار . وقد حاول آخرون اختراع مصطلح عربي اعتمادا على تركيب كلمتين . ويتعلق الأمر بالمصطلح التالي: (المرنان) . ولاشك أن هذا المصطلح لا يتوفر، لاشكلا ولا مضمونا ، على موافات إلا لمصطلح المقبول ، ولذلك لم يعرف النور . وفرضت نفسها المصطلحات المعبرة أكثر وأحسن عن حقيقة المصطلح الغربي ، ويتعلق الأمر بما يلي: (التلفاز) و (التلفزة) و (التلفزيون) .

وأعتقد أن الإجماع على اختيار الترجمة الأولى إجراء منصف للغة العربية، فهو مصطلح بسيط شكلا ودقيق دلالة ومحترم لقواعد الصرف العربي . ولكن المثقفين وحدهم قد يقبلون ذلك . أما عامة الشعب فيكتفون من استعمال الترجمة الثانية ، أي: (التلفزة) .

13 - ويمكن للمترجم في مختلف المجالات العلمية أن يعتمد كثيرا على خبرة اللسانيين المتخصصين في الترجمة . ولاشك في أن التعويل عليهم يمكنه من ربح كثير من الوقت ومن تحقيق عمل تتوفر فيه مواصفات الترجمة الجيدة .

وهكذا يمكن للسانى المخصص فى الترجمة أن يضع رهن إشارة المترجم فى مجال علمى ما أدوات الترجمة ، ونقصد بها القواعد الصرفية والصوتية والمعجمية والتركيبية والدلالية ، وبدون هذا التعاون نحصل على ترجمات رديئة أو مغلوطة . وأتذكر فى هذا الصدد ما وقع فى المجال التعليمى ، فقد وردت على المسؤولين التربويين مذكرة مكتوبة بالفرنسية تتحدث عما يسمى : (modules). وقد طرحت ترجمة هذا المصطلح مشكلا : هل يترجم ب: (مسوغات) أو ب : (مصوغات) أو ب : (مُسوغات) أو ب : (مُصوغات) ؟ لابد لحل مثل هذا المشكل من الاستعانة بلسانى متخصص فى الترجمة .

14 - إن الترجمة العربية المحترمة تشعر المتلقى أو القارئ بأنه يتلقى أو يقرأ علما أو مصطلحات عربية حقيقية . أما الترجمة الرديئة فتعكس صفو الاستفادة .

تجرنا هذه الملاحظة إلى طرح السؤال التالى: ماهى مواصفات الترجمة العربية الناجحة المحترمة؟ يمكن اختصار هذه المواصفات فى النقطةتين التاليتين: يجب أن تكون الترجمة جميلة ومفهومة : تكون جميلة عندما يحترم فيها المترجم قواعد الصرف والنحو والمعجم والدلالة ، وتكون مفهومة عندما يحس القارئ أنه يقرأ إنتاجا عربيا يفهمه فهما عاديا . ولكي يضمن المترجم لترجمته هذه المواصفات يجب عليه أن يبحث أولا فى التراث اللغوى العربى عن المصطلح الملائم ،

فإذا وجده واطمأن إليه تبناه ، فعندما يقرر اللساني أن يترجم المصطلح اللساني :

(Les barrires) أو (Les bornes) ، وهو مصطلح مستعمل في النحو التوليدي ، فإنه يكون مجرأ على الانتباه إلى أنه يوجد ، في " الخصائص " لابن جني (ج 2 ، ص 322) ، مصطلح يفني بالعرض ، لأنه يؤدي المعنى نفسه. ويتعلق الأمر بمصطلح : (حواجز) .

أما إذا لم يجد في التراث اللغوي العربي المصطلح الملائم ، فإنه سيكون مجرأ على اختراع مصطلح ، فالنحو العربي يستعمل ، مثلاً ، التركيب التالي : (ظلم زيد نفسه) ، ولكنه لم يسمه بمصطلح (انظر سيبويه في : " الكتاب " (ج 2 ، ص 366-367) والأستراباذي في : " شرح الكافية في النحو " (ج ، ص 285-286) . أما التركيب المعادل له في الفرنسية والإنجليزية فمعر عنه بمصطلح واضح ، هو : (La Reflexivation) .

في مثل هذه الحالة يعتبر المترجم العربي مبدعاً عندما يختار لترجمة المصطلح الغربي المصطلح العربي التالي : (الانعكاسية) أو (البناء الانعكاسي) . ولاشك أنه لن يتعب كثيراً في العثور على هذا المصطلح .

15 - وينبغي ، في الأخير ، رغم كل هذا التفاؤل في حل مشاكل ترجمة المصطلح الأجنبي ، أن نعترف أن كثيراً من المشاكل لا يمكن حلها عن طريق المجهودات الفردية ، فلا بد من انخراط الأفراد المعنيين في فرق عمل منسجمة و متكاملة علمياً ومنهجياً وتخصصياً. ويكفي أن نذكر أن بعض المصطلحات الغربية ظهرت منذ عقود من الزمن ومع ذلك فإن مشكل ترجمتها مازال يعالج بطريقة فردية ومنعزلة ، فمصطلح : (Socio-linguistique) مازال يترجم ب : (علم الاجتماع اللساني) أو ب (اللسانيات الاجتماعية) . إن العمل

المؤسّساتي هو وحده الكفيل بحل مشاكل ترجمة المصطلح الأجنبي إلى اللغة العربية.

المصطلح الغربي في النقد المغربي

بين التحديد والتوظيف

ذ. مبارك أزارا

كلية الآداب أكادير

ما فتىء النقد الأدبي الحديث يروم أن يصبح علما قائما بذاته. لذلك نجده يمتح أدواته من العلوم المجاورة و التيارات الفلسفية المعاصرة، بحيث أضحينا نسمع عن النقد التكويني والنقد النفسي و النقد الاجتماعي وغيرها. ولعل صفة العلمية تطلب في ما تطلبه أن يتسم الخطاب بمواصفات كالوضوح والدقة..... وحيث إن الاصطلاح (Terminologie) إجراء منهجي ووسيلة يستعملها النقد لبلوغ درجة من العلمية، فبالإمكان الانطلاق منه لقياس مدى علمية نقد من النقود، ذلك أن كل دراسة كيفما كان نوعها لا يمكن أن تصبح علما قائما بذاته إلا إذا اختارت ونحنت لنفسها مصطلحات خاصة تميزها عن العلوم الأخرى.

وعليه، فقد ارتأينا هنا أن نبحث في الكيفية التي يتعامل بها النقد المغربي الحديث مع المصطلحات النقدية الغربية، علما بأنه يستقي مناهجه من نظيره الغربي، وعلما كذلك بأن كل منهج من هذه المناهج يتميز بمصطلحاته الخاصة. وقبل تحديد المن الذي نختاره للدراسة، نشير إلى أننا نستعمل المصطلح بالمفهوم الذي ورد عند أحمد بوحسن في قوله: "يقصد بالمصطلح كلمة أو مجموعة من الكلمات، تتجاوز دلالتها اللفظية والمعجمية إلى تأطير تصورات فكرية وتسميتها في إطار معين، تقوى على تشخيص وضبط المفاهيم التي تنتجها ممارسة ما في لحظات معينة. والمصطلح بهذا المعنى، هو الذي يستطيع الإمساك بالعناصر الموحدة للمفهوم، والتمكن من انتظامها في قالب لفظي يمتلك قوة تجميعية وتكثيفية لما قد

يبدو مشتتا في التصور" (1). وهكذا، فالمصطلح تقنية منهجية يستعملها النقد الأدبي بغرض تكثيف مفاهيمه و السمو بنفسه إلى درجة من الدقة و العلمية.

أما مادة البحث، فقد اخترنا الاشتغال على متن نقدي تتوفر فيه وحدة المنهج (انطلاقاً من أن هذه الوحدة تفترض مبدئياً وحدة في المصطلحات النقدية)، وهو مكون من ثلاثة كتب، هي على التوالي: "ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب" لمحمد بنيس (2)، و"الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي" لحميد لحداني (3)، و"الرؤية البيانية عند الجاحظ" لإدريس بلمليح (4). وجميع هذه الكتب يعبر أصحابها عن تبنيهم لمنهج البنيوية التكوينية كما نظر لها لوسيان كولدمان (LucienGoldmann)، ومعلوم أن هذا المنهج نال لفترة طويلة من عمر النقد المغربي الحديث حصة الأسد مقارنة مع المناهج الغربية الأخرى. وحتى تكون دراستنا واضحة سنتصر على دراسة المصطلحات البنيوية التكوينية المشغلة في الكتب الثلاثة دون غيرها، ونختار لذلك أربعة مصطلحات نعتبرها جوهرية في المنهج، وهي رؤية العالم والبنية والوعي والفئة (أو الطبقة) المجتمعية (5). أما ما يهمنا من الدراسة فيتلخص في محاولة الجواب عن السؤالين التاليين:

أ - كيف يحدد النقاد مصطلحاتهم؟

ب- كيف توّظف هذه المصطلحات؟

1- تحديد المصطلح

1-1 - رؤية العالم

1.1.1- لا نجد عند محمد بنيس تحديداً دقيقاً لمصطلح رؤية العالم. وكل ما نعثر عليه في كتابه بهذا الصدد قوله: "إن كل عمل أدبي، متكامل ومتجانس، يتوفر على وعيه الخاص وفرادة رؤياه للعالم" (بنيس، ص 339) (6)، ثم يعرض نصاً للوسيان كولدمان يرى فيه أن رؤية العالم تمثل وحدة العمل الأدبي "العظيم"، ويضيف الكاتب "أن لهذه الرؤية بعداً إيديولوجياً يحتفظ لها بتمييزها واستقلالها عن الرؤى المتعددة للطبقات الاجتماعية الأخرى (بنيس 339).

ومن هنا، فإن ارتباط رؤية العالم بالإبداع العظيم أوب "العبقرية" (7) -حسب لغة كولدمان- وتمثيلها لدور وظيفي، وتوفرها على بعد إيديولوجي لا يمكن اعتبارها عناصر لتحديد هذا المصطلح، ذلك أن مفهومه يظل في "ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب" مفتقرا إلى المزيد من التدقيق.

2.1.1- أما في كتاب لحمداني، فالأمر يزداد غموضا. ذلك أن المؤلف يقتصر في الهامش رقم 43 من الصفحة 22 على القول: "انظر تفسير مدلول الرؤية للعالم في الكتاب المذكور"، يقصد كتاب (Le Dieu caché, Gallimard, 1975, P.24).

3.1.1- غير أن الأمر يختلف تماما مع كتاب الرؤية البيانية عند الجاحظ، حيث نجد إدريس بلمليح يعنون تمهيده ب"مصطلح الرؤية". وفيه يقول: "إن أصل المصطلح غربي، استعمل لدى كتاب كثيرين في أوروبا، ولكن الاستعمال المثمر الذي جعل منه وسيلة من وسائل البحث الموضوعية في مجال النقد الأدبي يرجع إلى جورج لوكتش Georg Luckacs الذي استخدمه استخداما علميا في العديد من أعماله، ثم مضى به لوسيان كولمان Lucien Goldmann إلى الحد الأبعد في الاستعمال.

والمصطلح يعني في دلالاته عند هذين الناقلين رؤية العالم، أي تصورا معيننا للإنسان والطبيعة والوجود، يستطيع أن يحققه ويعبر عنه في أعماله مفكر أو أديب أو شاعر أو فيلسوف بمفرده، تبعا لشروط شخصية واجتماعية تعود في التفسير الأخير إلى اعتبار هذا الفرد عبقرية فذة، عرفها تاريخ أمة من الأمم، واعتبار رؤية العالم وعيا جماعيا عبرت عنه هذه العبقرية في شكل من الأشكال الفكرية أو الأدبية" (بلمليح، ص: 11).

وبعد هذا، يذكر الناقد نصا للوسيان كولدمان يرى فيه "أن الفلاسفة والكتاب يدركون أو يحسون هذه الرؤية حتى نتائجها الأخيرة، ويعبرون عنها بواسطة اللغة، على صعيد الإدراك أو الإحساس" (بلمليح، ص: 12).

كما يرى " (...) أن رؤية العالم بنية" (بلمليح، ص: 12). وأنها ذات طابعين:

أ- طابع فردي: وهو إدراك الرؤية والتعبير عنها.

ب- طابع اجتماعي: وهو أنها ليست رؤية شخصية يعتقدتها الأديب أو الفيلسوف ويعبر عنها، دون أن تكون في نفس الوقت جملة مواقف يدركها أو يحسها أفراد ينتمون إلى نفس الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها المفكر أو ينتسب إليها عن طريق التعبير عن هذه الرؤية" (بلمليح، ص: 16).

وهكذا، نلاحظ أن نصوص بنيس وبلمليح المتحدثة عن مصطلح رؤية العالم تستعمل مصطلحات أخرى كالبنية والوعي والفئة المجتمعية، مما يعني أن تقدم تحديدات لكل مصطلح على حدة من شأنه تقدم مزيد من الوضوح للدراسة، وهذا ما يعبر عنه الأول في قوله: "ربما كان المصطلح النقدي من بين أهم مقومات كل قراءة للنص أو المتن وكثيرا ما أثار عدم تحديد المصطلح النقدي خلافات ونقاشات بين الباحثين والدارسين، لأن غياب التحديد مدعاة للسقوط في العجز عن التبليغ. ويبقى تحديد المصطلح النقدي، مهما كانت (يقصد: كان) مؤقتا عابرا، أي خاضعا للتجريب، ضروريا لكل قراءة لتجنب ما يمكن تجنبه من الزلل في معالجة القضايا وفق وضوح نظري ومنهجي" (بنيس، ص: 39).

2.1. البنية:

1.2.1- يقول محمد بنيس: " (...) ولا نظن أن تعريف بعض المصطلحات المحددة قبلها بدلالات تبتعد عن تلك التي اكتسبتها، من قبل واضعيها، الأولين، يعد عملا لا مشروعيا، لأن المصطلح معرف من قبل موظفه، لا من قبل غيره، رغم ما يمكن أن يحدث انتقاله من دلالة إلى أخرى، من خلط أو تشويش، ولكن الدلالة الجديدة المكتسبة تتضح بعد تيسير الاستعمال، وتبين مالك التحليل" (بنيس، ص: 40).

من هذه المصطلحات التي يستعملها بنيس استعمالا جديدا مصطلحا " البنية السطحية" و " البنية العميقة"، فهو يقول بصددهما: " وينقلنا مصطلح " البنية السطحية" إلى ميدان النحو التحويلي، فهو المستعمل الأول لهذا المصطلح إلى جانب مصطلح ثان وهو " البنية العميقة" ومرام بحثنا يبين مسعى النحو التحويلي، من حيث تحديد المصطلحين ووظيفتهما المنهجية في الكشف عن قوانين اللغة " (بنيس، ص: 39).

ويضيف قائلا: " ونقصد بالبنية السطحية مجمل المظاهر الخارجية للنص الشعري، وتشتمل اقتصاد النص من النواحي الزمانية، والبصرية، والنحوية، نظما وصرفا، والبلاغة، أي ما يركب النص كلغة ذات خصوصية في المجال العام للغة وهذا التوضيح الأولي سيساعدنا على معرفة حدود هذا المصطلح الذي نستعمله، ومدى مفهومه في بحثنا (...)" (بنيس، ص: 39-40).

ويقول بصدد المصطلح الثاني: " إن شومسكي هو أول مستعمل لمصطلح البنية العميقة، وهي عنده الأساس في انبثاق البنية السطحية (...). وليست البنية العميقة في تحليلنا سوى إدماج البنيات الدالة السطحية، التي حاولنا تتبع تجلياتها (...). في بنية أكثر اتساعا (...)" (بنيس، ص: 207).

ومن هنا، نلاحظ أن بنيس يعرف البنية السطحية والبنية العميقة دون أن يحدد مسبقا مفهوم " البنية" سواء في أصله أو في استعماله من قبل صاحب التحليل.

2.2.1 - أما لحمداني، فلا نجد عنده حديثا عن مصطلح البنية من حيث تحديده والمراد من استعماله في الدراسة.

3.2.1. وعلى العكس من ذلك، فإن إدريس بلمليح يناقش مفهوم مصطلح البنية حيث يقول: " الحق أنها مصطلح يصح أن نقول عنه ما قيل عن الرؤية، لذلك فتحديد المقصود منه يكاد يكون حتميا.

إنها تشغل علماء اللغة بنفس القدر الذي تشغل به علماء الاجتماع. لكن الاتفاق حول مفهومها يكاد يكون مطلقا بينهما (يقصد بينهم) " (بلمليخ، ص: 13).

وهكذا، يقدم تعريفين الأول لبنفينست والثاني لليفي شتراوس: " يقول إميل بنفنست (Emile Benveniste): " هذا ما نعنيه بكلمة بنية: أنماط خاصة من علاقات تربط بين وحدات من مستوى معين. كل وحدة من نظام ما تعرف إذن بجماع العلاقات الذي تدعّمه مع الوحدات الأخرى، والتقابلات التي تدرج تحتها، إنها كيان مترابط ومتقابل كما قال سوسور Saussure ونفس هذا التعريف تقريبا نجده في قول كلود ليفي شتراوس Claude Levi-Strauss :- " تتسم البنية بطابع المنظومة، فهي تتألف من عناصر يستتبع تغير أحدها: "تغير العناصر الأخرى كلها" (بلمليخ، ص: 13).

سبق أن رأينا صاحب "الرؤية البيانية عند الجاحظ" يصف رؤية العالم بأنها بنية، وهو هنا يضيف أن " (...) الآثار الفكرية أو الأدبية القيمة تتخذ مضامينها الأساسية طابع البنية، لأنها تتضمن رؤية للعالم متلاحمة الأجزاء ومستقلة العناصر في نفس الوقت" (بلمليخ، ص: 13).

3.1- الوعي:

1.3.1- لا نجد عند محمد بنيس تحديدا لهذا المصطلح.

2.3.1- أما لحمداني فيرى أن « (...) مفهوم الوعي الواقع محدد بأنه الوعي الذي يمتلكه كل أفراد جماعة أو طبقة اجتماعية سواء كان فكرها سائدا. وهو يختلف عن الإيديولوجيا لأن هذه الأخيرة ترفع الوعي الواقع الى درجة الوعي الممكن، ولذلك فكل الفئات أو الطبقات لها وعيها الكائن الذي يشترك فيه جميع أفرادها، ولها إيديولوجيتها أي وعيها الممكن الذي تتم صياغته في الغالب من طرف مثقفي هذه الطبقات أو من طرف أدبائها" (لحمداني، ص: 30).

3.3.1- في حين ، لا نجد ذكرا لتحديد هذا المصطلح عند إدريس بلمليح.

4.1- الفئة (أو الطبقة) المجتمعية:

لا يقدم محمد بنيس و إدريس بلمليح تحديدا لهذا المصطلح رغم توظيفهما له في كتابيهما. أما الحمداني فهو بدوره لا يقدم تحديدا لمصطلح الفئة (أو الطبقة) المجتمعية، غير أننا قد نعتبر نصه الموالي بمثابة تحديد تقريبي لمصطلح "الطبقة"، إذ يقول، وهو يتحدث عن الواقع الاجتماعي في المغرب قبل الاستعمار: "هؤلاء لا يشكلون طبقة بالمعنى المعروف، لأنهم لا يشكلون طبقة بالمعنى المعروف لأنهم لا يحملون أولا وعيا طبقيًا، ولأنهم ثانيا لا يملكون وعيا حقيقيا يمكنهم من تشكيل طبقة في ذاتها ومن أجل ذاتها" (الحمداني، ص:81). وختاما لهذه النقطة التي خصصناها لتحديد المصطلحات، نلاحظ أن الكتب النقدية لا تعير مسألة التحديد هذه أهمية كبيرة (ونستثني هنا، نسبيا، ما رأيناه عند إدريس بلمليح بصدد رؤية العالم و البنية)، إذ غالبا ما تستعمل مصطلحات نقدية بدون تحديد لمفاهيمها أو لوظائفها الإجرائية. فماذا عن توظيف هذه المصطلحات الأربعة؟

2- توظيف المصطلح

1.2- رؤية العالم

نتذكر أن تحديد محمد بنيس لهذا المصطلح لم يكن دقيقا، وأن حميد الحمداني لا يقوم بتحديد رؤية العالم، فيما عمل إدريس بلمليح على تقديم تحديد دقيق لهذا المفهوم. فكيف وظفته الدراسات الثلاث أثناء التحليل؟

أ- إن البنية التي استخلصها بنيس من تحليله للمتن الشعري، أي بنية السقوط و الانتظار، هي ما يعتبره رؤية للعالم خاصة و مشتركة بين الشعراء المدروسين، إذ يرى " (...). أن بنية السقوط و الانتظار تتجلى، على مستوى البنية الداخلية للمتن، في التجريب بالنسبة للزمان و المكان، ثم السقوط و الانتظار بالنسبة لمتاليات المتن، و الغرابة بالنسبة لبلاغة الغموض و هي جميعها تشكل الرؤية العامة، التي تتحكم في العلاقة الموجودة بين

الشعر والشعراء من ناحية، وبينهما وبين العالم الخارجي من ناحية ثانية، رغم أن كلا من البنين لا تفصح عم قوانينها بنفس صيغة القانون العام" (بنيس، ص: 389).
ومن ثم، يستنتج" (...) أن المتن الشعري المغربي المعاصر يمتلك رؤية للعالم، موحدة ومتكاملة، حيث يتم التلاحم بين ما هو داخل النص وخارجه وفق بنية تعبر عن نفسها بأساليب متعددة (...) " (بنيس، ص: 244).

ومادامت رؤية العالم بنية فإن اكتمال الحديث عن هذا المصطلح لن يتم إلا بعد النظر في توظيف الدراسة لمصطلح البنية.

ب- أما دراسة لحمداني فقد سبق أن لاحظنا أنها لا تهتم برؤية العالم بصفتها مفهوما بنيويا تكوينيا وأساسا للدراسة، ذلك أن عنوان الكتاب يشير إلى "رؤية الواقع الاجتماعي" عوض أن يهتم "رؤية العالم".

أما مصطلح الرؤية فيوظف في الدراسة بالمفهوم العادي الذي لا يوحى إلى اعتباره إجراء نقديا. من ذلك، قول حميد لحمداني: " (...) قد أثبتنا بأن رؤية "غلاب" لم تتجاوز في أبعادها مرحلة الحصول على الاستقلال (...) " (لحمداني، ص: 525)، فالرؤية، إذن، مضمون يبحث عنه من خلال المحتوى المباشر في الرواية أي في حكايتها، وهذا الأمر مرتبط بما سبق أن لاحظناه على الدراسة من ارتباطها بالمضامين المباشرة و السهلة للأعمال الروائية.

ج- وعلى عكس هذه الدراسة، نجد كتاب بلمليح يوظف مصطلح رؤية العالم بشكل أكثر احتراما لمفهومه في البنيوية التكوينية. وقد عمل على استخراج رؤية الجاحظ معتبرا إياها بنية. لذلك، فقد تناول عناصر هذه البنية باعتبارها أجزاء مستقلة، ثم درس العلاقات المتبادلة في ما بين النقد ليخلص في النهاية إلى " (...) اعتبار رؤية العالم عند أبي عثمان رؤية بيانية تتخذ بنية فكرية ذات دلالة بالنسبة لتفكيره" (بلمليح، ص: 45).

2.2- البنية

لاحظنا في ما سبق أن بنيس يحدد مفهومي البنية السطحية والبنية العميقة دون تحديد دقيق لمفهوم البنية، كما لاحظنا أن لحمداني لا يتحدث عن هذا المصطلح ولا يقدم له تعريفاً معيناً، بينما وجدنا بلمليح يدقق في تحديدهات لهذا المصطلح. فكيف وظفته الدراسات الثلاث في تحليلاتها؟

أ- بالنسبة إلى الدراسة الأولى، نلاحظ شبه خلط بين البنية وعناصرها. وصاحبها يقول مثلاً: "ونقصد بالبنيتين النحويتين قوانين الزمن النحوي، الذي يخالف الزمن العروضي المدروس سابقاً، ثم قوانين ضمائر الشخص، أما البنية الدلالية فإن البحث فيها متعلق بدلالة الجملة، وستتبع هذه القراءة طريق البحث عن متتاليات النص" (بنيس، ص: 113). وهكذا، يمكن أن نعتبر مفهوم القانون الوارد في النص دالاً على العنصر. وبذلك، يكون الزمن النحوي و الزمن العروضي وضمائر الأشخاص بمثابة عناصر للبنية النحوية التي يدرسها بنيس. غير أن الأمر يصبح غامضاً حينما نقرأ في مكان آخر: "(...) نستبين من خلال قانون بنية الضمير، تصوراً أوسع لدلالة الزمن، ولأشخاصه الرئيسيين" (بنيس، ص: 124)، إذ يصبح الضمير في حد ذاته بنية لا عنصراً من عناصر البنية النحوية، وأكثر من ذلك فإن النص السابق يستعمل مفهومي "القانون" و"البنية" في آن واحد، ليجعل القارئ يتساءل عما إذا كانت "ضمائر الشخص" بنية أو عنصراً من عناصرها.

عند الحديث عن "بنية القافية في المتن الشعري المعاصر بالمغرب"، يرى الناقد أنه يمكن القول بأن قوانين البيت الشعري، التي حاولنا تبيينها، لا تختلف عن قوانين القافية، ولا غرابة في ذلك، لأن مستويات الوعي التي حطمت بنية البيت هي نفسها التي واجهت القافية وأعدت تركيبها وفق قوانين ثلاثة، تظل في أغلبها أسيرة القيم التقليدية بصفة عامة، رغم وجود خروج يحاول أن يتحرر من سيطرة القوانين، يمثل جانبا ثانيا من جوانب إشكالية المتن المدروس.

والقوانين الثلاثة التي تعتمدها القافية هي:

- وحدة القافية والروي.

- تزاوج القافية و الروي.

- التحلل من القافية، ثم البحث عن قافية داخلية" (بنيس، ص: 68).

وعليه ، فإن مفهوم القانون هنا لم يعد يعني العنصر، بل يقصد به مجرد شكل من أشكال تجلي القافية في الشعر المعاصر بالمغرب. ذلك، أن الدراسة تنطلق من نماذج شعرية يتحقق فيها أحد القوانين الثلاثة، ومن جهة أخرى يتحقق فيه قانون ثان وهكذا، بحيث لا يتعلق الأمر ببنية القافية بل بأشكال تحققها في المتن المدروس.

ونلاحظ في النص أيضا فصلا بين بنية البيت أو قوانينه وبنية القافية أو قوانينها، والحال أن الثانية جزء منها، مثلما يُعتبر الروي جزءا من القافية (والكاتب يفصل بينهما). وبعد ذلك، نجد الكاتب يتحدث عن "بنية الإيقاع في المتن الشعري المعاصر بالمغرب" قائلا: "عندما تحدثنا عن البيت و القافية كنا نهمى أرضية للبحث عن بنية الإيقاع، ذلك أن البيت والقافية هما مجال تجلي البنية الإيقاعية" (بنيس، ص: 81).

وتعقيبا على ما ورد في النصين السابقين، نتساءل: لماذا لم يخصص الكاتب حيزا للحديث عن البنية الإيقاعية في المتن معتبرا البيت بتفعيلاته وقافيته عنصرا من عناصر هذه البنية، عوض هذا الفصل غير المرر؟ ونشير أيضا إلى أن البيت والقافية ليسا لوحدهما "مجال تجلي البنية الإيقاعية"، إذ هناك عناصر صوتية أخرى لم نتحدث عنها الدراسة.

ب- أما كتاب لحمداني، فنجده يوظف مصطلح "البنية" بشكل غير منتظم وواضح، إذ قليلا ما يشير أثناء التحليل إلى أنه بصدد البحث عن بنية معينة محمدا عناصرها و العلاقات التي تربط في ما بينها. ومن الأمثلة النادرة لتوظيفه لهذا المصطلح، قوله (وهو بصدد رواية "قبور في الماء" ل محمد زفزاف): "ليس هناك شك في أن وضعية الشخصيات الروائية تشكل بنية دالة في مجموع العلاقات التي تربط بين بعضها البعض. ولقد أكد هذه الحقيقة أحد نقاد الاتجاه الشعري أو الإنشائي "La critique potique" (يقصد به

جان إيف طادي (J.Y. Tadi) حين قال: إن كل شخصية في السرد القصصي هي بنية تعبيرية" (لحمداني، ص:511).

ج- وإذا انتقلنا الآن إلى كتاب "الرؤية البيانية عند الجاحظ"، وجدناه يحاول توظيف مصطلح البنية وفقا للتحديد الذي يقدمه له إبان تعريفه لبعض المفاهيم المطبقة. ونحيل هنا على كل ما نجده بصدد مرحلة الفهم عند بلمليخ، إذ أن هذا الإجراء النقدي قد خصص للكشف عن رؤية العالم، وعنصر الحيوان، ثم عنصر الإنسان، وهذه العناصر تدخل في علاقات في ما بينها حاول بلمليخ توضيحها.

وقد فعل الشيء نفسه في مرحلة التفسير حيث اعتبر كلا من الفكر الاعترالي والوضعية الاجتماعية و الاقتصادية لعصر الجاحظ بنيتين، حاول توضيح عناصرهما وربطها في ما بينها في علاقات واضحة.

غير أن أهم ما نلاحظه في هذا التوظيف كون صاحبه قد أغفل الحديث عن عنصر من عناصر البنية الفكرية والمتمثل في عنصر العالم مما جعلنا نعتبر تحديده لهذه البنية تحديدا يشوبه نوع من الخلل أو التشويش.

3.2- الوعي

نقصد بتوظيف الدراسات الثلاث لمصطلح الوعي ما إذا كانت تميز في تحليلها بين الوعي القائم و الوعي الممكن.

وإذا كان بلمليخ لا يخصص لهذا المصطلح مكانا في التمهيد الخاص بتحديد مفاهيم الدراسة، فإننا لا نجد له ذكرا أثناء التحليل. أما بنيس فغالبا ما يستعمله استعمالا لاينم عن اعتباره مصطلحا إجرائيا، فعندما يقول: "إن الكاتب يعي، حسب مستويات متعددة، وفي مختلف المراحل التاريخية، صنف القراء الذي يتوجه إليه بكتابته، وهذا الوعي يعين إلى جانب العوامل الأخرى، بلاغة، وقوانين كتابته" (بنيس، ص:339)، يكون مفهوم الوعي هنا مرادفا للمعرفة أو الإدراك.

إن لحمداني-هذه المرة- هو الذي يوظف مصطلح الوعي بشكل أكثر إجرائية منه لدى الكاتبين الأولين، حيث يميز بين نوعي الوعي: القائم و الممكن. وللتدليل على ذلك نسوق هذا النص (مشيرين إلى أن الدراسة ككل تسير في هذا المستوى من التحليل الذي يمكن أن نعتبر مفهوم الوعي(الإيديولوجي) المفهوم المتحكم فيه من البداية إلى النهاية) الذي يقول فيه: "وإذا كانت روايات"غلاب" قد عبرت فقط عن الوعي الممكن عند بعض فصائل البورجوازية الوطنية فذلك يعني أنها لم تأخذ بعين الاعتبار أصناف الوعي الممكن للفئات الاجتماعية الأخرى، وخاصة تلك التي كانت تنتقد الواقع و تطمح إلى ما هو أفضل. لذلك وبحكم هذا الاهتمام الضيق بالمشاكل الذاتية التي كانت تعانيها تلك الفصائل المتتمة للبرجوازية الوطنية، بقيت روايات "غلاب" في نطاق التصالح مع الواقع الكائن، خاصة وأنا أثبتنا في الخلفية السوسولوجية بأن تلك البرجوازية كانت بالفعل قد أخذت بعد الاستقلال تدخل في علاقة تصالح مع الفئة الاجتماعية السائدة، وتلاءم مع العلاقات الجديدة التي أصبحت لهذه الأخيرة مع الغرب" (لحمداني، ص: 526).

4.2- الفئة (أو الطبقة) المجتمعية:

أ- نود أن نبدأ حديثنا عن توظيف هذا المصطلح السوسولوجي بنموذج لحمداني. ذلك أن النص السابق بقدر ما يهمننا في التدليل على توظيف مصطلح الوعي بقدر ما يتضمن حديثاً عن مصطلح "الفئة المجتمعية"، وهما عنده مرتبطان ويصعب الفصل بينهما. ولعل أهم ملاحظة تفرض نفسها على هذا النص تكمن في أن صاحبه ينطلق في أحكامه القيمة على الأعمال الروائية المحللة من معيار يعتبر العمل الروائي النموذجي هو ذلك العمل الذي بإمكانه التعبير عن وعي ممكن خاص بكل الفئات المجتمعية، إذ يعترض على روايات عبد الكريم غلاب بكونها تعبر "فقط عن الوعي الممكن عند بعض فصائل البورجوازية"، وكان ينبغي لها-حسب هذا التصور- أن تعبر كذلك عن الوعي الممكن لباقي الفئات الموجودة في المجتمع المغربي "وخاصة تلك التي كانت تنتقد الواقع و تطمح إلى ما هو أفضل".

هذا الفهم لمصطلح الوعي يدل على أن الدراسة لا تستعمله بالكيفية التي توطنها بها
البنوية التكوينية في الأصل، أي من خلال اعتبار العمل الأدبي تعبيرا عن رؤية العالم
الخاصة بفئة معينة من الفئات المجتمعية، ويؤكد هذا الأمر كون الدراسة بتوظيفها للمنهج
تهدف إلى القيام بنقد سياسي إيديولوجي لا غير.

ب- أما توظيف بنيس لمصطلح الفئة، فتكمن دراسته من حيث الكيفية التي يعتبر بها
الشعراء المقروئين في كتابه متجانسا ينتمي إلى فئة واحدة. يقول هذا الناقد في هذا
الشأن: "إن الشعراء الذين ندرسهم وعددهم أحد عشر، ينتمون للموقع نفسه، في
المدة التي كتبوا فيها قصائدهم، فهم يشتغلون في وظائف، أو يمارسون مهنا حرة
" (بنيس، ص: 345)، ولتوضيح هذا "الموقع الاجتماعي" يقدم خطاطة تبرز نوع
الوظائف التي يزاولها هؤلاء الشعراء في حياتهم المهنية. ويعقب على هذه الخطاطة
قائلا: "ينتظم هؤلاء الشعراء في موقع اجتماعي خاص، ثمانية منهم منخرطون في سلك
التعليم، بمختلف مستوياته، وأثنان منهم يمارسون المحاماة، وهي مهنة حرة، وواحد
يشتغل في ميدان الصحافة، وهي مهنة حرة كذلك. والملاحظ هو أن بعض هؤلاء
الشعراء ارتقوا في السلم الاجتماعي، فمنهم من انتقل من الثانوي إلى الجامعة، ومنهم
من ارتقى من مجرد وظيفة بسيطة في الإذاعة إلى مرتبة المحامي، ولاشك أن هذا الارتقاء
في السلم الاجتماعي يساعد على إحداث تحولات طبقية، وخاصة بالنسبة للمحامي
الذي قد تصبح المحاماة بالنسبة إليه عملا ثانويا. ونحن الآن لسنا في حاجة لإثبات
بعض الحقائق الاقتصادية، بالنسبة لبعض هؤلاء الشعراء، حتى نتأكد فعلا من تصنيفهم
تصنيفا صائبا، لا يعتمد على المظاهر، مادام الشاعر عبد الإله كنون قد توقف عن كتابة
الشعر منذ 1965، وما دام الشاعر عبد الرفيع الجوهري لم يلتحق بالعمل كمحام
متدرب إلا في سنة 1971، ولم يمارس عمله بحرية إلا بعد 1974، بينما البحث ينتهي
في 1975 (حيث مهرجان اتحاد كتاب المغرب من 17 إلى 21 مارس) " (بنيس، ص:
346).

إن هذا النص يبرز مدى الصعوبة في تعيين الفئة أو الطبقة التي ينتمي إليها الشعراء الأحد عشر. ذلك، أن الانطلاق من الوظائف المهنية يقدم نتائج نسبية ومتغيرة مادام هؤلاء الشعراء يرتقون في وظائفهم أو ينتقلون من مهنة إلى أخرى.

ونجد في كتاب محمد بنيس توظيفات كثيرة لمصطلح الفئة (أو الطبقة) المجتمعية، وهي توظيفات تطرح على القارئ نقط استفهام حول المقاييس المضبوطة المتبعة لتعيين هذا المفهوم. من ذلك مثلاً: "(...) البرجوازية الصغيرة (و الكاتب يصنف الشعراء الأحد عشر ضمن البرجوازية الصغيرة)، ممثلة في الفلاحين الصغار، و الحرفيين، والموظفين المتوسطين والصغار، و التجار الصغار(...)" (بنيس، ص: 363).

فهذا النص يعتبر كل هذه الشرائح ضمن البرجوازية الصغيرة، وما تشترك فيه هو كونها جميعاً ذات مهن صغيرة أو متوسطة. غير أن هذا الأمر سيختفي في النص الموالي، عندما سيعتبر الكاتب "التلاميذ" و"الطلبة" منتمين لهذه البرجوازية الصغيرة، يقول: "ولعل أهم نقطة في الصراع الاجتماعي بالمغرب هي المتمركزة في انتفاضة 23 مارس 1965، التي بدأتها البرجوازية الصغيرة، وخاصة التلاميذ ثم الطلبة، في كل من البيضاء والرباط ومكناس وفاس ومراكش، وغيرها من المدن الأخرى، وانضم إليها العاطلون والمشردون، فكانت انتفاضة دامية، أثبتت أولاً تصاعد الصراع الطبقي، وثانياً غياب الأداة التنظيمية و التوجيهية لهذا الصراع حتى يتحول الانفجار من مجرد انتفاضة إلى سعي واع نحو التغيير" (بنيس، ص: 378).

ج- أما توظيف المصطلح في كتاب بلمليح، فيطرح مسبقاً بعض الاستفهامات حول مدى ملاءمة مثل هذه المصطلحات لدراسة مجتمعات عربية ضاربة في القدم، والحال أن التقسيم إلى فئات أو طبقات إجراء منهجي مأخوذ عن الدراسات السوسولوجية الغربية المنطلقة من الواقع المجتمعي الغربي. ويمكن للمرء أن يتشكك في صلاحية تطبيق مفهوم الطبقة على المجتمع العربي في العصر الحديث (مادامت معاملة لا تشبه معالم نظيره الغربي)، و بالأحرى أن يمارس هذا الإجراء على المجتمع العربي الإسلامي في مرحلة الأمويين و العباسيين.

يقول بلمليح: "ونستخلص أن الاقتصاد الإسلامي في العصر الوسيط، وخاصة على عهد العباسيين، اتخذ مسارين اثنين متكاملين ومتناقضين في آن واحد: ما يشبه الإقطاع وهو الذي عرفته البادية، وما يقترب من الرأسمالية وهو الذي عرفته المدينة.

ولذلك فإن الفئات الاجتماعية المرتبطة بهذين النظامين لم تكن طبقات متميزة وواضحة المعالم، بل كانت مجرد فئات نستطيع التعرف عليها دون أن نرسم حدودها بدقة ووضوح" (بلمليح، ص:102).

نلاحظ أن النص يصدر عن نوع من المعيارية السوسولوجية، ذلك أنه ينطلق من معايير مجتمعية واقتصادية حديثة ويسقطها على المجتمع العربي في العصر الوسيط، لذلك نجد عبارات "ما يشبه الإقطاع" أو "ما يقترب من الرأسمالية"، كما نلاحظ ورود مفهومي الفئة والطبقة باعتبارهما مترا دفين (وهذه الملاحظة تم كذلك الكتائين السابقين).

يضيف الكاتب قائلاً: "فمن المعقول إذن أن يكون مجال اهتمامنا- وهو التعرف على الفئة الاجتماعية التي آثرت الاعتزال - محفوفاً بعدة مشاكل، أهمها أن هذا التعرف يعتبر مجرد مقارنة خجولة تنقحها الوثائق بشكل كبير، ويطبعها التعميم الذي يبدو في بعض ما يتوصل إليه من نتائج غير علمي يرضي طموح هذا البحث (...)" (بلمليح، ص:102).

ولعل الناقد قد استشعر هو نفسه صعوبة تطبيق مثل هذه المصطلحات التي تستلزم القيام ببحث سوسولوجي قليل المصدقية مادام يفتقر إلى الوثائق ومادام يسقط معايير سوسولوجية خاصة بمجتمع معين على مجتمع من نوع آخر.

وجواباً عن سؤال الفئة المجتمعية التي ينتمي إليها المعتزلة، يقول بلمليح: "ارتبط الاعتزال في نشأته وتطوره بهذه الفئة التي يمكن أن نطلق عليها لقب الطبقة المتوسطة، وهي التي لم يكن أصحابها من أثرياء التجار أو الملاكين، كما لم يكونوا من أصحاب الصنائع أو العمل اليومي الشاق" (بلمليح، ص:105).

خلاصة عامة :

لعل أهم ما يمكن الخروج به إثر هذه الدراسة المقتضية أن تعامل النقد المغربي الحديث مع المصطلحات النقدية الغربية إشكالية ما تزال في حاجة إلى المزيد من الدراسات والتمحيص، لأن المسألة الاصطلاحية جزء من معالم أزمة هذا النقد، والخروج من هذه الأزمة يفترض التعرف على شروط هذه المسألة ومراعاتها أثناء الممارسة النقدية التحليلية . من الزاويتين اللتين انطلقنا منهما ، أي نظريا و تطبيقيا :

و هكذا ، فمن حيث التعامل النظري مع المصطلح ، ينبغي في نظرنا العمل دائما على تحديد المعجم الاصطلاحي الذي يختاره الناقد تفاديا لسوء التفاهم الذي قد يحدث بين الناقد و قارئه ، مادام النقد أصلا خطابا تواصليا.

أما من زاوية تشغيل المصطلح ، فإن التعامل العلمي مع المصطلحات النقدية الغربية يقتضي فهمها في أصولها الغربية و الوعي بحدود كل واحد منها و بمدى نجاعة تطبيقه على متن أدبي مختلف بالضرورة عن نظيره الغربي الذي وضع المصطلح لوصفه.

ولا شك أن من دلائل عدم مراعاة ما سبق ذكره مسألة ترجمة المصطلح، من حيث إنها صورة للكيفية التي يتعامل بها النقد المغربي مع المصطلحات الغربية. فلنمثل لذلك بمصطلح "البنية" (STRUCTURE) الذي يعتبر أهم المصطلحات ورودا و استعمالا عند النقاد الثلاثة، حيث نلاحظ اتفاقا في ما يخص ترجمته بوصفه مصطلحا مفردا. غير أنه عندما يتعلق بجمعه و ببعض مشتقاته ، فإن الأمر يختلف :

ففي ما يتعلق بجمع المصطلح ، فهو يأتي عند بنيس و بلمليح بصيغة "بنيات" ، فيما يأتي عند حمداني بالصيغة نفسها بالإضافة إلى صيغة أخرى هي: "بنى".

وعند النسبة من البنية نجد عبارة "البنوية" عند الأولين بينما يستعمل حمداني عبارة "بنائية".

وهناك مصطلح (STRUCTURATION) يرد عند بنيس بصيغة "تبنين"، ويترجمه بـ "بلمليح ب" "انبناء".

أما مصطلح (MICROSTRUCTURE) فيترجمه بنيس بـ "البنيات الجزئية"، أما لخداني فيعبر عنه تارة بـ "الجزئيات البنائية الدقيقة وتارة أخرى يترجمه بـ "البنيات الدقيقة".

ونحن لا نريد هنا الدخول في مناقشات حول هذه الترجمة أو تلك، إذ ما يهمنا ليس تقديم مقابلات "صحيحة" لكل مصطلح على حدة، بل يكمن في الإشارة إلى مسألة انعدام الدقة في التعامل مع هذا الموضوع والميوعة في توظيف المصطلحات النقدية، هذه الميوعة التي تذهب أحيانا إلى حد نجد فيه كتابا نقديا واحدا لا يوحد ترجمة مصطلحاته ومفاهيمه.

ولعل هذه المسألة مرتبطة بإشكالية الترجمة عامة، وهي تحتاج إلى دراسات مستقلة لا تخفى أهميتها في فهم طبيعة التعامل النقدي بين المغرب و العالم الغربي.

الهوامش:

- 1- أحمد بوحسن : "مدخل إلى علم المصطلح، المصطلح ونقد النقد العربي الحديث"، الفكر العربي المعاصر، رقم 60-61 ، بيروت-باريس، يناير- فبراير ، 1989، ص 84.
- 2- عنوانه الفرعي هو (مقاربة بنوية تكوينية)، الطبعة 2 ،المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، 1985. وصدرت طبعته الأولى عن دار العودة ببيروت سنة 1979.
- 3- عنوانه الفرعي هو (دراسة بنوية تكوينية)، دار الثقافة الدار البيضاء، 1985.
- 4- دار الثقافة، الدار البيضاء، 1984.
- 5- لاشك أن مصطلحي "الفهم" و "التفسير" هما المصطلحان الإجرائيان الأكثر أهمية بالنسبة إلى البنية التكوينية، غير أن تناولهما سيحتم علينا، خاصة في النقطة الثانية الخاصة بالتوظيف، الحديث عن الخطوات المنهجية، أكثر من الحديث عن مسألة المصطلحات رغم تلازم القضيتين وكون الواحدة منهما تستدعي الأخرى.
- 6- عند الإحالة على الكتب الثلاثة المدروسة، نقتصر على ذكر اسم المؤلف و الصفحة بين قوسين.
- 7- يرى كولدمان أنه "كلما كان الأثر تعبيرا لمفكر أو كاتب عبقري كلما فهم مباشرة، دون أن يكون في حاجة إلى سيرة المبدع أو مقصده" (انظر: Lucien Goldmann : Gallimard , Paris, 1972, P.51 , Recherches Dialectiques).

الترجمة والاصطلاح

ذ.مصطفى سيناوي

كلية الآداب مكناس

سنحاول في هذه¹ الورقة المعنونة ب "الترجمة والاصطلاح" أن نتحدث انطلاقا من التصميم التالي :

في البداية نتطرق لمفهوم الترجمة وعن الدور الذي لعبته هذه الأخيرة في الحضارات الإنسانية.

في نقطة ثانية سنتحدث عن الترجمة، وارتباطها بالمصطلح وأخيرا سنقترح بعض المقترحات التي نراها واردة في هذا الباب.

لقد عرفت المجتمعات القديمة الترجمة ، ذلك أن التراث اليوناني تمت ترجمته إلى اللغة العربية وباقي اللغات البشرية الأخرى.

يقول الجاحظ : [ولا بد للترجمان أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة واللغة المنقول إليها، حتى يكون فيهما سواء و غاية⁽¹⁾]. فالترجمة بهذا المعنى عملية تواصل من نوع خاص، لأن المترجم إنما يقصد ما يقصد إليه المفسر، إذ يشرح للسامع أو القارئ كلاما في لغة لا يفهمها⁽²⁾.

لقد تمت ترجمة التراث العربي إلى اللغات البشرية الأخرى حيث تمت ترجمة كتب الفلاسفة المسلمين وخاصة ابن رشد كما تمت ترجمة كتب بعض الأطباء العرب كالرازي وابن سينا كما تمت ترجمة كتب ابن خلدون.

هذه الترجمات كان الهدف منها :

أولا :

الإطلاع على الحضارة العربية وثانيا الاستفادة من هذه الكتب. وبهذا المعنى تصبح الترجمة عملية تواصل من نوع خاص، إذا فهم النص المترجم وقد تصبح عملية لا تؤدي إلى التواصل.

يقول الأستاذ الشاهد البوشيخي : مصطلحات النقد العربي ص. 70. إن الأصل في التسمية أو يوضع للمسمى الواحد اسم واحد وأن يعين المصطلح فسماء كما يعين العلم فسماء ولذلك كان للمصطلحات الجيدة شرطان :

1 - ينبغي تمثيل كل مفهوم أو شيء بمصطلح مستقل.

2 - عدم تمثيل المفهوم أو الشيء الواحد بأكثر من مصطلح واحد.

لقد تزايد اهتمام العرب وخاصة في السنوات الأخيرة بترجمة علوم الدول المتقدمة إلى اللغة العربية وذلك بهدف مواكبة ومسايرة التقدم العلمي والتكنولوجي (الذي تتعامل معه كمستهلكين لأننا لا نساهم في عملية الإنتاج).

ونأخذ هنا كمثال الترجمة اللسانية بالمغرب. لقد تمت ترجمة كتاب دوسوسير Cours de linguistique gnrale، (محاضرات في علم اللسان العام) و(دروس في اللسانيات العامة).

كما أننا نجد : مجلته بين الحكمة التي اهتمت بترجمة العلوم الإنسانية. يقول علي القاسمي : اللسان العربي، مج 18 ص. 13.

"يجب تخصيص مصطلح واحد للمفهوم الواحد، وذلك بالتخلص من الترادف والاشترك اللفظي والالتباس في اللغة العلمية والتقنية".

إن الإنجليز وخصوصاً الأمريكيين الذين تقدمت عندهم البحوث اللغوية بكل مستوياتها ورسمت سياسات لغوية لا يتورعون في إدخال كل لفظ استعمله الناس للتواصل ضمن معاجمهم ولو لم تكن جذوره من الإنجليزية. ومن هنا تصبح اللغة وظيفية⁽³⁾.

ويؤكد الأستاذ الفاسي الفهري في كل أبحاثه اللسانية أن اللغة العربية يجب أن تكون لغة وظيفية، فإذا بحثنا مثلاً عن عدد من الكلمات أو عن عدد من المفاهيم لا نجد ما يقابلها في المعجم العربي فمثلاً كلمة "جير" لم تدخل في المعجم العربي إلا مؤخراً مع أن العرب هم الذين ابتدعوها في المقابل نجد كلمات عربية كثيرة في المعجم الغربية لم تدخل إلى حد الآن في معجمنا. فالمعجم العربي جل شواهدة الشعرية مأخوذة من الشعر الجاهلي وبعض النصوص القديمة، وليس هناك حصراً للمادة على أساس الاستعمال الذي نريده.

فكلمة أميرال : عربية "أمير البحر" موجودة في اللغة الفرنسية.

بالنسبة للفرنسية لا يوجد فيها الغزال لهذا أنثوها فقالوا La Gazelle.

يقول الأستاذ الفاسي الفهري : 1984.

"إن المصطلح معجم قطاعي خاص ينمو وينضبط بضوابط ذاتية داخلية وكذلك بضوابط المعجم العام General Lexicon. فهناك حركة تجديد دائمة تنبذ اللفظ المعهود والمعنى المتداول لتبدع اللفظ الجديد. فمشكل التعريب ليس مشكل ترجمة بالأساس فالترجمة تساهم في نقل التجارب والنتائج العلمية والتقنية كما أن للترجمة دور في تقدم البحث العلمي وتطور الفكر فكون حضارة أفرزت اكتشافات مادية أو منتجات تقنية جديدة لا يعني بالضرورة أنها "تتحكم في الألفاظ فالأمريكي يسمي Computer لكن اللسان العربي وضع لها مقابلات متعددة : عقل إلكتروني وحاسب إلكتروني، وحاسب آلي، حاسبة، وحاسوب ونظام ورتابة".

والله أعلم

أهداف الترجمة :

قد تكون للترجمة أهداف منها :

- الفهم والاستيعاب.

- الإطلاع على حضارة ما.

- التلاقح أو التفاعل بين الحضارات.

بعض المصطلحات التي وقع خطأ في ترجمتها:

الفونولوجيا PHONOLOGY : يترجمها المشاركة ب "علم الأصوات التشكيلي"

عبد الصبور شاهين.

ويرجمها الأستاذ الفاسي الفهري ب"الصوابة".

إذا أردنا أن نترجم الصفة -Phonological- نجد صعوبة إذا أخذنا بتصور المشاركة

لكن سيحل المشكل إذا تم ترجمته ب"صواتي".

- كلمة Casse croute = بترجمتها أحمد الأخضر غزال.

ب" شاطر ومشطور وبينهما طارج"

مع العلم أنها في العربية ما يقابلها. وهي "لجة".

- كلمة هاتف عمومي Tlboutique

- مخدع هاتفي

مع العلم أن هناك كلمة وجدتها في النسق العربي وهي "مهتف" المكان الذي نمتف

فيه. القياس : مسكن، مخدع، مشرب، مرقص الخ.

المصادر والمراجع

- أولمان، ستيفن : 1975، دور الكلمة في اللغة ترجمة كمال بشر، مكتبة الشباب بالقاهرة.
- بن ذريل، عدنان، 1981، اللغة والدلالة/آراء ونظريات، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق.
- المحاظ 1965 الحيوان، ج.1، تحقيق عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- صيني، محمود إسماعيل 1985م، مترجم ذليل المترجم، دار العلوم للطباعة والنشر بالرياض.
- الفاسي الفهري عبد السلام، معجم المصطلحات اللسانية، أبحاث لسانية المجلد 2 العدد 2 دجنبر 1997.
- الفاسي الفهري عبد القادر، جريدة الأحداث المغربية 24 فبراير 1998.

(1) - الحيوان، ج. 1، ص 76.

(2) - عجيبة، الترجمة ونظرياتها، ص 356.

(3) - الفاسي الفهري، 1997.

المعجم الرابع

قضايا بناء المعاجم الاصطلاحية

وخصوصية القطاع المعرفي

1

قضايا بناء المعاجم الاصطلاحية

ملاحظات حول بناء معجم لمصطلحات النقد العربي وتوثيقها

ذ. عبد الرزاق جفني

كلية الآداب - الجديدة

يقول الدكتور إدريس نقوري :

« إن دراسة المصطلح العلمي والمصطلح النقدي بخاصة دراسة منهجية وعلمية دقيقة ، تفتح أمام الباحث عدة أبواب ، وتضعه أمام خيارات منهجية متعددة ، وتفصله المجال لفحص وتجريب إمكانات كثيرة وذلك بحسب الوجهة التي ينتهجها في الدراسة ، والغرض الذي يتوخى تحقيقه من بحثه. »¹

لهذا السبب تعددت وجهات النظر، واختلفت الرؤى والتصورات حول كيفية دراسة المصطلح النقدي، وحول السبل الناجعة لإقامة معجم تاريخي شامل للمصطلحات. تعدد عكسه بتجريب وإخضاع المادة الاصطلاحية لعدة مناهج، ولعدة طرق التصنيف والترتيب ، والتي على الرغم من تباينها، فإنها قد أدت إلى نتائج علمية ومعرفية هامة تتجسد أساسا في تحقيق نوع من التراكم الكمي والكيفي في نفس الآن. ومع ذلك يبقى من الأنسب في هذا المجال، توحيد الرؤى والتصورات ، وتنسيق الجهود بين الباحثين ، إذ هو السبيل السليم والنهج القويم «لتذليل العقبة الكأداء - كما قال أستاذنا الدكتور الشاهد البوشيخي عقبة إنجاز المعجم التاريخي للمصطلحات الذي هو خطوة من أهم الخطى في الطريق إلى المعجم التاريخي للغة العربية»²

ومن ثم سنسعى في هذه الورقة إلى إبداء ملاحظتين أساسيتين ، بخصوص بناء معجم لمصطلحات النقد العربي وتوثيقها. ملاحظتان نتوخى من ورائهما توحيد مسالك البحث وطرقه ، لأن التوحيد كما قال د. محمد قبسي : «ينتج عنه ثلاثة أشياء : قابلية الاستعمال التنظيم والتنسيق والضبط التبسيط»³

- الملاحظة الأولى : مسألة التقطيع الزمني⁴ للتراث النقدي.

- 1 تحديد المصطلح : التقطيع لغة من القطع ، وهو «إبانة بعض أجزاء الجرم من بعض فصلا»⁵ . وتقطيع الشعر : «وزنه بأجزاء العروض»⁶

وبذلك يفيد التقطيع في معناه العام، التجزئة والفصل والتقسيم والتفريق. وفي مجال دراسة المصطلح النقدي، فإننا نعني به ، تقسيم وتوزيع التراث النقدي العربي بناء على معيار دقيق إلى مراحل محددة في الزمن ، تحديدا منطقيا يساعدنا على بناء الموضوع وتشبيده، ومعالجته معالجة منهجية دقيقة ومضبوطة.

فإذا كان الخطاب أي خطاب يفترض ترتيبا معينا في الزمان والمكان⁷، فإن الخطاب النقدي العربي القديم قد خضع هو الآخر لمنطق التقسيم والتقطيع ، تقطيع ارتكز بالأساس على التاريخ السياسي والاجتماعي ، فاستند بذلك «إلى معايير غير نقدية هي بالأساس معايير صناعة التاريخ ، بحيث تسقط على تاريخ النقد الأدبي مفهوم العصر والعهد والفترة، وتلحقه مباشرة بما هو تاريخ سياسي اجتماعي»⁸ . ولدينا فيما أنجز من دراسات حول النقد العربي القديم وتاريخه أكثر من شاهد.

ولا نود أن نخوض في هذه المسألة ، فليس المقام مقامها، لأنها تحتاج إلى دراسة مستقلة ومستفيضة ووافية ، كما لا نرمي من وراء هذا الكلام إلى التقليل من شأن هذه الممارسات النقدية ، فهي قد أدت إلى نتائج هامة ومهمة، وساهمت في إغناء رصيد الدراسات النقدية بمجموعة من الآراء والأفكار التي لها وزنها وقيمتها المعرفية. ولكننا أردنا أن نبين أن أشكال التحقيب هذه لا يمكن أن تفي بالغرض المقصود ، ولا تتماشى والتصور الذي نظرته بخصوص بناء معجم تاريخي شامل لمصطلحات النقد العربي.

2- منهجية التقطيع :

إن عملية بناء معجم تاريخي شامل لمصطلحات النقد العربي تقتضي منا التمييز بين مستويين معينين من الدراسة :

1- مستوى الدراسة الجزئية : والتي سلكت فيما أنجز إلى الآن مسلكين اثنين :

١- مسلك اهتم بدراسة المصطلحات في المؤلف الواحد أو عند المؤلف الواحد، وتمثله مجموعة من الدراسات والرسائل الجامعية⁹.

ب- مسلك اهتم بدراسة المصطلحات في حقبة تاريخية معينة، وعند فئة معينة، وهو المسلك الذي سلكته الدراسة القيمة للدكتور الشهيد البوشيخي: "مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين".

٢- مستوى الدراسة الشمولية: ونقصد بها بناء المعجم التاريخي الشامل لمصطلحات النقد العربي. إلا أن تحقيقه يبقى رهينا بما حققته، وما ستحققه الدراسات الجزئية من تقدم وتطور. وبعبارة أخرى، فعملية بناء المعجم الشامل لا يمكن في نظرنا أن تتم إلا ببناء تقطيع للتراث النقدي وفق مقياس عملي ومنطقي يتماشى ومستوى الدراسة الجزئية كما نراها، ويمهد للدراسة الشمولية التي ننشدها. تقطيع يراعي الأهداف المرجوة، ويسعى الى تحقيق النتائج المتوخاة، والغاية من ذلك هي رسم حدود له في الزمن «نبدأ منها ونقف عندها في تاريخنا»¹⁰.

وانطلاقا من هذا التصور، نقتراح في هذا المجال تقطيعا زمنيا، نظنه سيمكن الباحثين من تجاوز مجموعة من العقبات، ويعفيهم من التكرار، وهو تقطيع إجرائي تنظيمي نتوخى من ورائه المساهمة في تنظيم البحث العلمي في المجال المصطلحي وخاصة في الجانب الوثائقي، حتى يسير في خطى ثابتة نحو تحقيق الهدف المنشود. وهو تقطيع يرتكز على تقسيم الزمن بمراعاة تسلسل السنوات رقميا، فنقسم التراث النقدي تقسيما "قرنيا" نسبة إلى القرن بمعناه الذي أعطاه إياه علماء اللغة واتفقوا عليه. جاء في لسان العرب: «القرن: الأمة تأتي بعد الأمة، قيل مدته عشر سنين، وقيل عشرون سنة، وقيل ثلاثون، وقيل ستون، وقيل سبعون، وقيل ثمانون، وهو مقدار التوسط في أعمار أهل الزمان، وفي النهاية: أهل كل زمان، ومأخوذ من الاقتران، وقيل: القرن مائة سنة، وجمعه قرون. وفي الحديث: أنه مسح رأس غلام وقال: عش قرنا، فعاش مائة سنة. قال أبو العباس وهو الاختيار لما تقدم من الحديث.»¹¹.

وبذلك نقسم التراث النقدي حسب مراحل زمنية محددة ، تبتدئ أولها من السنة الهجرية الأولى إلى السنة المائة، وثانيتها من السنة الواحدة بعد المائة إلى السنة المائتين، وثالثتها من السنة الواحدة بعد المائتين إلى السنة الثلاث مائة، وهكذا دواليك. أما ما قبل ذلك فيمكن تقسيمه إلى مرحلتين : مرحلة تمتد من البدايات إلى ظهور الإسلام ، ومرحلة تبدأ من ظهور الإسلام وتنتهي بهجرة الرسول عليه الصلاة والسلام أي ببداية التاريخ الهجري. وحسب هذا الطرح ستمر علمية بناء المعجم التاريخي الشامل لمصطلحات النقد العربي عبر مستويين :

- أ - مستوى دراستها حسب هذه المراحل الزمنية، دراسة تقوم على جرد المصطلحات وتوثيقها وتحديد دلالاتها، وهو عمل سيكون على الدراسات الجزئية القيام به.
- ب - مستوى دراستها تاريخياً، دراسة تسعى إلى التأليف والربط بين هذه الأجزاء المنقطعة في تعاقبها في الزمن. وتلك مهمة الدراسة الشمولية التي نسعى إلى ترجمتها في أرض الواقع في يوم من الأيام.

ولعل هذا التصور من شأنه أن يوقفنا ويمكننا من مجموعة من الأمور :

- ضبط المادة الاصطلاحية لكل مرحلة من هذه المراحل ضبطاً دقيقاً.
- سهولة توثيقها في نظام الجداول.
- سهولة فهرستها.
- الاستقراء الشامل لكل المصطلحات ورصدها وتبعتها في كل مرحلة مرحلة ، ومن ثم سهولة رسم مسارها التاريخي في زمن لا قطعية بينه.
- سهولة تصنيف المصادر الجديدة التي قد تظهر يوماً ما في إطارها الزمني المناسب لها.

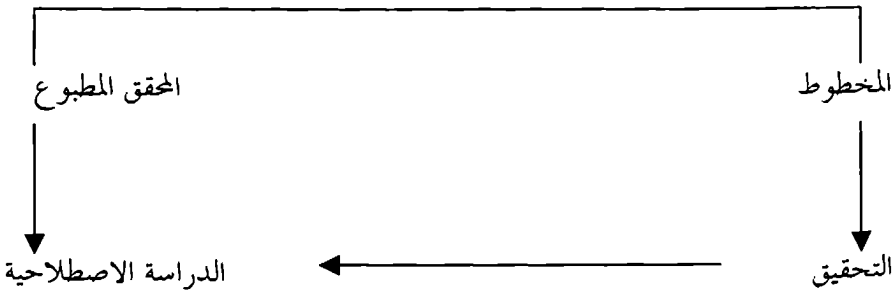
الملاحظة الثانية : المصطلح النقدي ومسألة التوثيق .

التوثيق لغة : من وثق الشيء أي أحكمه¹² قال ابن فارس : «الواو والتاء والقاف، كلمة تدل على عقد وإحكام ، ووثقت الشيء : أحكمته»¹³ . واصطلاحاً له معان أهمها أثنان : «قدم : ويراد به القيام بما يجعل الشيء موثقاً به. وحديث : ويراد به تجميع المعلومات المتعلقة بوثيقة ما، وتنظيمها تنظيمًا يسهل الرجوع إلى الوثيقة والاستفادة منها»

14 . وبذلك يكون التوثيق مطلباً وضرورة علمية لا بد منها، ولا يستقيم العلم ولا يستوي إلا به ، ولذلك عمل به القدماء وحرصوا عليه أيما حرص في سرد أخبارهم ورواياتهم وشواهدهم.

ولا نقصد في هذا المقام إلى الحديث عن أنواع التوثيق، وقد كفانا أستاذنا الشاهد البوشيخي عناء البحث عنها، جازاه الله عن ذلك كل خير¹⁵، ولا إلى الحديث عن توثيق المصطلحات من حيث الوسيلة المعتمدة¹⁶، ولكننا نرمي إلى طرح وجهة نظر حول كيفية وطريقة توثيق مصطلحات النقد العربي، مسترشدين بما قاله الدكتور الشاهد البوشيخي وألح عليه من أن «الدراسات المصطلحية متوقفة كل التوقف على حسن التوثيق للمصطلحات بدونها لا تستطيع الانطلاق، وكل خلل فيه ينعكس أثره عليه، كما أن لدقته إسهاما كبيرا في دقة نتائجها»¹⁷ لعلها تشكل بداية الانطلاقة لمشروع توثيق وفهرسة مصطلحات النقد العربي . وعلى الرغم من الفراغ الذي يتركه سواء المخطوط من مصادر النقد العربي أو المفقود منه في عملية التوثيق الشمولي للمصطلحات ، فإن ذلك لا ينبغي أن يمنعنا من المحاولة، وخدمة ما هو متاح وموجود بين أيدينا، ولأن الدراسة المصطلحية هي مرحلة تالية، ولا يمكن أن تنجز إلا بعد تحقيق التراث وتصحيحه كما تبين الخطاطة التالية :

التراث النقدي



إن عملية توثيق مصطلحات النقد العربي - حسب رأينا يجب أن تمر عبر أربع محطات رئيسية :

- المحطة الأولى : مرحلة الجمع والفرز : ويتم فيها جمع وفرز النصوص المروية من النصوص الأصلية في مختلف مصادر النقد العربي ، ويوثق كل نص الى صاحبه ، والى الزمن التاريخي الذي صدر فيه ، بناء على التقطيع الذي اقترحناه بخصوص تقسيم التراث النقدي وتوزيعه. وقد عمل مجموعة من الباحثين على إنجاز شطر من هذا العمل تحت إشراف الدكتور الشاهد البوشيخي ، نذكر منه حسب ما توصل إليه علمنا- ثلاث رسائل جامعية، همت الأولى نصوص النقد الأدبي عند الأصمعي¹⁸ ، وعנית الثانية بنصوص النقد الأدبي ومصطلحه عند أبي عمرو بن العلاء¹⁹ ، وخصصت الثالثة لنصوص النقد الأدبي ومصطلحه عند يونس بن حبيب²⁰ . ولعل هذه العملية من شأنها أن تحقق أمورا هامة نوجزها في أربعة :

1 صياغة النصوص ووقايتها وضبط التحريف أو التشويه الذي يكون قد شأها أثناء النقل.
 2- تفادي تكرار النصوص ومن ثم المصطلحات ، وخاصة بالنسبة للمصادر المتأخرة²¹ ، وحسبنا أن نستشهد في هذا المقام بما قاله الدكتور إحسان عباس عن كتاب الصناعتين لما قال: «ولو كنا نتصدى لتحقيق كتاب الصناعتين في هذا المقام، لرددنا كل ما فيه إلى مصادره».²²

3- جمع النصوص المفقودة والمتفرقة في مجموعة من المصادر النقدية ونسبتها إلى أصحابها ومن ثم وضعها في حيزها الزمني الذي صدرت فيه²³ .

4- تفادي واجتناب الخلط أو التخليط²⁴ الذي يقع فيه الدارس بين النصوص، فينسب من ثمة مصطلحاتها إلى غير صاحبها الأصلي، وخاصة عندما يتعلق الأمر بدراسة المصطلح عند المؤلف الواحد أو في المؤلف الواحد، كما حصل في بعض الرسائل والأبحاث الجامعية والتي لم يميز فيها أصحابها بين النص الأصلي والنص المروي، فأوقعهم ذلك في بعض الاضطراب والذي ما مرده إلا للتوثيق. وحتى نكون على بينة من هذا الأمر، سنسوق بعض الأمثلة :

- المثال الأول : رسالة الباحث بوزباع فوزي " المصطلحات النقدية في طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي"²⁵ والتي نسب فيها مجموعة من المصطلحات الى ابن سلام بينما هي وردت في سياق النصوص المروية لغيره. وهكذا كان الشاهد على مصطلح "التأبين" نصا ليونس بن حبيب²⁶ ، وعلى مصطلح" أبلغ" نصا لأبي عمر ابن العلاء²⁷ ،

وعلى مصطلح " البيت " نصا لبحرير²⁸، وعلى مصطلح " المحبرة " بيتين من الشعر لراعي²⁹، وعلى مصطلح " المفاخر " بيتا لجميل بن معمر³⁰، وهكذا دواليك في مصطلحات أخرى³¹.

المثال الثاني : رسالة الباحث : أحمد مزوارة : "المصطلح النقدي والبلاغي في تراث ابي علي الحاتمي"³² و التي ذكر فيها قائمة من المصطلحات لم ترد في كلام الحاتمي، وإنما وردت في نصوص غيره، كالأصمعي³³ والمبرد³⁴، أبي عبيدة³⁵، والمفضل الضبي³⁶، وغيرهم³⁷.

المثال الثالث : رسالة الباحث محمد أزهرى : "المصطلح النقدي في تراث أبي بكر الصولي"³⁸ والذي يعترف نفسه في خاتمة رسالته بأن المصطلحات التي تناولها، - كما يقول- «هي مصطلحات ليست خاصة به وحده، ويعني الصولي ولم ترد كلها في كلامه، بل إن مجموعة منها قد وردت في الفصول التي نقلها عن غيره من النقاد مثل الجاحظ والمبرد و ثعلب وابن المعتز، وفي النصوص الشعرية لشعراء قدماء ومحدثين، مثل الخنساء والنابغة وأبان وأشجحه والبحثري وأبي تمام وغيرهم، وفي النصوص النثرية لمجموعة من الرواة والعلماء الذين ذكرهم أبو بكر في مؤلفاته»³⁹ وأذكر هذه النماذج تمثيلا لاحصر⁴⁰.

المحطة الثانية : مرحلة التصنيف المصدري. وتعنى بتصنيف النصوص والمصادر إلى مجموعات مرتبة ترتيبا تاريخيا داخل كل مرحلة تبعا للتقطع الزمني المقترح، باعتباره الإطار الذي ستبنى عليه الدراسة الجزئية، وكذلك عملية التوثيق.

المحطة الثالثة : مرحلة التدوين الجذاذي. وهي مرحلة ضرورية من مراحل التوثيق المصطلحي، باعتباره أداة لتجميع المعلومات والمعطيات التي تساعد على ضبط المصطلح وتدقيقه، وإعداده للمرحلة الموالية. ويتم فيها توثيق المصطلحات بعد إخراجها وعزلها من النصوص، في جذاذات، تضم كل واحدة مجموع المعلومات والبيانات المرتبطة بتوثيق المصطلح : اسم المصطلح أصله اللغوي صيغه الفترة الزمنية التي استعمل فيها

اسم المستعمل اسم المصدر الذي جاء فيه التعريف رقم الصفحة، ونقترح في هذا الصدد تقسيم الجذاذة إلى قسمين كما يوضح النموذج التالي :

-1- وجه الجذاذة :

- المصطلح :
- الأصل الثلاثي :
- صيغ المصطلح :
- الفترة الزمنية التي استعمل فيها المصطلح :
- التعريف :

-2- ظهر الجذاذة :

أرقام الصفحات	اسم المصدر	اسم المستعمل

--	--	--

نموذج تطبيقي لمصطلح "المقابلة" في القرن الرابع.

-1- وجه الجذاذة :

- المصطلح : المقابلة
- الأصل الثلاثي : قبل
- صيغ المصطلح : قابل يقابل مقابل - مقابلة مقابلات
متقابلات تتقابل متقابل
- الفترة الزمنية التي استعمل فيها المصطلح : القرن الرابع الهجري
- التعريف : الإتيان بمعنيين متوافقين، او معان متوافقة ثم بما يقابلها أو يقابلها على الترتيب.

أرقام الصفحات	اسم المصدر	اسم المستعمل
206-205-204-134-133	نقد الشعر	-قدامة
ج 1 : 289	الموازنة	الأمدي
ج 3: 260-31.	حلية المحاضرة	الحائمي
ج 1: 415-173-152-124	الوساطة	القاضي الجرجاني
.432-413-412	المنصف	ابن وكيح
-339-338-337-266- 59 .340	الصناعتين	العسكري

ولعل هذه العملية من شأنها أن توفقنا على تحقيق مجموعة من الضوابط :

- ضبط المصطلح ضبطا دقيقا وتاما.
- ضبط الزمن التاريخي الذي صدر فيه وتعبُّه فيه.
- ضبط مستعمليه من النقاد.
- ضبط مختلف التسميات التي أعطيت للمفهوم الواحد.
- ضبط خصائصه ومواصفاته.
- ضبط أوجه الاتفاق والاختلاف ودرجة الاستعمال عند الناقد الواحد، وكذا عند مجموع المستعملين المنتمين إلى نفس الزمن التاريخي.

- المحطة الرابعة : مرحلة اختيار شكل التوثيق، أي اختيار صورة مناسبة وقالب نموذجي لتوثيق المصطلحات قصد تقديمها الى القارئ والمستعمل من جهة ، وإعدادها للخزن من جهة ثانية. ولهذا الغرض نقتراح توثيقها في شكلين أو فضائين :

* الفضاء الأول : هو فضاء الجدولة. ويكون بمثابة كشف عام للمصطلحات ، ويتضمن من جهة عموديا أسماء المؤلفين ومؤلفاتهم مرتبة ترتيبا تاريخيا بحسب كل مرحلة، ومن جهة أفقيا قائمة المصطلحات مرتبة ترتيبا ألفبائيا حسب جذرها الأصلي داخل كل حرف من حروف الهجاء، مع وضع علامة (+) في الخانة المناسبة كما يوضح الرسم التالي :

المصطلحات المؤلفون/المؤلفات	مصطلح 1	مصطلح 2	مصطلح 3	مصطلح 4
مؤلف 1	+		+	
مؤلف 2				+
مؤلف 3		+	+	
مؤلف 4	+		+	
مؤلف 5	+	+		+

وتتجلى أهمية هذا الكشف الاصطلاحي في أمور ثلاثة :

- أ تحديد المصادر التي احتوت المصطلحات ومستعملها.
- ب سهولة العثور عليها!
- ج- سهولة إدخال المصادر الجديدة التي قد تظهر في يوم ما بعد تصنيفها في الزمن التاريخي الذي تنتمي إليه ووضعها في مكانها المناسب من الترتيب التاريخي ، ومن ثم

سهولة وضع مصطلحاتها بعد التدوين الجذاذي في مكانها المناسب لها في الجداول

41

- الفضاء الثاني : فضاء الفهرسة.

فإذا كانت فهارس الكتب هي مفاتيحها الحقيقية التي عن طريقها يصل الباحث إلى بغيته بأقصى سرعة ممكنة بأيسر سبيل، فإن صلاحيتها لتوثيق مصطلحات النقد العربي أمر لا مرء فيه ، باعتبارها وسيلة دقيقة وناجعة توفر للمستعمل مزية استكشاف الحقل المفهرس، وتتيح له اختيار ما يريد من المواد أو الوحدات. لذلك وجب إعداد فضاء للفهرسة وتنظيمه تنظيمًا دقيقًا ومنهجًا تبعًا للهدف الذي وضع له.

وحتى يكون منطق الفهرسة مطابقًا لمنطق الجدولة ونظامه، فينبغي أن ترتب المصطلحات في الفهرس ترتيبًا هجائيًا تبعًا لترتيبها في نظام الجدولة ، بحسب جذرها الأصلي أي بحسب الأصل الأول والثاني وما يثقلهما في كل حرف من حروف الهجاء مع إثبات مختلف الصيغ التي ورد بها المصطلح.

وتكمن مزية هذه الطريقة في :

- أ - الوصول المباشر إلى المواد الاصطلاحية.
- ب - سهولة إدخال مواد جديدة.
- ج - تعبيد الطريق وتيسيره لاستغلال الوسائل الإلكترونية الحاسوب من أجل تخزين المعطيات وإقامة بنك لمصطلحات النقد العربي.

ونظننا بهذا العمل ، وفق هذه الطريقة المقترحة ، التي تهدف إلى التوثيق الجزئي لمصطلحات النقد العربي، وفق تقطيع زمني متفق عليه، وخطة متفق عليها أيضا، سنمهد لمشروع التوثيق الشامل لهذه المصطلحات، وكذا للفهرس الجامع الشامل الذي نأمل أن تتظافر الجهود، وتتوفر الإمكانيات المادية والمعنوية لمجموعات البحث في المصطلح وكذا لمعهد الدراسات المصطلحية لتحقيقه في أقرب الآجال ، إيمانًا منا بأن هذا العمل لا يمكن أن يتحقق إلا في إطار العمل الجماعي المنظم والمنسق.

المصادر والمراجع

- الأشباه والنظائر للخالدين : تحقيق د. السيد محمد يوسف، مطبعة التأليف والترجمة والنشر القاهرة " 1958.
- إشكالات التحقيق : منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات ، رقم 56 ، تنسيق محمد مفتاح وأحمد بوحسن : ط 1 : 1996.
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني : مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.
- تاريخ النقد الأدبي لإحسان عباس : دار الثقافة ، بيروت ، لبنان.
- تجديد التاريخ في تحليله و تدوينه لعمر فروخ : دار الباحث 1980.
- تقييد العلم للخطيب البغدادي : تحقيق يوسف العث ، دمشق 1949
- حضارة العرب في حفظ وراثتهم: الدكتور قبسي : دار الآفاق الجديدة ، بيروت 1981.
- حلية المحاضرة لأبي علي الحائمي : تحقيق د. جعفر الكتاني.
- صبح الأعشى للقلقشندي : دار الكتب المصرية ، القاهرة.
- الصناعتين لأبي هلال العسكري: تحقيق علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية، بيروت 1986.
- عيار الشعر لابن طبا طب العلووي. شرح وتحقيق عباس عبد الساتر. دار الكتب العلمية بيروت ط 1 1982.
- لسان العرب لابن منظور. دار صادر، بيروت
- مدخل إلى علم الاصطلاح : د. ادريس نقوري. مطبعة النجاح الجديدة : الدار البيضاء : ط 1 1997.
- مصطلحات نقد الشعر لدى نقاد القرن الرابع الهجري. د. عبد الرزاق جعنيدي، أطروحة الدولة كلية الآداب الجديدة : 99-2000.
- مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين : د.الشاهد البوشيخي، منشورات القلم . ط 1 : 1993.

- المصطلحات النقدية في طبقات فحول الشعراء : ذ بوزباع فوزي. د.د.ع. كلية الآداب فاس.
- المصطلح النقدي والبلاغي في تراث أبي بكر الصولي : ذ. محمد أزهرى د.د.ع كلية الآداب فاس.
- المصطلح النقدي والبلاغي في تراث أبي علي الحاتمي : ذ. أحمد مزواراة : ذ.ذ.ع كلية الآداب فاس.
- المصطلح النقدي والبلاغي في تراث ابن المعتز : ذ. عبد الحي الورياغلي القرشي: د.د.ع كلية الآداب فاس : 1989.
- المصطلح النقدي في كتاب العمدة : ذ. محمد أمهاوش. د.د.ع كلية الآداب . فاس 91-92.
- مقاييس اللغة لابن فارس : تحقيق وضبط عبد السلام هارون . دار الفكر 1979.
- مقدمة في علم المصطلح : د. علي القاسمي. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة : ط2 1987.
- المنصف لابن وكيع التنيسي. تحقيق د. محمد يوسف منجم. سلسلة التراثية الكويت ط1 - 1984.
- الموازنة للآمدي . تحقيق أحمد صقر. دار المعارف. ط4.
- المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها. د.محمد رشاد الحمزاوي. دار الغرب الإسلامي. بيروت . ط1. 1986.
- نصوص النقد الأدبي عند الأصمعي : ذ أمل بنصمان. د.د.ع. كلية الآداب فاس : 95-96.
- نصوص النقد الأدبي ومصطلحه عند أبي عمرو بن العلاء : ذ عبد الجليل الورياكلي القرشي : د.د.ع ، كلية الآداب فاس : 95-96.
- نصوص النقد الأدبي ومصطلحه عند يونس بن حبيب : ذ. عبد المنعم جواهرى، د.د.ع، كلية الآداب ، فاس ، 95-96.

- 1 - مدخل الى علم الاصطلاح : 83
- 2 - مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والاسلاميين : 32.
- 3 - حضارة العرب في حفظ وثائقهم : 127.
- 4
- 5 - لسان العرب : ج 8 : 276.
- 6 - نفسه : ج 8 : 278.
- 7 - في تحقيق تطور العلوم ، ناصر البعزاني ، ضمن كتاب : إشكال التحقيق : 11.
- 8 - يمكن تحقيق النقد الأدبي ، محمد الدغمومي ، ضمن كتاب : إشكال التحقيق : 41.
- 9 - نذكر من بينها : المصطلح النقدي في نقد الشعر للدكتور إدريس نقوري.
- مصطلحاتنا نقدية وبلاغية في كتاب البيان والبيان للدكتور الشاهد الوشيخي.
- رسالة الباحث محمد أزهرى : المصطلح النقدي والبلاغي في تراث ابي بكر الصولي
- رسالة الباحث أحمد مزوارة : المصطلح النقدي والبلاغي في تراث ابي علي الحائمي.
- 10 - تجديد التاريخ في تحليله وتدوينه : عمر فروخ : 15.
- 11 - لسان العرب : ج 13 : 333 334.
- 12 - لسان العرب : ج 10 : 371.
- 13 - مقاييس اللغة : ج 6 : 85.
- 14 - مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين ولاسلاميين : 39.
- 15 - نفسه : 39 وما بعدها.
- 16 - تنقسم علمية توثيق المصطلحات من حيث الوسيلة المعتمدة عموما الى ثلاثة انواع : توثيقها يدويا باستخدام البطاقات أو الجذاذات، وهي طريقة استعملها القدماء ، حيث كانوا يدونون ويوثقون نصوصهم على أوراق أطلقت عليها عدة مصطلحات مها "القراطيس والدروج" . أنظر : تقييد العلم للخطيب البغدادي : 147. وصبح الأعشى لأبي العباس أحمد علي القلقشندي: ج 1 : 138 توثيقها ميكانيكيا باستخدام الميكرو فيلم أو الميكروفيش توثيقها الكترونيا باستعمال الحاسوب في إنشاء بنوت للمصطلحات، أنظر : مقدمة في علم المصطلح للدكتور علي القاسمي : 41.
- 17 - مصطلحات النقد العربي : 48.
- 18 - رسالة د.د.ع أنجزها الباحثة أمل بنحمان، جامعة سيدي محمد بن عبد الله: 1995-1996.
- 19 - رسالة د.د.ع أنجزها الباحث عبد الجليل الثرياكلي القرشي. جامعة سيدي محمد بن عبد الله : 95-96
- 20 - رسالة د.د.ع أنجزها الباحث عبد المنعم جواهرى جامعة سيدي محمد بن عبد الله : 95-96.
- 21 - يكفي أن ننظر هنا في بعض المصادر المتأخرة كالوساطة والصناعتين والعمدة وغيرها لنقف على الكمية التي تضمنتها هذه المصادر المروية، ناهيات عن كتب الأخبار ومعاجم الأشعار والشعراء. راجع تاريخ النقد الأدبي عند العرب لإحسان عباس 255-356.

- 22 - تاريخ النقد الأدبي عند العرب : 357.
- 23 - مثل هصوص ابن ابي طاهر والسجستاني وغيرهما والتي تناثرت بين عدة مصادر كالموازنة والوساطة والمنصف وغيرها
- 24 - الخلط أو التخليط مصطلح استعمله بعض نقاد القرن الرابع منهم ابن طباطبا (عيار الشعر : 12-17) ، وأبو الفرج الاصفهاني (الأغاني : ج 1 : 177 ج 2 : 135 ، 221 ج 6 : 115-116-175-208) والخالديان (الاشباه والنظائى : ج 1 : 171) وغيرهم، عنوانه المزج بين الروايات والأخبار الموثوق وغير الموثوق بها في الخبر الواحد.
- 25 - رسالة د.د.ع. جامعة سيدي محمد بن عبد الله : 88-1989.
- 26 - ص : 17 من الرسالة.
- 27 - نفسه : 39.
- 28 - نفسه : 47.
- 29 - نفسه : 70.
- 30 - نفسه : 228.
- 31 - وانظر أيضا : 54 66 77-98-109-117-120-128-133-135-169-192-194-233-254-280-287-324 من الرسالة.
- 32 - رسالة د.د.ع. جامعة سيدي محمد بن عبد الله : 90-91.
- 33 - ص 129-52-25 من الرسالة.
- 34 - نفسه : 18-206-210.
- 35 - نفسه : 208.
- 36 - نفسه : 209.
- 37 - وانظر أيضا : 45-47-123-220-311-333-339-410-427-432-446-449-451-474-490-499-517-525-539-546 من الرسالة.
- 38 - رسالة د.د.ع. جامعة سيدي محمد بن عبد الله : 89 90.
- 39 - ص 437 من الرسالة، وانظر مثله عن ذلك في الصفحات : 87-92-94-97-98-107-108-119-120-132-140-168-179-192-209-245-252.
- 40 - انظر رسالة الباحث عبد الي الوريباكلي القرشي: "المصطلح النقدي والبلاغي في تراث ابن المعتز". د.د. جامعة سيدي محمد بن عبد الله : 89-90 : ص : 15 40-48-74-90-111-114-206-230-255-285-309.
- ورسالة الباحث : محمد أمهاوش " المصطلح النقدي في كتاب العمدة" : جامعة سيدي محمد بن عبد الله : 91-92 ص :
- 87-90-99-100-101-107-146-149-150-154-159-179-182-183-196-205-220-236-235-290-294-334-397-409-417-418-425-480.
- 41 - لقد عملنا في أطروحتنا "مصطلحات نقد الشعر لدى نقاد القرن الرابع الهجري" على إنجاز شطر مهم من هذا العمل، هم مصطلحات نقد الشعر لدى نقاد القرن الرابع.

البنية الدلالية والمعرفية للمصطلح المولد وتمثيلها في قواعد المعطيات والمعارف*

الأستاذان : خالد الأشهب وأحمد بريسول
(معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط)

مقدمة

نركز في هذا المقال على محورين أساسيين في بناء المصطلح:

- البنية المعرفية والدلالية للمصطلح
 - تمثيل هذه البنية في قواعد المعطيات والمعارف الاصطلاحية من خلال دراسة البنيات المرتصفة (collocation).
- فبالنسبة للمحور الأول ندقق في ثلاثة عناصر رئيسية في عملية البناء المعرفي للمصطلح المولد. وتمثل هذه العناصر في التصور والحد ثم العلاقة بينهما.
- وبالنسبة للمحور الثاني نتناول فيه مسألة بناء المصطلحات المرتصفة وكيفية تمثيلها في قواعد المعطيات، ونطرح فيه أيضا بعض الأفكار المتعلقة بتجديد بنية قواعد المعطيات الاصطلاحية، وما ينبغي أن يكون عليه تنظيم المعلومات فيها.

1. التصور وحده

1.1. التصور

مادام الاصطلاح ذو توجه تطبيقي، فإنه لا يهتم بالمظاهر الفلسفية والنفسية للتصور. وبما أن المصطلح متصل من وجه بالنسق التصوري العام، فإن المطلوب من نظرية التصورات هو تقديم تفسير كاف للتعليلات المعرفية في تكوين المصطلح وكذلك تقديم قاعدة لبنينة اللفظ بكيفية فعالة.¹ ولنظرية الاصطلاح ثلاث مهمات أساسية، هي:

1. يجب أن تعلق مجموعات التصورات كذوات متقطعة في البنية المعرفية،
2. يجب أن تعلق مجموعة الذوات المتعاقبة لسانيا والتي تكون مقرونة بطريقة أو أخرى بالتصورات مجمعة ومبنية طبقا لمبادئ معرفية،
3. يجب أن تربط بين التصور والمصطلح، والذي يكون معطى، أصلا، بواسطة الحد.²

بواسطة الحد لضبط الإحالة الدقيقة لمصطلح ما على تصور معين، ولو بوسائل لغوية فقط، وفي نفس الوقت تخلق وتكشف علاقات مع تصورات أخرى داخل البنية المعرفية. وبواسطة الشكل اللغوي للمصطلحات نشغل التصورات للتواصل مع الآخرين ولصورة الأفكار التي نملكها. وهنا نفترض أن تعطل/ تشوش التواصل يكون ناتجا عن سوء تمثيل المتكلم-المخاطب للتصورات. وهكذا، فإننا نوسع البنية المعرفية لحقل ما بواسطة إضافة تصورات جديدة تستلزم توليد صور لغوية قبل أن يتم استعمالها في القطاع المختص. ويتم وصف المصطلح في أي قطاع بثلاث كفاءات هي:

- حده، و

- حد علاقته بالتصورات الأخرى كما هو معبر عنه بواسطة البنية التصورية ومحقق بالصور اللغوية، و

- أشكاله اللغوية ذاتها، مصطلحات أو جمل أو عبارات يتم اختيارها لتحقيقه في أي لغة.³

2.1. حد التصور

من الصعب أن نحكم على مصطلح ما بأنه مصطلح إلا إذا تلقى حدا، ومن هنا يكون الحد شرطا ضروريا وأساس الاصطلاح. إن تفاعلنا مع العالم الذي يحيط بنا يجعلنا بحاجة إلى نسق تصوري يمكننا من التعبير عن أفكارنا وتشخيص إدراكاتنا. وهذه الحاجة يستلزمها تمثيل معرفة موجودة. وهذا يعني خلق مصطلحات تتألف من بنية تصورية على أساس علاقة مقامة قبلا بين التصورات. ويتم هذا الربط بواسطة الحدود. هذا هو دور الحد، فهو في موقعه الجسري بين التصور والمصطلح، أي بين المعرفة واللغة، يكشف هذا الربط ومن ثم يمكن عد الحد حافظا للمعرفة.

إن المقاربة الأولى لحد "التصور" تكون غير مباشرة. وذلك، بتفحص ماذا سنفعل بالتصور ثم المحيط الذي سنستعمله فيه. وبالتالي نصل إلى تعليل وجوده/إيجاده ثم موقعه المناسب بالمقارنة مع التصورات الأخرى. وبهذه الطريقة نجتمع معلومات يمكن استعمالها في صياغة المحدد.

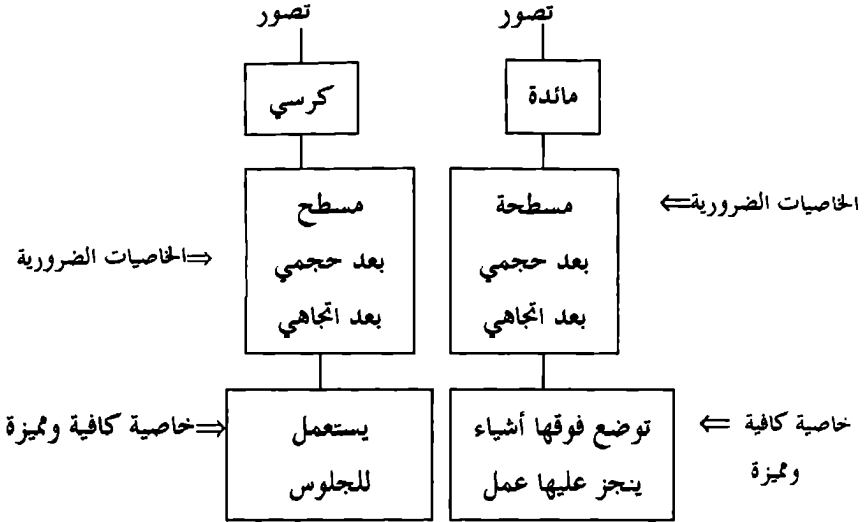
إن تكوين التصور هو عملية جمع وتصنيف موضوعات مادية وغير مادية مختلفة نحس بها ونذكرها أو نتخيلها في مقولات مجردة. ففي مرحلة أولى من ملاحظة محيطنا نعاين عددا من الموضوعات الفردية لها بعض الصفات المميزة (properties) أو الخاصيات (characteristics) المشتركة. ومن خلال الموضوعات الفردية (the individual objects) نعين سمات مشتركة (common features)، ثم نقوم بتجريد بعض هذه الصفات المميزة من أجل الوصول إلى أنماط الموضوعات (types of objects). فمثلا بعض الحيوانات توجد بينها سمات مشتركة تكون تحت التصور المعنون ب **قط**⁴. وفي مرحلة لاحقة من الترتيب، يمكننا أن نجعل الأنماط المجردة للموضوعات في طبقات عامة، كأن نجعل مثلا القطط مع الكلاب كحيوانات، ثم نضع مقولات معزولة بالنسبة للحيوانات الأليفة والحيوانات المتوحشة، ونقسم الموضوعات للمادية إلى حية (animate) ولاحية (inanimate). ويكون الناتج، إذن، هو إقامة تمييز هام بين الموضوعات الفردية لإحساسنا وإدراكنا وخيالنا وبين المقولات المجردة، أي التصورات التي تمثلها. وهكذا نحدد التصور بأنه:

"عملية بناء المعرفة البشرية التي تساعد على تصنيف الموضوعات بواسطة تجريد نسقي أو اعتباطي (systematic or arbitrary)".

2. الخاصيات

نقوم أثناء عملية بناء/ تكوين التصور بجمع معطيات إدراكنا وتجربتنا وفق العناصر المشتركة التي تسمى الخاصيات (characteristics). فمثلا التصور **مائلة** يستلزم أن نعين خاصيات مثل "أفقية" و"مسطحة" وأبعاد اتجاهية وأبعاد حجمية" و"منتصبة على الأرض على علو لا يتجاوز مترا". هذه إذن هي الخاصيات الضرورية، رغم أنها ليست كافية للتمييز، مثلا، بين ما نفهمه **مائلة** بدل **كرسي**. وبالتالي، يكون من الضروري إضافة خاصية أخرى تميز التصور **مائلة** عن التصور **كرسي**. إن الخاصية الوظيفية هي التي تصلح في هذه الحالة فمثلا "تستعمل المائدة لوضع أشياء فوقها، أو لإنتاج عمل عليها". وهذا ما توضحه الخطاطة التالية:

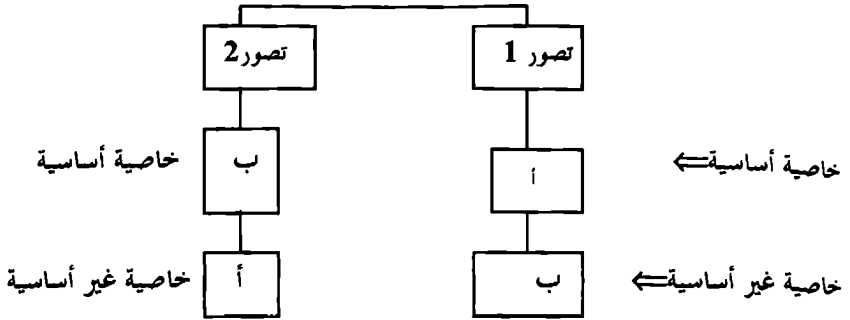
(1) خطاطة التصور:



إن الخاصية الكافية والضرورية لتعيين التصور تسمى أيضا أساسية، مقابل خاصية أخرى غير أساسية نلاحظها في الموضوع الفردي مثل: اللون، المادة، عدد أرجل المائدة. غير أن الخصائص غير الأساسية في خطاطة توليد تصور (concept creation) يمكن، مع ذلك، أن تكون أساسية في خلق تصورات أخرى. فمثلا، تصورات من قبيل "مائدة القهوة" و"مائدة العشاء" و"مائدة جانبية" تفترق بواسطة أكثر من خاصية مفصلة للعلو والحجم المناسبة للتصور العام للمائدة، لكنها تكون ضرورية بالنسبة لكتب الأثاث المصورة مثلا، وهذا ما تظهره الخطاطة التالية:

(2) خطاطة الخاصيات:

توليد التصور



وتتم تراتبية الخاصيات بناء على القطاع التصوري الذي تنتمي إليه. إن أي سمة قابلة للملاحظة أو التخيل يمكن أن تستعمل كخاصية. فالتصورات العامة جدا مثل سائل وحيوان ومركبة لها نسبيا بعض الخاصيات. وتكون دائما أقل بكثير من التصورات الضيقة في نفس المجموعة مثل: حليب ومحرك سيارة وكلب صيد، التي تكون مخصصة (characterised) بكونها أنماطا خاصة "للسائل" و"الحيوان" أو "المركبة". وهذا ما سنحاول توضيحه في الفقرة التالية.

1.2. السمات الدلالية والتوارث

تعد السمات التصورية أصغر العناصر المكونة للتصورات تعتمد في تعيين هذه الأخيرة وتمييزها عن تصورات أخرى.⁵ ثم إن السمات التصورية يمكن أن تعد في حد ذاتها تصورا يمكن أن يستعمل في وصف وتصنيف وحد التصورات. فهي لما تستعمل في بناء أنسقة التصور تسمى سمات تصنيفية.⁶ وتجب الإشارة إلى أنه يجب التمييز بين السمات والصفات التي تتميز بها الموضوعات في الواقع وبين السمات التصورية التي تعكس هذه الصفات في الذهن.

ويفترض عدد من علماء النفس أن الصفات البارزة فقط هي التي تكون مهمة في ما يخص تكوين التصور كما يظهر من التخصيص التالي:

إن السمات التي تمثل تصورا تكون بارزة ويكون لها احتمال حقيقي في أمثلة التصور بشكل أدق. إذا كانت س₁ سمة وت₁ تصورا، فإن س₁ تكون سمة لـ ت₁ إلى حد أن:

- س₁ تكون بارزة، و

- احتمال س₁ معينة ت₁، احتمال (س₁/ت₁)، على مستوى عال.

إن مسألة التناسب ذات أهمية كبيرة في نظرية الاصطلاح لأن حد المصطلح هو تضمن السمات المناسبة أكثر.⁷

2.2. توارث السمات

يمكن أن تحول السمات التصورية داخل نسق التصور من التصور الأعلى إلى التصورات الفرعية. ويصطلح على هذه العملية بالتوارث أو التعدي، وتلعب هذه العملية دورا مهما بالنسبة للتخزين الذهني للسمات. فمثلا كون القرص المرن في المعلومات تحفظ فيه الجذاذيات لا يحتاج إلى أن يخزن مباشرة كسمة للتصور قرص، ولكن يمكن أن يكفي أن نعرف أن حفظ سمة موروثه في كل التصورات الفرعية للتصور قرص. وهنا تظهر أهمية أنسقة التصور، فالتصورات لا ترد أبدا معزولة، بل تكون مرتبطة بشكل مباشر أو غير مباشر ببعضها البعض. وكون التصورات تتألف من سمات، فهذا يعني أنها تتعالق مباشرة بتصورات أخرى لها نفس السمات. والتصورات لها أيضا علاقات غير مباشرة في ما بينها، وذلك إذا كانت الموضوعات التي تمثلها هذه العلاقات متجاورة، أي أنها متجاورة في الفضاء أو يتبع بعضها البعض في الزمن. وهكذا، فإن الأنسقة الكاملة لصورة التصورات بالإضافة إلى السمات التصورية تحدد مكان التصور المفرد في النسق. والخطاطات التالية توضح ذلك:

(4) قرص	السمات النواة = - ولوج
	- محا
	- اسم
	- بدأ
	- استعمل
	- راز
	- حفظ

(5)

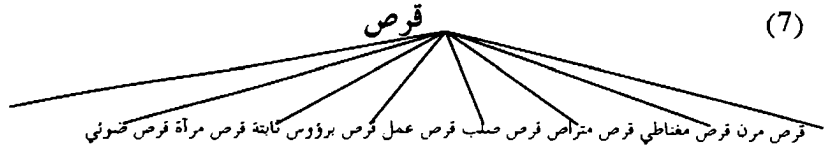
السمات النواة =	- ولوج	قرص صلب
	- محا	
	- اسم	
	- بدأ	
	- استعمل	
	- راز	
	- حفظ	
	- أصلح	
السمات المميزة =	- ربط	
	- طبع	
	- أعاد إرساء برمجية	
	- نقل برنامج القرص إلى	

(6)

السمات النواة =	- ولوج	قرص مرن
	- محا	
	- اسم	
	- بدأ	
	- استعمل	
	- راز	
	- حفظ	
	- أصلح	
السمات المميزة:	- قذف	
	- في وحدة أقراص	
	- أزلج	
	- حل إزلاج	

فمن خلال مقارنة بين الخطاطات الثلاث يتبين أن هناك مجموعة سمات نواة تتمثل في السمات المكونة للتصور "قرص"، وأن هناك مجموعتي سمات مميزة تمثل ما هو خاص بالنسبة لكل تصور من التصورين قرص صلب وقرص مرن المولدين عن قرص⁸. وهكذا فالخطاطة

في (4) توضح أن التصور النواة يمكن أن يتولد عنه عدد لامتناه من التصورات المتعلقة والمتمايزة فيما بينها:



3. تحويل التصورات

يجل عنصر التسمية في أي لغة على سمة تصويرية معينة. غير أنه في بعض الحالات لا يركز إلى أي سمة من السمات المكونة للتصور كأساس للتسمية. وهذا ما نجده مثلا بالنسبة لمصطلح مثل قرص ونشستر (*disque winchester*)، حيث إنه في إطار الأبحاث التي تقوم بها شركة IBM تم اختراع قرص صلب يقع رأسا القراءة فيه على وجهين ويفصلهما عن القرص نفسه ما يسمى بـ (*coussins d air*). وتقدر سعة الوجه الواحد من هذا القرص بـ 30 ميغا أتمون. والحال أنه يوجد في الثقافة الأميركية بندقية من نوع ونشستر يصطلح عليها بـ 30/30. فالثلاثين الأولى تشير إلى العيار والثلاثين الثانية تشير إلى حمولة البارود الأسود. ولما كانت سعة الوجه الواحد من القرص هي 30 ميغا أتمون، فإن IBM اصطلحت عليه بـ قرص ونشستر (*disque winchester*)⁹.

فدلالة هذا المصطلح مستعلقة بالنسبة للعربي أو لغيره ممن لا ينتمي إلى الثقافة الأميركية. ويعود ذلك إلى أنه لم يتم الارتكاز إلى أي سمة من السمات المكونة لهذا التصور في عملية تسميته. وهنا تبرز أهمية الاستعارة في عملية تحويل التصورات من قطاع إلى قطاع آخر. وهذا يبدو واضحا، مثلا، في استعارة مصطلحات نباتية واستعمالها في مجال الرياضيات مثل: شجرة، وفرع، وجذر، وورقة.

وبناء على هذا نفترض أن مجموع السمات المكونة للتصور تختلف تسميتها، في كثير من الحالات، من لغة إلى أخرى، إذ قد ترتكز لغة ما في بناء تصور معين على سمة تكون مهمة في ذات العملية في لغة أخرى. بعبارة أخرى، إن هناك من اللغات ما يركز على سمة شكل

الموضوع ومنها ما يعطي الأولوية لسمة الغاية. فمثلا مصطلح (slide rule) يقابله في الفرنسية مصطلح (rgle calcul) وفي العربية مسطرة "حاسبة" مترلقة. فالتصور الذي يبنى على أساس المرجعية المعرفية لكل لغة يقتضي من واضع المصطلح الدقة في ضبط السمة المناسبة للمرجعية المعرفية لكل لغة. ومن ثم يمكن أن نقول إن كل مصطلح من المصطلحات المذكورة أعلاه يركز فيه على سمة وسمة واحدة فقط من السمات التالية:

$$(7) \quad \left[\begin{array}{l} \text{أ- /مسطرة/} \\ \text{ب- /حسب/}^{10} \\ \text{ج- /زلق/} \\ \text{د- /تدرج/} \end{array} \right]$$

وهكذا نلاحظ أن البنية التصورية للمصطلح الفرنسي rgle calcul تم التركيز فيها على 1+2، أي مسطرة + حسب. في حين نجد أن المصطلح الإنجليزي slide rule يقوم ببناء التصور فيه على 1+3، أي مسطرة + زلق. ولما نظر إلى المقابل العربي لهذين المصطلحين نجد ما يلي:

$$(8) \quad \left[\begin{array}{l} \text{أ. 1+2} \Leftarrow \text{مسطرة حاسبة}^{11} \\ \text{ب. 1+3} \Leftarrow \text{مسطرة مترلقة}^{12} \\ \text{ج. 1+2+3} \Leftarrow \text{مسطرة "حاسبة" مترلقة}^{13} \\ \text{د. 1} \Leftarrow \text{مسطرة}^{14} \end{array} \right]$$

هذا التعدد الذي " تتميز " به اللغة العربية فيما يخص هذا المصطلح بالمقارنة مع الفرنسية والأجليزية لا علاقة له بالنسق التصوري، وإنما هو نتيجة لعدم اتخاذ الاصطلاحيين النسق التصوري والإمكانات التي يتيحها أساسا لبناء المصطلح. وتجنبنا لهذا النوع من الثغرات نقترح استراتيجية التصور الجامع.

4. التصور الجامع

معلوم أن المصطلح يقوم على أساس تصور، وأن التصور يتألف من مجموعة من السمات، كما سبقت الإشارة إلى ذلك وما دامت المصطلحات تتوالد، فإن التصورات التي تشكلها تتوالد هي الأخرى. ومن ثم نفترض أن التصور الواحد قد تشتق منه تصورات متعددة، ويظل التوالد مستمرا وإن كان ذلك في مجال واحد ويرتبط بموضوع واحد يفرع إلى موضوعات أخرى. وفي هذا المستوى تنشط آلية التوارث. ونفترض أن التوليد يتم في البنية التصورية أولا. لنعد إلى مصطلح المسطرة:

(9)

أ. /مسطرة/سطر/
ب. /قاس/
ج. /زلق/
د. /لوكاريمية/
15/ /

فهذه العناصر تمثل المجموعة القصوى لمقولات تصورية نواة مقرونة بطبيعة الموضوع، أي المسطرة، وهكذا يتم تعالق التصور الجامع بالحد من خلال:

(10)

أ. الشكل/مسطرة/
ب. طريقة الاستعمال/زلق/
ج. نمط المستعمل/مهندس معماري/
د. الوظيفة/القياس/
/ /

ويجب التنبيه هنا إلى أن المصطلح يمكن أن تكون له حدود متعددة ومختلفة. وهذا يجعل المصطلح الواحد يبدو متعددًا دلاليًا. غير أن هذا غير صحيح، لنأخذ مصطلح الماء، مثلا، فحده عند الفيزيائي يختلف عن حده عند الكيميائي، وهذان الحدان لا يماثل أي منهما حد المهندس الزراعي. وعلّة اختلاف هذه الحدود هي أن السمة التي يركز عليها الكيميائي يهملها الفيزيائي والسمة التي يهتم بها المهندس الزراعي لا تهم أيًا منهما وهكذا. وبالتالي إن

كل حد يقوم على سمات مركزية وسمات ثانوية نفترض بينهما وجود سمات وسيطة تلعب دور الرابط التصوري بين التصور الجامع والتصورات المولدة عنه. وهذا ما يظهر واضحا من خلال الفرق بين "الماء" في الكيمياء وفي الهندسة الزراعية:

(11)

- الكيمياء**
- أ. /أكسيد الهيدروجين/
 - ب. /سائل شفاف/
 - ج. /لا لون له/
 - د. /لا طعم له/
 - هـ. /لا رائحة له/
 - و. /يشكل غلاف الأرض المائي/
 - ز. /يدخل في تركيب المعادن والصخور/
 - ح. /له خواص فيزيائية شاذة/
 - ط. /يتضمن أملاح وأحماض¹⁶/

(12)

- الهندسة الزراعية**
- أ. /أساس كل شيء حي/
 - ب. /يتركب كيميائيا من الهيدروجين والأكسجين/
 - ج. /سائل/
 - د. /حامد (ثلج)/
 - هـ. /غازي (بخار الماء)/
 - و. /سطحي (الأبخار والبحار)/
 - ز. /حرفي (الآبار)/
 - ح. /ماء عسر: يحتاج إلى معالجات كيميائية/
 - ط. /ماء يسر: صالح للشرب/
 - ي. /أري الأراضي الزراعية/¹⁷

5. الحد

1.5. ما الحد؟

يفهم الحد بأنه تفسير للمعنى اللغوي. بعبارة أخرى، إن الحد هو وصف لغوي للتصور مؤسس على قائمة عدد من الخصائص وبواسطته، أي الوصف، نعرف معنى التصور. فهو يأخذ شكل حمل بسيط حول الكلمة (word) أو العبارة ويوصف أيضا كمعادلة للمصطلح مجهول ومجموع العناصر الدلالية التي تكونه.

إن الحد العام (general) أو الموسوعي يصف التصور، عموما، بطريقة مفهومة وذلك بواسطة إعطاء كل وظائفه في حقول الموضوعات الخاصة التي يرد فيها. ويصف الحد المختص التصور داخل حقل الموضوع المختص. والحد يوفر ربطا بين التصور والمصطلح وذلك بواسطة معادلة يكون فيها المحدد مصطلحا. فالحد الاصطلاحي يزودنا بتعيين وحيد للمصطلح فقط بالإحالة على النسق التصوري التي تشكل جزءا منه وتصنف التصور داخل هذا النسق. وبهذه الكيفية نفصل الحد الضروري والكافي للمصطلح، هذا الحد الذي تستلزمه عملية تعيين التصور المعادل للمصطلح، عن عدد كثير من الحدود التي تفسر التصورات بكل الطرق القاموسية. باختصار، إن الحد يضبط المفهوم (intension)، يعني إحالة المصطلح.

2.5. حيز الحد

ثمّة فرق بين ما يعرف بالحد الموسوعي (encyclopedic) والحد القاموسي (lexicographic) من حيث المنهج أكثر من الهدف. فهدف الحدين هو تفسير معنى الوحدات المعجمية وربطها بوحدات الذوات الموجودة في العالم الخارجي التي تكون لها تمثيلات رمزية. يمكن القول إن حد كلمة-كلمة متوافر في المعاجم الثنائية التي تقام التكافؤات فيها بين وحدات معجمية للغتين. إن الحد في المعجم العام يصلح لهدف تخصيص الفرق بين الترادف والتعدد الدلالي وتفسير المعنى. وبناء على ذلك لا تكون كل الكلمات في المعجم العام مصحوبة بحد.

إن الفرق بين منهج الحد المعجمي ومنهج الحد الموسوعي في مجال الاصطلاح يرتبط بطبيعة اللغة القطاعية. وتعد المصطلحات، من حيث كونها وحدات خطاب اللغة الطبيعية، عناصر لغوية، ومن ثم فإنها توصف وصفا لغويا محضا بواسطة العلاقات الدلالية التي تشكلها في الخطاب. ولهذا، فإن معناها يكمن في استعمالها في سياق ما مع كلمات أخرى. غير أن طبيعة الإحالة الخاصة في الاصطلاح تستدعي مقارنة أخرى في حد المنهج. وتعد الوحدات المعجمية مجردة من أي معنى إحالي آخر داخل مجال استعمالها، لأنها ترد في صف ارتصاف محدود.

عموما، يمكن الإقرار بأن الحد يفيد في تفسير مفهوم المصطلح وفي أن العلاقات الاصطلاحية تقيم ماصدق المصطلح (extension). وإذن فما يربط بين الحد وهذه العلاقات هو الطابع التكاملي العميق. وهكذا نخلص إلى أن الحد في الاصطلاح هو جزء من التخصيص الدلالي.

نتناول في الفقرات التالية المولية تمثيل البنية المعرفية للمصطلح في قواعد المعطيات والمعارف، وذلك من خلال تحليلنا للبنيات المرتصفة.

6. المقاربة الاصطلاحية للارتصاف

إن المصادر الكلاسيكية للاصطلاح لا تشير إلى الارتصاف، ففوستر (1981) Wster، مثلا، لم يشر إلى مسألة التأليف المعجمي، وحتى الكتب الاصطلاحية إلى حدود الثمانينات لم تقدم تحليلا كافيا لهذه الظاهرة.

فقد تنبه الاصطلاحيون من ناحية أولى، في السنوات الأخيرة إلى ضرورة إدماج مكون نصي (textuelle) وتألفي في الأوصاف الاصطلاحية، إذ ساهمت أعمال مجموعة بيتش وكرومان (Pitch and Kromann) بشكل خاص في ازدياد الوعي بهذه الظاهرة. فقد أشار بيتش (1983، 1985، 1987) بوضوح إلى الوظيفة الاصطلاحية للأفعال. وتنبه اللغويون والمشتغلون بالمصطلحات في بنوك الاصطلاح (أولئك الذين حللوا المعاجم الاصطلاحية) إلى غياب مداخل أخرى غير الأسماء وغياب المعلومة السياقية، خصوصا أعمال فاكنر (1986)

Wagner وروزنيك (1989) Rossenbeck التي ساهمت بشكل كبير في ولادة ما يسمى بأسلوب اللغات المختصة، وهو ميدان بحث ظهر حديثا دافع عنه كورمي (1989) Cormier.¹⁸

وقد استمر القاموسيون والمصطلحيون من ناحية ثانية في تبادل خبراتهم، تجلّى ذلك في مجموعة البحث المشتركة (1987) Danlex-group، وتم تقديم اقتراحات جديدة لتحليل الأنظمة الاصطلاحية تأخذ بعين الاعتبار ظواهر التأليفية (انظر هالتي (1989) Haltai). وقد كانت هذه الأفكار مدعومة باقتراحات أخرى تم إعادة بنيتها المعاجم المختصة ذهبت إلى حد إقحام أدوات وصفية وتقديمية اقترحها ميلشوك (انظر الفقرات القادمة).¹⁹

وفي ميدان المعاجم المختصة تم تقديم اقتراحات جديدة من خلال عمل كوهن (1986) Cohen الذي قدم معجما للمتواردات (Lexique des Cooccurrents) صنف فيه الكلمات المرتصفة لأكثر من مائة من الأسماء في ميدان البورصة باللغة الفرنسية، وذلك حسب تصنيف مزدوج ووفق مراحل وسيرورات البداية والنهاية، وحسب مقولات الارتصاف (الاسم، والفعل، والصفة).

7. الارتصاف في بنوك الاصطلاح

ليست هناك معطيات تخص الارتصاف في بنوك المعطيات الاصطلاحية التقليدية، أو أدوات خاصة لمعالجته. فالارتصاف كان يدرج عادة ضمن المادة المثلة (illustratif). ففي بعض قواعد المعطيات الاصطلاحية من المستحيل البحث عبر كل المعلومات بمساعدة مبحر (browser)، ويصعب على المستعمل دائما بلوغ بنية مرتصفة توجد ضمن المعطيات المقدمة على أساس تمثيلي لمصطلح ما.

وفي بعض قواعد المعطيات ذات سعة أقل، يكاد يكون الارتصاف غائبا تماما. فإذا كان من الممكن تقنيا الحصول على مداخل مكونة من عدة كلمات، فإنه من النادر أن يستطيع المستعمل، مع قدر من الراحة والمرونة، الوصول إلى هذه المداخل من خلال أحد مكوناتها. فمصممو قواعد المعطيات لم يعتبروا بتمثيل الارتصاف في قواعد المعطيات المعجمية

والاصطلاحية، ويرجع هذا إلى غياب البعد اللغوي أثناء تصميم هذه القواعد، كما يرجع السبب إلى مشكل لا يجب إهماله ويكمن في مرونة وبساطة الأدوات، إذ أن كثيرا من المستعملين يترددون بخصوص فكرة توفر كثير من وظائف قواعد المعطيات التي يجب ضبطها، وبين عدد قليل من الأوامر (commands) التي يجب استعمالها في لغة المساءلة. فلنكي لا تفقد الآلة جاذبيتها بسبب حمولة إضافية فوق طاقتها، اكتفى عديد من أصحاب قواعد المعطيات بالأمر المتعلقة أساسا بالتكافؤ بين المصطلحات.

هذه إذن، نقطة أولى تتعلق بغياب تمثيل حقيقي للارتصاف في بنوك الاصطلاح، وذلك لأسباب عديدة أفحص بعضها منها في الفقرات الموالية.

8. بنية بنوك الاصطلاح الحديثة

8.1. بنوك الاصطلاح الجيل الأول

شهدت سنوات الثمانينات تطور بنوك الاصطلاح الآلي، وبروز ما يسمى بالاصطلاح المعلوماتي (Terminotique). ويرجع إنشاء أول بنك اصطلاحي معلوماتي إلى سنة (1963)، حيث تم إنشاء المعجم الآلي (Dicautom) في الليكسمبورغ الذي سيصبح في سنة (1973) المعجم الآلي الأوروبي (Eurodicautom). وقد نشأت ليكسيس (Lexis) في ألمانيا سنة (1966)، ونورماتيرم (Normaterm) أنشأتها المنظمة الفرنسية للمقاييس (L AFNOR) سنة (1973). وقد أقام الكنديون تباعا (TERMIUM) سنة (1970)، والبنك الاصطلاحي الكندي (BTQ) سنة (1973). لكن لم تعرف هذه البنوك كامل انطلاقها إلا في سنوات الثمانينات مع بروز المعلومات الدقيقة (micro-informatique) والمعلومات البعدية (Tlmatique).

ورغم تضاعف عدد الأبنك بشكل متواز، فإن هذه الأبنك تظل الأكثر شهرة واستعمالا، وهي تشكل نظام بنوك اصطلاح الجيل الأول.²⁰ لكنها مع ذلك تشكو من كثير من السلبيات من حيث:²¹

أ) بنيتها وتصورها لكيفية تدبير المعطيات

ب) قصديتها

ج) تغذيتها

د) تحيينها

هـ) تصنيفتها

و) غياب بنية متعددة علاقيا (multirelationnelle)

لن فصل القول في هذه النقط:

رغم أن كثيرا من الأبنك تصل المستخدمين عن طريق القرص المدمج، فإن تصميمها مع ذلك كان يستهدف جمهورا محدودا وخصوصا: المترجمون في مصالح المجموعة الأوروبية (بروكسيل وستراسبورغ بالنسبة لـ (Eurodicautom)، واللغويون الذين يعملون في المركز اللغوي الفرنسي (OLF) بالنسبة للبنك الاصطلاحي الكندي، ومكتب الترجمة بالنسبة لـ (Termium)، والمشتغلون بالمقاييس الموحدة في المنظمة الفرنسية للمقاييس، والعاملون في شركة سيمنس (Siemens) بالنسبة لـ (Team) الألمانية.

وتتكون جذازات هذه الأبنك دائما من خلاصات لنصوص مصحوبة بمراجع بيليوغرافية ((Termium) على الخصوص)، تحتوي قليلا من المعلومات اللغوية (نحوية ودلالية وأسلوبية). فالخطوات المتبعة كانت تجميعية تعتمد الجرد بشكل أساسي، والمصادر، كما الموارد، فهي مضاعفة مما يسمح بوجود كثير من الحشو، وكثير من المعلومات المبعثرة هنا وهناك.

إن المقاربة التي اعتمدها المصممون تنطلق من المصطلح لتحديد المفاهيم (smasiologique). ويعد حجم هذه الأبنك الاصطلاحية وغناها من حيث المعلومات، وغياب أدوات كافية (تاريخيا) لتدبير المعطيات الاصطلاحية، من بين أسباب كثيرة يمكنها أن تفسر عدم تحيينها إلا مرات قليلة، ويفسر كذلك عدم تصنيفتها من المعلومات المهملة وغير الموجهة.²²

وحتى حدود الثمانينات كان مستعملو هذه الأبنك الاصطلاحية مرتاحين لهذه الجذاذات ما قبل القاموسية (Prdictionnaires) الكبيرة التي تفحص أساسا كمعاجم ورقية انطلاقا من شكل ألفبائي في لغة معينة، وهذا هو المبدأ الأساسي لمساءلة (Termium) حتى الآن.

وهناك أدوات للإبحار (browsing) جيدة من صنف النص الفائق (hypertext) بدأت في الشيعوع الآن. وموازاة مع ذلك بدأ الاصطلاحيون والمترجمون والموثقون يعون المظاهر النسقية للإصطلاح. واصطلاح نسقي هو شيء مبنين، وهذه البنية يجب أن تكون شفافة ومنظورة.

لا ندعي أن الاصطلاحيين منذ سنوات الستينات (إلى حدود التسعينات) لم ينجزوا اصطلاحا مبنينا، وإنما نقصد أن هذه البنوك الاصطلاحية الحالية لا تتوافر بها بنية واضحة يمكن بلوغها. وتعبير آخر، إن اسرسل القراءة لا يمكن أن ينجز بتتبع خطوات بناء هذه البنية التحتية. زد على هذا أن بنوك الاصطلاح تجد نفسها اليوم في قلب منعطف تكنولوجي كبير، وهو ما يتيح إمكان بروز جيل جديد من بنوك الاصطلاح مؤسس على مفهوم النموذج العلاقي، من ضمن أشياء أخرى سأوضحها في الفقرات الموالية.

2.7. تطوير أنظمة تدبير قواعد المعطيات

يجب أن تطور القاعدة نظامها لتدبير قواعد المعطيات (SGBD)، ويمكن لهذا النظام المطور أن يستغل في صورة خامة أو موجهة، وأن يكون ملائما ليستعمل في بناء وتدبير المعاجم الاصطلاحية والقاموسية، وأن يكون مرنا بما يكفي للتعامل مع المعطيات بقدرته على التخزين والانتقاء المتنوع واللامتناهي، وكذا في قدرته على توليد ثبوت من طبائع مختلفة، وفي طاقته على تقوية ومراقبة مسك المعطيات ومساءلتها.²³

وبالإضافة إلى سمات تطوير النظام في هذا الاتجاه، فإن هناك بعض الافتراضات الأخرى

المهمة تتعلق بما يلي:²⁴

أ) التريث الجزئية (visualisations partielles)

ب) تقدم الشبكات المفهومية

ج) الوصلات الفائقة (hyperliens)

د) البنوك الافتراضية

ففي المعلومات تشكل التريث الجزئية لبنك معطيات ما انتقاءا لجزء من هذا البنك. فانطلاقا من البنية الحالية لبنك ما يمكن تحديد تقطيعات جديدة للمعلومة وتوفير بنوك صغيرة (mini-banques) يمكن أن تبين حسب معايير مختلفة، فهناك تأليفات كثيرة ممكنة يجب افتراضها حسب الحاجيات، إذ من الممكن مثلا تجميع اصطلاح مجال واحد وأيضا اصطلاح مجالات أخرى مرتبطة، ويمكن أن يشمل المتن فقط الاصطلاح الأساسي، وأن يقدم بصيغة مزدوجة اللغة، أو ثلاثية اللغة، ويكون ممكنا أيضا إضافة وربط مراجع بيليوغرافية بتعاليقها، ويتم هذا مباشرة من البنوك التوثيقية، وكذلك تكوين ثب حسب مجال التخصص، وتقديم الوحدات العبارية (Phraseologiques)، أو سياقات الاستعمال، إلخ.

كما أن تقدم الشبكات المفهومية يمكن أيضا أن يشكل طريقة جديدة لتقديم الاصطلاح الخاص. فرغم أن إقامة مثل هذه الشبكات هو أساس كل عمل اصطلاحى، فإن تقدم المعطيات في البنوك الاصطلاحية الكبرى لا يسمح بتقدم كل المعارف المكتسبة أثناء البحث الاصطلاحى. وبالفعل فإن تقدم المعطيات في شكل جذادة (كل واحدة تعبر عن مفهوم) لا يسمح بتحسيد، بطريقة مرئية، العلاقات القائمة بين مختلف المفاهيم المعالجة في البنك.

إن الشبكات المفهومية أداة مهمة يجب استغلالها لأنها تسمح بإعطاء نظرة عامة عن المفهوم أو عن موضوع ما، وتتيح فهم واستيعاب العلاقات بين مختلف المكونات والمصطلحات التي تعبر عنها. كما أن استغلالها يجعل المستعمل لبنك اصطلاحى ما في علاقة مباشرة واتصال مع النصوص الافتراضية الفائقة (hypertexte)، ومع الوسائط المتعددة الفائقة (hypermedia). ففي مجال الاصطلاح، يسمح استعمال مثل هذه الروابط الفائقة بتمثل كيفية تقدم المعلومات، إذ يصبح ممكنا مثلا، انطلاقا من مصطلح ما (حسب حاجيات

المستعمل) الحصول سواء على تعريف للمصطلح، أو سياقه الاستعمالي، أو إشارة لغوية تم استعماله، أو مجال انتمائه، أو مرادفه في لغة أخرى، وأيضا الشبكة المفهومية التي ينتمي إليها. كما أن العلاقات التي تقوم بين المصطلحات (التي تشير إلى مفاهيم متصلة ومقترنة بها) تتوضح وتتضح شفافة من حيث علاقتها بروابط نصوص افتراضية فائقة. وسيسمح ولوج ملفات موسوعية بمواصلة البحث بشكل أكثر عمقا.

وعليه فإن البنية التي سيتخذها الاصطلاح بانفتاحه على معالجة الوحدات الاصطلاحية المرتبطة هي بنية نصية فائقة (hypertextuelle)، يتم تدبيرها في قاعدة معارف منظمة منطقيا ومنسجمة مع لغة نمذجة المعيار المعمم (Standard Generalised Markup Language)، ولغة نمذجة النص المترابط (HTML)، وكذلك الوسائط المتعددة، وقابلة للمساءلة والاستغلال على شبكة الويب (Web).

3.7. بنية الجذاذة وتنظيم المعطيات

إضافة إلى المهام التقليدية للاصطلاح، والمتمثلة في تحديده للمفردات المختصة لمجال معرفي ما، وضبطه وملاءمته لهذه المفردات المختصة وفقا للمعايير الوطنية والدولية، ودراسته لبناء الأدوات التوثيقية وتلك المتعلقة بتدبير المعلومات (من معاجم وقواميس، ومساعدة في الترجمة والمكانز اللغوية)، وربطه لمعجمه بقواعد المعطيات، فإنه مدعو اليوم، فضلا عن ذلك، إلى الانتقال من الإنتاج التقليدي للجذاذة الاصطلاحية إلى استغلال وتدبير أكثر عمومية للمعلومات ذات طبيعة لغوية.²⁵

لقد كانت بنية الجذاذة الاصطلاحية من قبل ثابتة ذات مجالات ساكنة، وكانت هذه الجذاذات تحفظ في قواعد بنوك معطيات، لكن مع الإمكانيات التكنولوجية الحديثة المتوفرة الآن، ونظرا للبعد اللغوي القوي والحاسم في الاصطلاح، فإن الاصطلاح ليس مضطرا لإعادة إنتاج نفس بنية الجذاذات، وليس من الضروري تكوين جذاذات تصف المصطلحات حتى قبل أن تعرف هل هذه المصطلحات صالحة أو غير ذلك.

فمن وجهة نظر صورية ليست الجذاذة سوى مصفوفة معلومات متنوعة ومختلفة. ولذلك من الممكن بناؤها واستحضارها حسب حاجتنا إليها من خلال قوالب مختصة في هذا النوع من المهام. فالجذاذة إذن يجب أن تكون افتراضية (virtuelle)، كما يجب أن يندثر شكلها المادي والمعلوماتي الحالي، ولكن المعلومة التي تتضمنها يجب أن تقدم من خلال استراتيجيات خاصة للبحث والتحليل.

واليوم، يقبل أن توجد في الاصطلاح كل المعلومات الواردة والضرورية لبناء الجذاذة الكلاسيكية خارج الجذاذة بأشكال أخرى: كالنصوص والمعاجم والموسوعات والقواميس، إلخ. وسلاسل المعالجة المختصة يمكنها أن تسترجع المعلومات حسب الطلب، فلسنا الآن في حاجة إلى بناء بنوك جذاذات، إذ المعلومة الاصطلاحية سيتم بلوغها دائما وبطرق مختلفة ومتنوعة، بحيث إن المستعمل هو من يبنى جذاذته الاصطلاحية، وبإمكانه أن يضمها للمعلومات التي يريد.

فمن أجل بلوغ جودة اصطلاحية عالية تجمع بين الذكاء اللغوي والذكاء المعلوماتي يجب النظر والبحث في كل الميكانيزمات والأدوات الاصطلاحية، والعمل على تطويرها وتدقيق البحث فيها. ومن ضمن هذه الأنظمة ما يلي:

(أ) أنظمة الجرد والاستخراج الآلي

(ب) أنظمة مسك ومعالجة المعطيات

(ج) أنظمة البحث التوثيقي

(د) أدوات تكوين الملفات الاصطلاحية

(هـ) أنظمة مقارنة المعطيات وتحويلها ونقلها، لأن هناك حاجة إلى شكل جديد للتبادل الاصطلاحية. ويبدو أن الشكل الأمثل يتجلى الآن فيما يسمى بمبادرة ترميز النص (Text Encoding Initiative) المؤسس على لغة نمذجة المعيار المعمم (SGML) الذي أثبت فعاليته في هذا المجال.²⁶

حاولنا أن نبين في هذا البحث أن بناء المصطلح يقوم على:

- 1- اصطلاح شفاف ومنطقي لتمثيل لغوي للتصورات التي تشكل معرفتنا،
- 2- حدود واضحة تربط بين المصطلحات والتصورات،
- 3- لغة عامة مرنة ومتعددة الدلالة تصلح في ذات الوقت لتفسير الأفكار الجديدة ولحد وإقامة تصورات جديدة.

وبالنسبة لتمثيل الارتصاف والمصطلحات المركبة في قواعد المعطيات الاصطلاحية، خلصنا إلى أن هذه الظواهر غير ممثلة في بنوك المعطيات الاصطلاحية، وذلك لأسباب يرجع بعضها إلى غياب البعد اللغوي، ويعود بعضها الآخر إلى تصميمها وبنيتها المعلوماتية التي لا تسمح ببلوغ الوحدة المرتصفة بشكل مرّن.

المراجع

- الفاسي الفهري، عبد القادر، 1985، اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال، الدار البيضاء.
- الفاسي الفهري، عبد القادر، 1986، المعجم العربي: نماذج تحليلية جديدة، دار توبقال، الدار البيضاء.
- الفاسي الفهري، عبد القادر، 1996، قاعدة الاصطلاح المولّد GENTERM، تقارير ووثائق رقم 1، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط.
- الفاسي الفهري، عبد القادر، 1998، المقارنة والتخطيط في البحث اللساني المقارن، دار توبقال، الدار البيضاء.

Alkhatib, A. Chafik: 1987, A new dictionary of scientific and technical terms, Librairie du Liban.

Alvey, J.: 1990, Mise au point et utilisation d'un système de classement détaillé, *Revue Québécoise de linguistique théorique et appliquée*, vol. 9, N 2.

Béjoint, Henri: 1997, Regards sur la définition en terminologie, *Cahier de Lexicologie*, 70, 1, p. 19-26.

Clas, A.: 1994, Collocations et langues de spécialité, *Meta*, XXXIX, 4.

Doniach, N, S: 1972, The oxford -arabic dictionary of current usage.

- Espelt, C.: 1990, Le rôle de la classification dans la banque de données terminologiques du Termcat, *Revue Québécoise de linguistique théorique et appliquée*, vol., **9**, N 2.
- Fuch, C.: 1993, Linguistique et Traitements automatiques des Langues. Coll. HU-ed. Hachette.
- Geeraerts, Dirk: 1995, Representational formats in cognitive semantics, *Folia Linguistica xxix/ 1-2*, Mouton de Gruyter.
- Gouadec, D.: 1997, Dictionnaires terminologiques: l'impact des nouvelles technologies, *Meta*, XLII, **1**.
- Gréciano, G.: 1997, Collocations Rythmologiques, *Meta*, XLII, **1**.
- Gross, M.: 1994, Dictionnaires électroniques et traduction automatique, *Langue Française*,
- Hatout, N.: 1996, Pour la construction d'une base de connaissances lexicologiques à partir du Trésor de La Langue Française: les marqueurs superficiels dans les définitions spécialisées, *Cahier de Lexicologie*, **68**, 1, p. 137-173.
- Heid, U., Freibott, G.: 1991, Collocations dans une base de données terminologique et lexicale, *Meta*, XXXVI, **1**.
- Ide, Nancy: 1997, Representation Schemes for language data: The Text Encoding Initiative. *Actes du colloque Langues Situées, Technologie et Communication*, vol. **1**. Publications de l'Institut d'Etudes et de Recherches pour l'Arabisation, Rabat.
- ISO, 1087: 1990, (E/F), Terminologie, Vocabulaire, Normes internationales, Genève, ISO.
- L'Homme, M-C.: 1997, Méthode d'accès informatisé aux combinaisons lexicales en langue technique, *Meta*, XLII, **1**.
- Lacasse, M.: 1996, les banques de terminologie au seuil d'une nouvelle dynamique, *Terminologies nouvelles*, **15**.

- Lerat, P.: 1995, *Les langues spécialisées*, PUF, Paris.
- Melby, A.: 1995, E-Tif: An Electronic Terminology Interchange Format, in *Computers and the Humanities* 29: 159-165.
- Mouton de Gruyter.
- Otman, G.: 1997, Les bases de connaissances terminologiques: les banques de terminologie de seconde génération, in *Meta*, XLII, 2.
- Pustejovsky, J.: 1998, The Acquisition and Interpretation of Complex Nominals, ms, Brandies University.
- Sager, J. C.: 1994, Introducing Terminology: International Journal of Theoretical and Applied Issues in Specialized Communication, *Terminology*, vol. 1(1),1-6.
- Sager, J. C: 1990, *A Practical Course in Terminology Processing*, John Benjamins Publishing Company, Amsterdam/Philadelphia.
- Thoiron, Ph.: 1994, La terminologie multilingue: une aide à la maîtrise des concepts, *Meta*, XXXIX, 4.
- Weber, N.: 1990, Conception et élaboration d'un glossaire terminologique à l'aide d'un gestionnaire de base de données: un essai en lexicographie assistée par ordinateur, *Cahier de Lexicologie*, 1, pp., 5-24.
- Weissenhofer, P.: 1995, *Conceptology in Terminology Theory, Semantics and Word-formation*, in IITF, Series 6, TERMNET international Network for terminology. Wien.

¹ يتفرع هذا البحث في إطار مشروع المصطلح الموحد Genterm الذي يجري تنفيذه بمعهد الدراسات والأبحاث للخراب بإشراف الدكتور عبيد القادر الفاسي الفهري.

¹ أنظر الفاسي الفهري ن.م، ص. 226. والفاسي الفهري (1996)، ص. 1. وساكر (1990)، ص. 21. وتويرن (1994)

Thoiron، ص. 766.

² أنظر أيزو. 1087، ص. 4. وبيوان (1997)، ص. 19.

³ أنظر الفاسي الفهري (1998)، ص. 142.

⁵ انظر ساكر (1990)، ص. 24. حيث يستعمل الخاصيات التصورية والسمات أو المكونات. وانظر ويسنهوفر (1995)

⁶ لمزيد من التفاصيل، انظر ويسنهوفر (1995)، ص. 7.

⁷ انظر ساكر (1990)، ص. 24. وأيضا ويسنهوفر (1995)، ص. 7 و 8.

⁸ انظر الفاسي الفهري (1985)، ص. 193. وأيضا بستويفسكي (1998) Pustejovsky، ص. 5.

⁹ انظر تويرون (1994)، ص. 767. والفاسي الفهري (1996)، ص. 10.

¹⁰ إن عدم الأخذ بالبنية التصورية في وضع المصطلح جعل جل الاصطلاحيين العرب يقعون في مشكل عدم مناسبة التصور لمعنى المصطلح الهدف. وهذا ما يظهر بوضوح من خلال الصفة "حاسبة" التي وصفوا بها مسطرة ← مسطرة حاسبة كمقابل لـ slide rule. لاحظ أنه لا شيء يربط تصوريا بين الأداة، أي المسطرة، وبين الوظيفة التي وصفت بها، أي الحساب

¹¹ انظر يوسف محمد رضا (1989)، ص. 570، وتوفيق أحمد عبد الجواد (1976)، ص. 315، وجروان السابق (1985)، ص. 1344.

¹² جروان السابق (م.ن)

¹³ أحمد شفيق الخطيب (1987)، ص. 554.

¹⁴ دنيخ (1972)، ص. 1088.

¹⁵ تشير المراجعة / إلى أن هذه السمات ليست نهائية، وإنما يمكن أن تضاف إليها سمات أخرى وتظل أخرى كامنة.

¹⁶ انظر بوسيف وبيموف (1987)، ص. 332

¹⁷ انظر محمد عبد المجيد نصار (1977)، ص. 225 و 226.

¹⁸ ستعتقد فيما بعد ندوات ومؤتمرات في فرنسا والنمسا هدفها تقديم أفكار ووضع حصيلتها للأبحاث الاصطلاحية التي اعتمدت بأسلوب اللغات المختصة في السنوات الأخيرة.

¹⁹ انظر فراولي (1988) Frawley.

²⁰ انظر أوتمان (1997) Otman.

²¹ انظر لورا (1995) Lerat.

²² أوتمان (1997).

²³ انظر كواديك (1997) Gouadec.

²⁴ انظر لاكاس (1996) Lacasse.

²⁵ انظر موني (1995) Meunier.

²⁶ انظر ميلبي (1995) Melby، وآيد (1997) Ide.

المعجم العربي لعلم النفس المرضي : دراسة نقدية

ذ. أحمد المطيلي

كلية الآداب / تطوان

تثير مسألة الوضع الاصطلاحي في العلوم الإنسانية كثيرا من الجدل المتواصل والمتجدد، لا سيما حينما يتعلق الأمر بالمصطلح المترجم من اللغات ذات الأصول والانتماءات الحضارية المتباعدة. وما يقال في كثير من المنتديات العلمية وما يولف من كتب في مسألة المصطلح تعريفا وترجمة وتوليدا يمكن أن يقال بصيغ متشابهة في مجال علم النفس عند تعامله مع المصادر الأعجمية في نصوصها الأصلية كالإنجليزية والفرنسية، كما تتشابه المشاكل التي تعترض سبيل الباحثين في هذا الشأن سواء من حيث ما يتصل بعملية الترجمة الاصطلاحية أو ما يرتبط بالتواصل أو انعدامه بين الباحثين أنفسهم وما يترتب عن ذلك كله من اختلاف في الاصطلاح واضطراب في الفهم والتفاهم والدعوة لتوحيد المصطلحات والسعي لنشرها والتعريف بها بين المختصين وعمامة الباحثين.

غير أن ما يعاب على كثير من البحوث في هذا الشأن اعتمادها على معطيات عامة واعتبارات متنوعة ومتنافرة قلما تتيح المجال للمقارنة المنهجية والتحليل الدقيق القائم على الاستقراء والوصف المحكم لما يراد تناوله بالدرس والتمحيص، وهي بذلك لا تسمح للباحث المدقق أن يتحقق من الفرضيات التي يستلزمها البحث العلمي الرصين. ومن هذه الفرضيات ما يتعلق بأزمة علم النفس في البلدان العربية ومعوقات انطلاقه ونموه وتطوره. وبوسعي أن أفترض بما توافر لدي من ملاحظات وشواهد أن الوضع الاصطلاحي هو أحد المظاهر الصارخة لهذه الأزمة التي يعاني منها الباحث المتخصص، ومع ذلك فإن هذا الوضع لم يحض حسب علمي بما هو جدير به من دراسة وبحث وتقص.

لأجل ذلك ارتأيت في معالجة موضوع المعجم العربي لعلم النفس المرضي أن أقنصر على عينات محدودة لفرع واحد من فروع علم النفس هو علم النفس المرضي. وهذه العينات على نحو ما سأعرض لها بعد حين تيسر سبل الرصد الدقيق لبعض الظواهر التي عنت لي منذ فترة وأنا أعين مسألة المصطلح في ثنايا هذا العلم الناهض في البلاد العربية، ومن ثم فإن ما سأستخلصه من نتائج وأحكام رهين بهذه العينة دون غيرها، وإن كانت قيمة تلك النتائج أوكد وأوثق نظراً للضوابط المنهجية المقترنة بهذا النوع من البحوث.

وغرضي في هذا البحث أن أتناول مسألتين اثنتين: أولاهما تشخيص الوضع الراهن لمعجم علم النفس المرضي، وسنلاحظ أن ثمة سمات مشتركة بين هذا المعجم وبين معاجم عربية في اختصاصات أخرى أفاضت فيها كثير من الدراسات السابقة. والمسألة الثانية تتضمن جملة من الاقتراحات الكفيلة بتحسين الوضع المعجمي في هذا الشأن والتغلب على بعض العوائق السائدة.

عينة البحث: اعتمدت في بحثي هذا على أربعة معاجم صغيرة الحجم وردت ثلاثة منها في شكل ملحق بكتابين مترجمين وآخر مؤلف، بينما نشر الرابع وهو لمجموعة من الباحثين في إحدى المجلات العربية. وكل هذه المراجع معروفة ومنتشرة على نطاق واسع بحكم عدد طبعات الكتب التي ظهرت فيها أو بحكم سعة الجمهور الواسع التي تتوجه إليه كما هو الشأن بالنسبة للمجلة والجدول التالي يبين أصحاب هذه المعاجم وعدد موادها والمصطلحات المعتمدة في العينة:

صاحب المعجم	عدد مفرداته	عدد مصطلحات علم النفس المرضي	عدد المصطلحات غير المكررة
نجاتي (1953)	130	51	14
نجاتي (1957)	83	60	21
راجع (1970)	643	171	171
النايلسي وآخرون (1992)	794	244	144
المجموع	1650	526	350

الجدول الأول: المعاجم المعتمدة وعدد موادها

يتبين من الجدول أعلاه أن عدد المفردات الواردة في هذه المعاجم الأربعة 1650 مفردة، وأن عدد المصطلحات المتصلة بعلم النفس المرضي 526 مصطلحا، أي أقل من ثلث المجموع العام لهذه المفردات، لكن إذا حذفنا عدد المصطلحات المكررة وعددها 176 تبقى لنا منها 350 مصطلحا فقط. وقد اعتمدت في انتقاء المفردات المكونة لعينة البحث على مبدأ اتصالها المباشر بعلم النفس المرضي قدر المستطاع وذلك تفاديا للمفردات العامة أو المشتركة بين أكثر من فرع من فروع علم النفس أو علوم الإنسان الأخرى. وأتاحت المصطلحات الأجنبية المكررة في المعاجم المذكورة فرصة المقارنة بين الطرق المعتمدة في عملية وضع المصطلح وما يسمه من مميزات وخصائص، كما أن تباين تاريخ صدورهما مكنتني من رصد بعض التغيرات الحاصلة بينها من جوانب عدة. وبالنظر إلى المصطلحات المتعلقة بعلم النفس المرضي بالنسبة لكل كاتب على حدة يهمني أن أقف عند طبيعة هذه المصطلحات من حيث التعريب والإفراد أو التركيب والتوحيد الاصطلاحي، فضلا عن مسألة المرجعية التي تفسر في رأيي كثيرا من الظواهر المرتبطة بأزمة المصطلح في علم النفس المرضي.

التعريب اللفظي : تراوحت نسبة الألفاظ المعربة في عينة البحث بين 2.33 و10.7 في المائة، وهو ما يمثل في المتوسط نسبة 3.7 بالمائة. ولنلاحظ هنا أن التعريب اللفظي أظهر ما يكون في الكتب المترجمة كما هو شأن الكتابين الذين ترجمهما محمد عثمان نجاتي عن فرويد، بينما تقاربت النسبة في كتاب "أصول علم النفس" لأحمد عزت راجح ومعجم النابلسي وزملائه. ولا يفوتني التذكير في هذا الصدد بأن نسبة الألفاظ المعربة تزيد في الكتب المترجمة وتقل في الكتب المؤلفة أصلا بالعربية، فالمصطلح الأجنبي تحد لغة المترجم إليها واختبار دائم لطاقة اللغة وحيوتها واستعدادها للاستجابة والتمثل والتحدد. ومن المفيد أن تتم المقارنة في بحوث لاحقة بين نسبة الألفاظ المعربة في المعاجم العربية القديمة والحديثة لعلم النفس أو ما يناظره في كتب الفلسفة والطب. والجدول التالي يبين عدد المصطلحات المعربة ونسبتها المئوية :

صاحب المعجم	عدد مصطلحات علم النفس المرضي	عدد المصطلحات العربية	النسبة المئوية
نجاتي (1953)	51	*5.5	10.7%
نجاتي (1957)	60	3.5	5.83%
راجح (1970)	171	4	2.33%
النابلسي وآخرون (1992)	244	6.5	2.66%
المجموع	526	19.5	3.7%

الجدول الثاني : الألفاظ المعربة

المصطلحات المركبة : أقصد بالمصطلحات المركبة تلك التي تتكون من أكثر من كلمة واحدة، وذلك في مقابل المصطلحات المفردة. وأريد أن أنبه في هذا الصدد إلى أن الإحصاء الذي أجرته لهذه المصطلحات لا يخص سوى تلك التي توضع مقابل مصطلح أجنبي مفرد حتى ولو كان مركبا تركيبيا مزجيا كما هو شأن كثير من المصطلحات الإنجليزية والفرنسية، ولذلك استبعدت من الإحصاء كل المصطلحات العربية التي تقابل مصطلحات أجنبية مركبة من أكثر من لفظ. وقد بلغت النسبة المئوية العامة للمصطلحات المركبة 28.35 بالمائة من مجموع الألفاظ المترجمة من اللغات الأجنبية، بينما تتجاوز نسبة المصطلحات المركبة من كلمتين الربيع، وهي نسبة مرتفعة للغاية. لكن يلاحظ أن هذه النسبة تنخفض انخفاضاً ملحوظاً كلما تضخم حجم المصطلح العربي المترجم، إذ لا تتعدى المصطلحات المركبة من ثلاث كلمات نسبة 2.86 في المائة كما يتبين من الجدول التالي :

صاحب المعجم	المصطلحات المركبة من كلمتين	المصطلحات المركبة من ثلاث كلمات	المصطلحات المركبة من أربع كلمات	المصطلحات المركبة من خمس كلمات
نجاني (1953)	6.5 (12%)	2 (3.9%)	0	0
نجاني (1957)	7 (11%)	2 (3%)	3 (5%)	2 (11%)
راجح (1970)	38.16 (23.1%)	5 (2.9%)	0	0
النابلسي وآخرون (1992)	75.5 (30%)	6 (2.4%)	2 (0.8%)	0
المجموع	127.16	15	5	2
النسب المئوية العامة	(24.17%)	(2.86%)	(0.95%)	(0.38%)
النسبة المئوية العامة	% 28.35			

الجدول الثالث : المصطلحات المركبة

التوحيد الاصطلاحي : أتاحت لنا المصطلحات الأجنبية المكررة بين أكثر من كاتب أو ذات الجذر الاشتقاقي الواحد بين الفرنسية والانجليزية فرصة استقراء مقابلاتها العربية للوقوف على مدى الاتفاق بين أصحاب هذه المعاجم لقياس درجة التوحيد الاصطلاحي اعتمادا على المتن اللغوي للعيينة. وقد أسفرت عملية الإحصاء عن الجدول التالي :

صاحب المعجم	عدد المصطلحات المكررة	عدد المصطلحات الموحدة	النسبة المئوية
نجاني (1953، 1957) وراجح (1970)	38	23.66	% 62.26
نجاني (1953، 1957) و النابلسي وآخرون (1992)	40	19.5	% 48.75
راجح (1970) و النابلسي وآخرون (1992)	73	24.16	% 33.09
نجاني (1953، 1957) و راجح (1970) و النابلسي وآخرون (1992)	37	13.83	% 37.37
المجموع	188	81.15	% 43.16

الجدول الرابع : المصطلحات الموحدة

يتبين من الجدول أعلاه أن نسبة التوافق بين الكتاب تتراوح بين 33.09 و 62.26 في المائة، أو ما معدله 43.16 في المائة. وهي نسبة ضئيلة ولا شك بالنظر إلى ما يمكن أن يطمح إليه النفسانيون العرب من وحدة قومية وعلمية إسوة بزملائهم في باقي الميادين العلمية الأخرى. بيد أنها من ناحية أخرى تعكس التخبط الاصطلاحي الذي يعانیه الكثير من الباحثين في هذا المضمار، وهو تخبط ذو مظاهر شتى أذكر من جملة الاصطراع الاصطلاحي، والاشتراك اللفظي، والترادف اللغوي.

أ- الاصطراع الاصطلاحي: وأقصد به ما تشهده حلبة بعض المصطلحات من تسابق وتنافس بين أكثر من لفظ وبين أكثر من كاتب، ومن ذلك لفظ "أمبيفالانس" *Ambivalence*، ورغم أن أغلب المراجع النفسية اعتمدت "التناقض الوجداني" مقابلا حرفيا أو شبه حرفي له، إلا أن بعض الكتاب وأصحاب المعاجم لا يترددون في البحث عن عبارات مثل "اجتماع الضدين" (رضي، 1990)، و"تساوي الضدين" (الخلو، 1994)، و"تكافؤ الضدين" (عاقل، 1971)، و"ثنائية المشاعر" (الخلوي، 1981)، و"ثنائية العواطف" (النابلسي وآخرون، 1992)، و"ثنائية الميول"، و"الثنائية الوجدانية" (سامي علي، 1963) و"الإثنية" (الحفني، 1978)، و"تناوب المشاعر" (خليل، 1997)، و"ازدواج المعنى" (ريغ، 1983) و"الازدواج العاطفي" (كمال، 1988)، والازدواجية النفسية والتناقض العاطفي والتضارب الوجداني، وهلم جرا.

وفي مقابل هذا التضخم تقصر همم هؤلاء على ترجمة عدد لا بأس به من المصطلحات النفسية في المراجع الأجنبية، فيقتصرون على التعريب اللفظي لها لا غير، ومن هذه المصطلحات على سبيل المثال "الفيتيشيزم" و"السيكوباتيا"، و"الهلوسة".

ب- الاشتراك اللفظي: يحصل في بعض الأحيان أن يوضع لفظ واحد لمصطلحين أجنبيين أو أكثر مع ما بينهما من تباعد لفظي ودلالي، ومن شأن ذلك الوضع أن يؤدي إلى اللبس وصعوبة التواصل بين الباحثين لاختلاف منطلقاتهم وتعدد مشاربهم، ومن أمثلة ذلك لفظ التوحد

الذي يستخدم عادة مقابل مصطلح "الأوتيزم" *Autisme*، بينما يجعله البعض مقابلاً لمصطلح "إيدانتيفيكاسيون" *Identification* الذي كان يترجم سابقاً بالتقمص وتميل المراجع العربية الحديثة إلى تعويضه بمصطلح التماهي. على أن لفظة التقمص ذاتها لا تسلم من الاشتراك بما أننا لا نعدم أن نجد من يترجم بها لفظة "ميثامبسيكوز" *Mttempyscose* ويقصد بها تناسخ الأرواح. وقد يترجم البعض لفظ "الأوتيزم" ذاته بالانطوائية ولفظ "أنثروفيرسيون" *Introversion* بالانطواء (النابلسي وآخرون، 1992)، وشتان بين المصطلح الأول الذي يشير إلى أحد الأعراض الفارقة للفصام والانطواء بوصفه غمطاً من أنماط الشخصية. أما الاجترارية الذي يستعمله راجح (1970) لترجمة لفظ "الأوتيزم"، فقد استعمله غيره مقابل لفظ "روميناسيون" *Rumination* (كمال، 1988) أو مقابل مصطلحات أخرى لا تمت بصلة للفظ الأصلي.

وقل مثل ذلك بالنسبة للفظة الإجهاد الذي يترجم به البعض كلمة "سيرموناغ" *Surmenage* (النابلسي وآخرون، 1992) والبعض الآخر لفظ "الستريس" *Stress* (راجح، 1970)، ولفظ خبل الذي اتخذته البعض مقابل المصطلح "ديمانسيا" *Dementia* واتخذها آخرون مقابل لفظ "كونفزيون" *Confusion* (النابلسي وآخرون، 1992) (1).

ج- الترادف اللغوي : قد نجد للفظ الأجنبي الواحد أكثر من مقابل في اللغة العربية، فيحمل البعض تلك الألفاظ على محمل الترادف بمعنى المطابقة التامة للمعنى المراد دون تحقيق أو تدقيق. غير أن الناظر المتفحص في بعض الألفاظ المترادفة سرعان ما يكتشف أن الترادف قد يحمل على معنى التقارب في المعنى لا التطابق، ومن ثم لزم التدقيق في المعنى من حيث الدرجة أو الحدة أو التفرد بمميزات وخصائص تميز هذه الحالة النفسية عن تلك. ومن شأن هذا المنحى في النظر أن يورث بعض الألفاظ مكانة المصطلح العلمي الدقيق بحسب المعنى اللغوي الذي ينفرد به عن غيره من الألفاظ المرادفة وبحسب السياق التداولي الذي يرد فيه عند اللغويين والكتاب العرب إقدامي والجدد. وخير مثال على ذلك ما سلكه القدامى في تدقيقهم للألفاظ الواردة في مواضيع بذاتها

كمراحل نمو الطفل ودرجات الذكاء و البلادة و الجنون، أو في وصف بعض الحالات الوجدانية كالحب أو مقامات الوجد الصوفي ونحو ذلك مما سار عليه أبو هلال العسكري في "الفروق اللغوية" وأضرابه من أصحاب اللغة والمعاجم. أما الأخذ بالترادف المطلق بين الألفاظ على نحو ما وجدناه في بعض المعاجم النفسية فيحتاج إلى مراجعة تامة تفاديا للإخلال بالفهم وتسهيلاً لسبل التواصل بين المختصين.

المرجعية الاصطلاحية : إن من يستعرض معجم علم النفس المرضي يكتشف أن صلته بالمعجم الأجنبي وخاصة الإنجليزي والفرنسي صلة مباشرة إن من حيث المصادر المعتمدة، أو من حيث اللغة المحال إليها. وتبين علاقة التبعية هذه بالنظر إلى نوع الترجمة المتبعة لدى الكتاب كالتعريب اللفظي لبعض المصطلحات مثل الهستيريا والنوراستينيا والشيروفينيا، أو الترجمة الحرفية كما يكشف عنه عدد هائل من المصطلحات النفسية المتداولة في المراجع النفسية العربية.

أما بالنسبة للموروث اللغوي والثقافي، فلعل من الملاحظات التي لا تغيب على بال المشتغلين بالترجمة ضعف الإلمام بالتراث العربي ونقص الاطلاع على المعاجم والموسوعات العربية كلسان ابن منظور ومخصص ابن سيده. ومما يؤيد هذه الملاحظة أن عدد الألفاظ المستحدثة بواسطة الأوزان المتبعة مثل وزن فعال وفعالة، أو الألفاظ المركبة تبعا للمعنى الحرفي للمصطلحات الأعجمية يفوق بكثير الألفاظ العربية القديمة المستعملة أو المهملة. بحيث باتت الترجمة الحرفية - وهي غالبا ما تأتي مركبة من كلمتين فأكثر- الوسيلة الأكثر انتشارا لدى المشتغلين بالتأليف والترجمة في مجال علم النفس. ولعل هذا الإهمال من جملة الأسباب الداعية إلى الإفراط في وضع الألفاظ والتعابير لتأدية المعنى المراد من المصطلحات الأعجمية، وذلك على نحو ما تبيناه بصدد مصطلح "الأمييفالانس"، هذا مع ما يسببه ذلك الوضع من قطع الصلة بالموروث اللغوي والعلمي الذي هو كفيل بإمدادنا بعباءة ثر في ميدان الدلالة والمعنى. فالمصطلح هو في كل الحالات تعبير عن تجربة فكرية أو معاينة تاريخية أو إفصاح عن موقف أو رأي أو حكم، ومن ثم فإن استدعاءه

والاستمداد منه لا يخلو من منفعة. وكان بودي أن أتوقف عند هذه المسألة طويلا لإيفائها حقها من الاهتمام لولا أن المقام ليس مقام تفصيل وإسهاب، فلاكتف بمثلين اثنين للدلالة على ما يمكن أن نفيده من التنقيب في معاجم اللغة ويطون التراث من ألفاظ تحقق القصد وتؤدي المنفعة المتوخاة، أولهما يتصل بلفظ لغوي هو "الرهق" وثانيهما بلفظ اصطلاحى هو "المنثوية".

أ- يبدو لمن يراجع معاجم علم النفس المتخصصة أن اللفظ الأعجمي "أنسيست" *Inceste* لا يوجد له مقابل في اللغة العربية مخصوص، وآية ذلك أنك تجد تعبيرات عدة يضعها أصحابها للدلالة على مفهوم هذه اللفظة، ومنها "غشيان المحارم"، و"زنى المحارم"، و"ارتكاب المحارم" (النابلسي وآخرون، 1992)، و"اشتھاء المحارم" (راجح، 1970)، و"الزواج بالمحارم"، و"تحريم زواج المحارم" وغيرها. يلاحظ على هذه المقابلات أنها على كثرتها كلها مركبة من كلمتين فأكثر شأنها في ذلك شأن جل الألفاظ الناتجة عن الترجمة الحرفية. لكن من يراجع لسان بن منظور يجد في مادة الرهق التعريف الآتي: "الرهق غشيان المحارم من شرب الخمر ونحوه، تقول في فلان رهق أي يغشى المحارم (...). قال ابن بري: "وكذلك فسر الرهق في شعر الأعشى بأنه غشيان المحارم (...). والرهق: السفه وغشيان المحارم" (ابن منظور، م. 10).

لا شك أن تأدية معنى غشيان المحارم بلفظ واحد لما يسر عميلة استخدامه في موقع الفعل والمصدر والنعت بخلافا للألفاظ المركبة من كلمتين فأكثر نتيجة الترجمة الحرفية للمصطلحات الأجنبية على نحو ما بينت آنفا. فضلا عن ذلك يعيننا سياق التعريف الذي ورد فيه لفظ "الرهق" (ارتباط الرهق بشرب الخمر ونحوه أو بالسفه) على فهم بعض الظروف الذي يرتكب فيها الفعل، وهي ظروف لا تخطئها المشاهدة العيادية المتمرسه.

ب- المثال الثاني الذي أود الوقوف عنده يتعلق بلفظ "أمبيفالانس" *Ambivalence* الذي سقت الإشارة إليه. فمن يقف على عدد التعابير التي وضعت لترجمته إلى العربية -وقد أحصيت منها خمسة عشر تعبيراً- يحسب أن هذا اللفظ جديد كل الجدة ولا قبل لنا به في تراننا على ثرائه

وغناه. والحق أن من يطلع على المؤلفات العربية الحديثة في علم النفس يسهل عليه أن يترسخ في ذهنه هذا الاعتقاد الباطل على الأقل إن هو اقتصر في حكمه على المعاجم العربية المعاصرة. ومن يرجع إلى معاجم علم النفس الغربية يجد هذا المصطلح مرتبطاً باسم الطبيب النفسي أوجين بلولير منذ استخدامه له لأول مرة عام 1911 في معرض وصفه لأعراض الفصام. ومعلوم أن هذا المصطلح قد استعاره منه فرويد وأصحاب مدرسة التحليل النفسي ولقي بعد ذلك رواجاً هائلاً في مضمار الدراسات النفسية المعاصرة. يقصد بهذا المصطلح ما يشعر به الإنسان من مشاعر متضادة ميز بصدها بلولير بين ما يتعلق بالوجدان ("فالزوج يكره زوجته ويحبها في آن")، والإرادة ("كأن يرغب المريض ولا يرغب في الأكل") والعقل ("حين يقول المريض في نفس اللحظة: "أنا الدكتور هـ..، أنا لست الدكتور هـ..") (2).

بيد أن اطلاعي على رسائل إخوان الصفا (القرن الرابع الهجري) جعلني أقف على ما اصطالحوا على تسميته بـ"الثنوية" في الفصل الذي عقده لهذه الغاية. وفيه يذهبون إلى أن الإنسان يحكم بكونه من "جوهرين متباينين في الصفات متضادين في الأحوال"، كانت أكثر أموره و"تصرف أحواله ثنوية متضادة كالحياة والممات والنوم واليقظة والعلم والجهالة والتذكر والغفلة والعقل والحماقة والمرض والصحة والفجور والعفة والبخل والسخاء والجبن والشجاعة والألم واللذة، وهو متردد بين الصداقة والعداوة والفقر والغنى والشبيبة والهرم والخوف والرجاء والصدق والكذب والحق والباطل والصواب والخطأ والخير والشر والقبح والحسن وما شاكلها من الأخلاق والأفعال والأقوال المتضادة المتباينة..." (إخوان الصفا، م. 1، ص. 195-196). وقد نجد عند غيره ما يماثل هذا المعنى.

واضح إذن ما بين مفهوم الثنوية القديم ومصطلح "الأميغالانس" المعاصر من علاقة وشيخة في الدلالة والمعنى وإن اختلفت المنطقات. ويمكن القول أن الدلالة النفسية المحضة التي ركز عليها بلولير ومن بعده فرويد تظل ناقصة وغير ذات مغزى لو فصلت عن أصلها الفلسفي

الذي برع إخوان الصفا في بسطه والتأكيد عليه في وضوح وصفاء، وبذلك يكتمل الفهم الدلالي لهذا المصطلح ويسهل فهمه واستيعابه والبناء عليه. ومن ثم لا مجال للشك في أن التواصل بين التراث العربي القديم ونظيره الغربي الحديث أمر لا غنى عنه في مجال الاجتهاد الاصطلاحي قراءة وفهما وتوليدا.

أما بالنسبة للتراث النفسي العربي المعاصر، فإن صلة النفسانيين العرب به أعمق وأوثق. ومما هو جدير بالذكر أن كتابات جيل الرواد في بعض الأقطار العربية ولا سيما في مصر تتميز بأسلوب متين محكم وعبارة سلسلة وألفاظ منتقاة تنم عن حس لغوي واضح وإحكام بين لئاصية اللغة العربية رغم تخرج معظمهم من الجامعات الأجنبية، ولا شك أن علم النفس العربي يدين هؤلاء الرواد الذين حفظوا للغة العربية رونقها وجمالها ولتدريس هذا العلم حقه في أن يكون بالعربية خلافا لبعض التخصصات الأخرى كالمهندسة والطب على سبيل المثال. ومع ذلك لا يحق لنا أن نغفل عن بعض الملاحظات التي تستوقفنا عند المراجعة المتأنية لبعض تلك الكتابات. وبإمكاننا اعتمادا على العينة المعجمية السالفة الذكر أن أدلي بجملة من الملاحظات أجملها فيما يلي :

- حسن الاستفادة من بعض الأوزان لنقل المصطلحات كوزن فعال، وهو من الأوزان الدالة على الأعراض والأمراض، وذلك مثل العصاب والذهان والكحال والسواد والفصام والعظام والرهاب والرعاش والحراك والنهاك

- النحت : لم يعتمد النفسانيون العرب المعاصرون النحت إلا قليلا، فبقدر إجادتهم في استخدام صيغة فعال كان تقصيرهم في نحت الألفاظ علما بأن هذا الإجراء أشد استخداما في اللغات اللاتينية والأبجوسكسونية، والحاجة ماسة لتفعيل هذا الإجراء. أما الكلمات المنحوتة فهي قليلة جدا، إذ لا تتعدى في عينة البحث ثلاث كلمات هي النومشة والسرمنة (وهما بمعنى واحد أي المشي أو السير نوما)، والنفسد (أي وحدة النفس والجسد كما يجسدها الطب النفسدي).

البلبلية الاصطلاحية : وأقصد بذلك تضارب آراء الباحثين بشأن الوضع الاصطلاحي وعدم اتفاقهم حول أسبقية التعريب أو التوليد المعنوي واللفظي، فضلا عن عدم الاستفادة من الجهود السابقة في هذا المضمار. وينتج عن ذلك كله تعدد الأسماء وتضاربها بعدد المترجمين، بل ربما وجدنا من المؤلفين من يستخدم في ترجمته للمصطلح الواحد صيغا وتعابير مختلفة من دون داع يذكر. ومن شأن هذا الاضطراب أن يقلل من فرص التواصل بين المختصين ويضر بالفهم فتضيع الفائدة وتبدد الجهود سدى.

مما سبق يبدو أن مسألة الوضع الاصطلاحي في مجال علم النفس المرضي تتصف بالمبادرات الفردية في أغلبها(3) وضعف الاستفادة من التجارب السالفة في هذا المضمار لتحقيق التراكم المثمر والبناء في سبيل إرساء لغة مشتركة ودقيقة بين المختصين. فلا غرابة أن تستوقفنا ظاهرة باتت مألوفة في مجال الاصطلاح في حقل العلوم الإنسانية كالبلبلية والتباين الاصطلاحي وانعدام الدقة وقلة الانضباط المنهجي بقواعد واضحة ومحددة.

وأرى أنه لا مناص هنا من اقتراح جملة من المعايير لضبط عملية التوليد الاصطلاحي، ومن بينها :

- الدقة في أداء المعنى المراد : ذلك أن الأخذ بالألفاظ عامة أو غير محددة الدلالة من شأنه أن يخل بنقل المعنى المراد، كما ينبغي تفادي اللجوء إلى الألفاظ المشتركة قدر المستطاع تجنباً للبس والخلط.

- الأخذ بالمصطلحات المفردة : إذ ينبغي تجنب الألفاظ المركبة من أكثر من لفظ ليسهل استخدامها في موقع المصدر والفعل والصفة.

- أولوية اللفظ الموروث على اللفظ المستحدث : إن استقراء الموسوعات اللغوية العريقة كفيل بمدنا بذخيرة لغوية لم نحسن بعدالتنقيب عليها واستثمارها استثمارا كفيلا بوصلنا بالماضي

وإقدارنا على تأصيل كثير من المصطلحات والمفاهيم التي نعجز عن توليدها أحيانا. ولذا لا ينبغي اللجوء إلى استحداث الألفاظ الجديدة إلا عند الضرورة.

- اعتماد المقاييس الجمالية في الاصطلاح: إذا ما توافر أكثر من لفظ مرادف يستوفي الشروط الثلاثة الآتية، لزم الأخذ بأيسرها في النطق وأحلاها وقعا في الأذن تلافيا للحوشي من اللفظ.

فمن شأن هذه المعايير أن تعمل على ترشيد الوضع الاصطلاحي في علم النفس وفي غيره من التخصصات المتقاربة، والتخلص من كثير من الشوائب التي تعرقل خطوات الباحثين وتصرف أذهانهم بغير طائل. على أن من مهام المجاميع اللغوية القيام بإشراك المختصين واستقراء حصيلة الجهود المبذولة والتنسيق بين الباحثين فضلا عن مهمة التعريف بما تخرج به من اجتهادات لدى الأوساط المختصة.

وبعد، فإن استقراء العينة التي اعتمدت عليها في هذا البحث تكشف عن جهد يبذله أصحابه خدمة للغة ولأصحابها، بيد أن الوضع الاصطلاحي في علم النفس المرضي تعتوره جملة من العيوب سعت للتعرض لبعضها، وأهمها بلا منازع مشكل الألفاظ المركبة، والتباين الاصطلاحي، وإهمال المصطلح التراثي، ولكل عيب من هذه العيوب أسبابه ودواعيه. وأستطيع القول اعتمادا على النتائج المستخلصة من هذا البحث أن الترجمة المعتمدة في وضع المصطلح النفسي ترجمة تحصيلية في المقام الأول وتوصيلية في أحسن الأحوال. وأما الترجمة النصيلية (4) - وهي ما نحتاج إليه في هذه المرحلة بالذات - فلا زالت الخطوات المتجهة صوبها خطوات وئيدة وملكئة. وعندني أن الترجمة في مجال علم النفس المرضي هي تحد للمترحم قبل أن تكون تحديا للغة ذاتها، لذا فإن إخراج معجم متخصص للمصطلحات النفسية العربية من القرآن الكريم والحديث النبوي ومن كتب التراث في شتى مجالات المعرفة كالفلسفة والطب والفقهاء والتصوف والأدب وكتب التراجم والسير كفيلا بتغيير الوضع الاصطلاحي الراهن في مضمار هذا العلم

وإقدار أصحابه على الانطلاق والاجتهاد والتحديد، وتلك مهمة جليلة ومجزية ما أشد الحاجة إليها اليوم.

الهوامش :

* قد يورد أحيانا بعض الكتاب أكثر من مرادف للمصطلح الأجنبي الواحد، وهذا ما يفسر ورود الأعداد العشرية ؛ فإذا ماورد لفظان اثنان مقابل لفظ أجنبي واحد أعطيت لكل منهما نصف نقطة (0.5)، وإن وردت ثلاثة ألفاظ أعطيت لكل منها ثلث نقطة (0.33) تسهيلات لعملية الإحصاء.

1. يترجم النابلسي وآخرون (1992) لفظ *Dementia* بلفظة عته، ويترجم راجح لفظ *Confusion* بلفظ "خلط".

2. هذه الأمثال مأخوذة من مقال لبلولير أوردها سامي محمود علي (1963) في تعريفه بمصطلح "الأمبيفالانس" الذي ترجمه بـ "ثنائية المشاعر" (ص. 178-179).

3. لا ننسى هنا أن نوه بجهود جمعية علم النفس التكاملي وعلى رأسهم يوسف مراد ومصطفى زيور، وقد بذل أصحاب هذه الجماعة جهودا مشكورة منذ الخمسينات لترجمة بعض أمهات الكتب المختصة في التحليل النفسي بشكل خاص، كما نسجل لفريق محمد أحمد النابلسي المتكون من ثمانية أعضاء متعددي التخصصات فضل التفكير في إنجاز سلسلة من المعاجم النفسية، وهي "معجم مصطلحات الطب النفسي"، و"معجم الأدوية النفسية المفصل"، و"معجم التحليل النفسي والبيكوسوماتيك" نشرت كلها في مجلة "الثقافة النفسية" ما بين يوليو 1992 ويوليو 1993، بالإضافة إلى "معجم مصطلحات علم النفس" الذي اعتمدها ضمن عينة هذا البحث. على أن هذه المعاجم في مجملها وإن تم إنجازها جماعيا إلا أنها لم تسلم من كثير من العيوب التي اعتورت مثيلاتها من قبل.

4. راجع الفروق التي يقيّمها د. طه عبد الرحمن (1995) بين هذه الأنواع الثلاثة للترجمة وخصائص كل منها بتفصيل في الباب الثالث : "النموذج النظري للترجمة العربية للنص الفلسفي"، ص. 297-405.

مراجع البحث :

- إخوان الصفا (ق. 4 هـ). رسائل إخوان الصفا، قم : مركز النشر، مكتبة الإعلام الإسلامي، 1405 هـ.
- الحفني، عبد المنعم (1978). موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، إنجليزي عربي. بيروت: دار العودة.
- الحلو، عبده (1994). معجم المصطلحات الفلسفية، فرنسي عربي، بيروت : المركز التربوي للبحوث والإنماء.
- خليل، أحمد خليل (1997). معجم المصطلحات النفسية والاجتماعية، بيروت : دار الفكر اللبناني.
- الخولي، محمد علي (1981). قاموس التربية، بيروت : دار العلم للملايين.
- راجح، أحمد عزت (1970). أصول علم النفس، المكتب المصري الحديث، ط. 8.
- رضى، يوسف محمد (1990). الكامل الوسيط، قاموس فرنسي عربي مفصل. بيروت : مكتبة لبنان.
- ريف، دانييل (1983). السبيل، معجم عربي فرنسي فرنسي عربي. باريس : مكتبة لاروس.
- عاقل، فاخر (1971). معجم علم النفس (إنجليزي فرنسي عربي). بيروت : دار العلم للملايين، 1979، ط. 3.
- عبد الرحمن، طه (1995). فقه الفلسفة، 1- الفلسفة والترجمة، الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي.

- علي، سامي محمود (1963). "معجم المصطلحات"، في سيجموند فرويد (1905). ثلاث مقالات في نظرية الجنسية. تر. سامي محمد علي، القاهرة : دار المعارف، 1963، ص. 163-196.
- كمال، علي (1988). النفس. انفعالها وأمراضها وعلاجها. بغداد : دار واسط.
- النابلسي، محمد أحمد وآخرون (1992). "معجم الثقافة النفسية لمصطلحات علم النفس"، في : الثقافة النفسية، 12، 3، أكتوبر، 122-137.
- نجاتي، محمد عثمان (1953). "معجم لمصطلحات التحليل النفسي الواردة في الكتاب"، مذكور في : سيجموند فرويد (1938). معالم التحليل النفسي. تر. : محمد عثمان نجاتي، القاهرة : دار النهضة العربية، 1968، ط. 4، ص. 183-189.
- (1957). "قاموس المصطلحات"، مذكور في : سيجموند فرويد (1926). الكف والعرض والقلق، تر. : محمد عثمان نجاتي، القاهرة : دار الشروق، 1403 هـ - 1983 م، ص. 155-159.

الحاجة إلى معجم لمصطلحات التاريخ الاقتصادي

ذ. ابراهيم القادري بوتشيش

كلية الآداب - مكناس

لا مرأى في أن المعجم يعد حجر الزاوية في أي بحث علمي ، إذ من خلاله يتم تحديد مفاهيم المصطلحات وضبطها ، والكشف عن حمولاتها الدلالية ، توخيا للدقة ، وتجنباً للوقوع في مزالق اللبس و متاهات تشويش المفاهيم .

وإذا كانت عناية بعض الباحثين قد اتجهت صوب إنجاز معاجم مصطلحية في بعض المجالات المعرفية المختلفة كمعجم علم الاجتماع لدينكن ميتشل⁽¹⁾ ، والمعجم الاقتصادي الاسلامي للدكتور أحمد الشرباصي⁽²⁾ ، ومعجم الرموز ل Jean Chevalier⁽³⁾ ، فضلا عن بعض المعاجم اللسانية⁽⁴⁾ أو الفقهية⁽⁵⁾ أو الصوفية⁽⁶⁾ ، فإن المصطلحات التاريخية لا تزال في ماس الحاجة إلى معجم متكامل رغم بعض المحاولات المفيدة التي أفرزت أعمالا هامة كموسوعة مصطلحات علم التاريخ العربي - الاسلامي⁽⁷⁾ ، والمعجم الموحد لمصطلحات الآثار و التاريخ⁽⁸⁾ ، ومعجم المصطلحات الأثرية⁽⁹⁾ ، دون إغفال المحاولة الرائدة للدكتور أسد رستم⁽¹⁰⁾ ، والطرح الجاد الذي صاغه الأستاذ عبد الله العروي في مشروعه لإبراز بعض المفاهيم كأداة لاستيعاب الألفاظ والمصطلحات التاريخية⁽¹¹⁾ .

وإذا كانت هذه المحاولات الخاصة بالمصطلحات التاريخية قد بدأت بالحفر في حقل المعاجم رغم بعض الهنات في أسلوب العمل ، فإن فكرة بناء معجم للتاريخ الاقتصادي لا تزال تراوح طور التصور الأولي⁽¹²⁾ نظرا لحداثة هذا الحقل المعرفي الذي لم يبرز بشكل جلي سوى في العقود الأخيرة بعد هيمنة التاريخ السياسي لحقب طويلة ، فما هي المسوغات والأهداف التي تصبو إليها فكرة تأسيس هذا المعجم ؟

1 - المسوغات :

من نافلة القول أن التاريخ الاقتصادي أصبح يستقطب اهتمام العديد من الباحثين في مختلف المؤسسات والمعاهد الأكاديمية التي أصبحت تنحو هذا المنحى⁽¹³⁾. وقد يكون لمدرسة الحوليات الفرنسية أثر في هذا التوجه ، كما أن الرغبة في مساءلة التراث - خاصة التراث الخلدوني - وإعادة قراءته أسفر بدوره عن هذه الالتفاتة نحو التاريخ الاقتصادي ، مما يدعو إلى ضرورة رصد المصطلحات الخاصة بالتاريخ الاقتصادي وتفسير دلالاتها خدمة لهذا الهدف العلمي .

ومما يدعو كذلك إلى التفكير في تأسيس معجم لمصطلحات التاريخ الاقتصادي وجود مجموعة من المصطلحات الاقتصادية مبعثرة في أمهات كتب التاريخ والمذونات الفقهية وكتب الحسبة ومصنفات الجغرافيا والرحلات ، وغيرها من المظان التي يعول عليها المؤرخ في الكتابة التاريخية الحديثة ، الأمر الذي يستلزم جمعها وتنسيقها مرتبة ثم تفسير دلالاتها التاريخية. كما أن تشعب هذه المصطلحات نفسها وتشابهها أحيانا في اللفظ دون المعنى وترادفها وتعقدها أحيانا أخرى ، يجعل من هذا المعجم ضرورة علمية ملحة .

وغني عن القول أن اختلاف الباحثين في تحليلاتهم وتضارب الآراء في نقاشاتهم حول القضايا التاريخية يكون منبعه أساسا عدم دقة المصطلح وما يوحيه من مفاهيم تختلف من ذهنية باحث لآخر ، ولذلك فإن توحيد المفهوم توحيدا علميا لا يتم الا من خلال المعجم المنو به. ويرتبط بذلك ما عرفه علم التاريخ من ثورة منهجية بفضل تقاطع العلوم واعتماد المؤرخ على العلوم المساعدة ومن بينها علم الاقتصاد الذي أصبح يقتبس منه مصطلحاته ، مما يدعو إلى ضبط هذه المصطلحات وإبراز دلالاتها التاريخية - الاقتصادية المشتركة توخيا للدقة وتجنبنا لأي لبس أو إهمام .

والحاصل أن الأهداف المتوخاة من تأسيس معجم للمصطلحات التاريخية الاقتصادية يكمن في إفادة الباحث في التاريخ الاقتصادي وإزالة اللبس الواقع أحيانا في استعمال بعض المصطلحات ، وتجاوز الاختلافات الوهمية التي تحدث بين هذا الباحث أو ذاك، فضلا عن تسهيل عملية فهم معنى المصطلح وإيضاحه للطلاب المتدئ .

2- الصعوبات والعوائق :

بيد أن تأسيس معجم بقواعده العلمية وبالدقة والضبط اللذان يستلزمهما عادة وضع المعاجم يطرح بعض المشاكل لعل أهمها يكمن في الاختلاف الحاصل في المصادر نفسها، فضلا عن عدم وضوح مفهومها بدقة ؛ فالمؤرخ في العصور الوسطى سواء كان اتماؤه مغربيا أو مشرقيا، غالبا ما تعود على كتابة المصطلحات في سياق الخبر دون الاهتمام بتفسيرها أو شرحها، لأن الحرص على إيراد الخبر و تتبعه كان يشكل هاجسه الأول. كما أن الطابع الغالب على الخبر الاقتصادي - عكس الخبر السياسي والعسكري - كان يتميز عنده بالإيجاز والابتسار ، لذلك لم يكلف نفسه مؤونة شرح المصطلحات الاقتصادية التي أوردها ضمن السياق العام لمادته الإخبارية ، لأن هذا المصطلح لم يكن يشكل بالنسبة إليه هدفا في حد ذاته. و الأدهى من ذلك أنه كان يعرض أحيانا لمصطلحات مترادفة توحى بأنها تشير إلى نفس المعنى، في حين أنها تتخذ مفهوما مغايرا عند مؤرخ آخر، لا بل لدى نفس المؤرخ حين يعرض لذات المصطلح في موضع آخر من كتابه . فمصطلح الضرائب على سبيل المثال يرد في المدونات التاريخية في عدة صيغ تشير إلى نفس المعنى كالمغارم والمكوس واللوازم والمجاي والرسوم والمستحقات والمغارم وغيرها من المصطلحات التي ترد أحيانا في جملة واحدة ضمن مرويات المؤرخين . ونسوق في هذا الصدد نصا للمؤرخ ابن أبي زرع عن الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين يقول فيه : ((ولم يوجد في بلد من بلاده ولا عمل من أعماله على طول أيامه رسم مكس ولا معونة ولا خراج في حاضرة ولا بادية))⁽¹⁴⁾ ، فضلا عما هو متعارف عليه لدى أوساط الباحثين من أن ضريبة المعونة هي نوع من المكوس المفروضة على الرعية خلال عصر المرابطين ، يلاحظ أن ابن أبي زرع اعتبر الخراج و كأنه ضريبة غير شرعية مثل المعونة، مما يؤكد عدم تنبئه الى المصطلحات التي كان يكتبها . وفي موضع آخر من نفس الكتاب يقول متحدثا عن الخليفة الموحد يوسف بن عبد المومن (-580هـ-) : ((وملك بالأندلس مدينة تطيلة قاصية بلاد شرق الأندلس إلى مدينة شنترين من بلاد غرب الأندلس، ينجى إليه خراج ذلك كله دون مكس ولا جور))⁽¹⁵⁾ ، فالخراج يصبح في هذا النص من الضرائب الشرعية والمكس يصبح مرادفا للاستغلال الجبائي . وعند حديثه عن الضرائب التي

تعرض لها سكان مدينة مكناسة في أواخر العصر الموحدى يذكر ابن عذارى أن أحد قادة جيش الموحدين ((ألزم أهلها وظائفا وتكالفا وابتلاهم بأنواع من المغارم والملازم)) (16). ولعل هذا النص يطرح أمام الباحث إذا لم يسلم بترادف هذه المصطلحات واشتراكها في مفهوم واحد، صعوبة التمييز ما بين مختلف هذه الأصناف من أشكال الضرائب. فالمؤرخ المنوه به يستعملها دون تمييز مع أن كل واحدة منها لها شحنة دلالية خاصة.

والجدير بالإشارة أن مدلول المصطلح الاقتصادى ليس ثابتا، بل غالبا ما يشهد تحولا فى معناه حسب العصور أو حسب اختلاف المناطق، وهو ما سبق أن أبرزناه فى دراسة سالفة حول مصطلح الإقطاع (17). وهذا ما يطرح إشكالية لاستيعاب المصطلح لذلك ينبغي فهمه فى تاريخيته، أو فى ظرفيته الزمنية .

ومن الصعوبات الأخرى التى تطرحها المصطلحات فى التاريخ الاقتصادى أيضا، صعوبة الإحاطة بكافة المصطلحات المشتقة فى بطون الحوليات التاريخية وكتب النوازل الفقهية ومصنفات الحسبة والرحلات والجغرافيا وكتب التصوف والمناقب، فضلا عن كتب الفلاحة وغيرها، وهو عمل شاق يتطلب جهدا مضنيا لاستنطاق كل هذا التراث الضخم الذى لا يمكن أن يستوعبه إلا عمل جماعى عبر فرق بحث كما سنذكر فى حينه .

3 - منهجية العمل :

و تأسيسا على ذلك فإن طريقة العمل المقترحة ينبغي أن تنطلق من بعض الضوابط

العلمية التى يمكن حصرها فيما يلى :

- 1- البساطة والوضوح
- 2- توخى الدقة .
- 3- المرحلية .
- 4- المراجعة والمتابعة المستمرة .
- 5- إنجاز المشروع على نحو جماعى (فرق بحث) .
- 6- إدماج المشروع مع اهتمامات المعاهد المصطلحية .
- 7- العمل بواسطة التكنولوجيا الحديثة (الحاسوب والإنترنت) .

نفصل ذلك بالقول أن طريقة العمل التي نقترحها تبدأ بتوزيع العمل على فرق بحث تتكلف كل واحدة منها بجمع المصطلحات من المصادر المتنوعة موضوعيا (تاريخية، فقهية، فلاحية الخ) و زمانيا حسب العصور (قرون ، عقود من السنين الخ)، مع إضافة تقسيمات أخرى كلما أمكن توخيا لتسهيل مأمورية الباحثين والتنقيب بدقة متناهية. كما نقترح أن لا يتم العمل دفعة واحدة ، بل إن مثل هذا المشروع يستلزم المرحلية حسب خطة زمنية معدة إعدادا مخططا تشمل مرحلة الجمع أولا ، ثم تقسيم المادة التي يتم تجميعها حسب الحروف الأبجدية .

وينبغي لهذه الفرق أن تسترشد في عملها بمتخصصين في حقول معرفية متنوعة مثل اللغويين واللسانيين والجغرافيين و الاقتصاديين ورواد العلوم الإسلامية . والى جانب ذلك يستحسن الاستعانة بمختلف المعاجم الأخرى التي لها علاقة مباشرة بالمصطلح الاقتصادي، حرصا على الدقة والتكامل .

ويفضل أن يكون المعجم مكتوبا بلغة بسيطة غير معقدة باعتبار أنه موجه للمتخصص وغير المتخصص، وأن يخضع شرح المصطلحات للمراجعة والمتابعة كلما ظهر معطى جديد. ونقترح أن يتم ذكر المصطلح وحصص مفاهيمه المتنوعة إن وجدت ، ووضعه في سياق تطوره التاريخي، ثم الإشارة إلى أسماء المؤرخين الذين استخدموه ، مع ذكر أسماء المصادر التي ورد فيها. ومن المفيد أن توضع كل الملفات في الحاسوب تسهيلا للمراجعة المستمرة ، وأن تستغل شبكة الإنترنت في التواصل والتنسيق مع ذوي الاختصاصات لتهدئ بطاقات حسب كل مصطلح، تمهيدا لإدماجها في بنك المصطلحات . ويمكن لشبكة الإنترنت أن تكون وسيلة للاتصال مع المعاهد التي تهتم بالمصطلحية . وفي نهاية العمل يتم وضع المعجم بكامله في قرص الليزر لسهولة إشاعة استعماله في الصورة المرئية .

4 - نموذج مقترح للعمل :

كتطبيق للخطة السالفة الذكر ، نقترح مصطلح " البركة " ⁽¹⁸⁾ كنموذج يندرج ضمن المصطلحات التاريخية الاقتصادية التي تبدأ بحرف الباء :

ظهر هذا المصطلح لأول مرة في العصر الموحدى، وكان أول من نحتة هو المؤرخ الموحدى ابن صاحب الصلاة في كتابه ((المن بالإمامة))⁽¹⁹⁾ ، وعنه نقل المؤرخون بعد ذلك مثل ابن القطان (3) وابن عذارى . ومن خلال السياق الذي ورد فيه، يفهم أن هذا المصطلح لم يستخدم بمعناه الروحي المتداول في الفضاء الصوفى، وإنما تم استعماله بمعناه المادى، أي كمقدار من المال يوزع على الجيش قبل المعركة . وإذا كان هذا المصطلح يقترن دائما بالجيش ، فإن الباحث يلاحظ استعماله أيضا في مواضع أخرى من طرف نفس المؤرخ بما يدل على مفهوم الهبة أو العطاء الذي يخرج الخليفة لرعاياه في إحدى المناسبات السياسية كإعلان البيعة لخليفة جديد⁽²⁰⁾ ، أو مشاريع حضارية كالانتهاء من تشييد إحدى المنجزات العمرانية⁽²¹⁾ .

كما يرد نفس المصطلح لدى المؤرخ نفسه بما يفيد مفهوم المكافأة التي يقدمها الخليفة لشخص مقابل عمل استحسنته أو نال إعجابه. ونسوق في هذا الصدد نموذج الخليفة الموحدى عبد المومن بن علي الذي يذكر عنه ابن صاحب الصلاة⁽²²⁾ أنه عندما بنى مدينة جبل طارق ((نال الفعلة والبناءون والصناع بركات وخيرات حين استحسنت ما صنعوه ووضعوه)). ويستخدم ابن عذارى نفس المصطلح للدلالة على مفهوم الهدية ، فإبان حديثه عن زواج الخليفة الموحدى يوسف بن عبد المومن بابنة ابن مردنيش، يذكر أن الخليفة المذكور أعطى لكل حارية من الجوارى المرافقين لها ((بركة عظيمة))⁽²³⁾ .

على أننا إذا قمنا بإحصاء لورود هذا المصطلح عند ابن صاحب الصلاة، نجد أن النصيب الأوفر في الاستخدام جاء مقرونا بالاستعداد لخوض المعارك⁽²⁴⁾، مما يؤكد أن مفهومه ينحصر في الحافز المادى الذي يهبه الخليفة لجنده بهدف بذل قصارى الجهود والاستبسال في الجهاد طلبا للنصر .

وإذا كنا نلاحظ أن مصطلح " البركة " جاء متراوفا بين مفهوم الهبة وتحفيز الجنود لخوض المعارك ، فإن المصطلح ذاته ورد في مواضع أخرى لدى ابن صاحب الصلاة بنوع من الدقة قصد به مفهوما آخر يتعلق براتب كان يتلقاه الجندي الموحدى المكلف بحراسة قلعة أو حصن أو سور مدينة . ونسوق في هذا الصدد ما أورده هذا المؤرخ عندما كان يتحدث عن

استرداد أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن مدينة غرناطة من يد ابن همشك و أنقد من كان فيها من الموحدين ((وأجزل لهم الزيادة في بركاتهم)) (25) . نفس التحديد لمصطلح البركة كراتب يتلقاه الجندي النظامي ينطبق أيضا على خدام الدولة من أعيان الموحدين وطلبة الحضرة وبقية الموظفين بالعاصمة مراکش (26) . ويذهب ابن صاحب الصلاة إلى تقدير هذا الراتب حسب درجة ومقدار كل فئة من فئات المجتمع (27) .

من حصاد هذه المفاهيم المتنوعة التي يعكسها مصطلح "البركة" يتضح أنه يحمل دلالات تختلف حسب السياق التاريخي الذي ورد فيه، لذلك وجب التعامل مع مفهومه الخاص حسب السياقات التي تم تتبعها في المصادر التاريخية .

حصيلة القول إن الحاجة إلى معجم لمصطلحات التاريخ الاقتصادي يظل مطلباً علمياً ملحا تفرضه التحولات التي تعرفها الحقول العلمية ومن ضمنها التاريخ ، كما يظل مشروعاً يأتي على رأس الأولويات العلمية التي ينبغي للمؤرخ أن يوجه إليها كل اهتماماته . وإذا كنا قد اكتفينا في هذا البحث بإثارة الانتباه إلى هذه المسألة ، فإننا- في إطار خطة تطبيقية مستقبلية - قد برمجنا المشروع ضمن المشاريع التي تكلفت بإبجازها وحدة التكوين والبحث "التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للغرب الإسلامي" التي يوجد مقرها بكلية الآداب بمكناس ، رغم الشعور بصعوبة الموضوع كما أبانت عن ذلك الدراسة ، فضلا عن ثقل المسؤولية العلمية التي يتحملها الباحثون الذين يتولون هذه المهمة .

(1) معجم علم الاجتماع ، ترجمة إحسان محمد الحسن ، بيروت 1981 (ط1) .

(2) بيروت ، دار الجليل 1981 .

(3) Dictionnaire des symbols . Paris -Rabat . lafast 1982 .

(4) أنظر : بسام بركة : معجم اللسانية ، منشورات جنروس - برس - طرابلس ، لبنان .

(5) محمود عبد الرحمن عبد المنعم : معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية .

(6) عبد الرزاق الكاشاني : معجم اصطلاحات الصوفية .

(7) رفيق المعجم : موسوعة مصطلحات علم التاريخ العربي - الإسلامي .

(8) صدر ضمن سلسلة المعاجم الموحدة التي تصدرها المنظمة العربية للتكوين والثقافة والعلوم .

- (9) يحيى الشهابي : معجم المصطلحات الأثرية ، مجمع اللغة العربية ، دمشق 1967 .
- (10) مصطلح التاريخ ، المكتبة العصرية ، بيروت .
- (11) مفهوم التاريخ : جزعان ، المركز الثقافي العربي ، البيضاء 1992 .
- (12) لا يوجد حسب حدود معرفتنا ، أي معجم خاص بمصطلحات التاريخ الاقتصادي في العصر الوسيط ، أنظر : دليل الباحث الناشئ في المصطلح ، فاس 1994 ، شركة الطباعة إنفو برينت .
- (13) أنظر : دليل الأطروحات والرسائل الجامعية المسجلة بكتليات الآداب بالمغرب (1961 _ 1994) ، وكذلك ملحق 1995 وملحق 1996 ، أشرف على إنجازه عمر أفا ، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط ، سلسلة دراسات بيلوغرافية رقم 4 ، الجداول الخاصة بالتاريخ .
- (14) روض القرطاس ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، الرباط 1973 ، دار المنصور للطباعة ، ص 137 .
- (15) نفسه ، ص 206 .
- (16) البيان المغرب ، قسم الموحدين ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، دار الرشد ، البيضاء ، 1985 ، ص 354 .
- (17) أنظر كتابنا : أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السياسي ، دار عكاظ ، الرباط 1992 ، ص 37 — 38 .
- (18) استعنا في شرح هذا المصطلح بما قدمه الدكتور الحسين بولقطيب في أطروحته لنيل دكتوراة الدولة في تاريخ المغرب الوسيط : الدولة الموحدية ومجال المغرب الأقصى ، نوقشت بكلية الآداب بالجديدة سنة 1999 ، (مطبوعة على الحاسوب) ، ج 1 ، ص 51 وما بعدها .
- (19) المن بالإمامة . تحقيق عبد الهادي التازي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت 1987 ، (ط3) ، ص 110 .
- (20) نظم الجمال ، تحقيق علي محمود مكي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت 1990 ، ص 250 .
- (21) نفسه ، ص 110 .
- (22) المن بالإمامة ، ص 110 .
- (23) البيان المغرب ، ص 153 .
- (24) المن بالإمامة ، ص 110-137-163-165-322 .
- (25) نفسه ، ص 137 .
- (26) نفسه ، ص 211 .
- (27) نفسه ، ص 137 .

قضايا المصطلح وخصوصية القطاع المعرفي

المصطلح العربي وإشكالية الترجمة والتعريب

ذ. إبراهيم الخطابي

معهد الدراسات والأبحاث

للتعريب الرباط

يتصف العصر الذي نعيش فيه اليوم بعصر الت¹فجر المعرفي والانتشار الثقافي الخاطف، واقتضى الأمر مواكبة مستجداته. وأصبحت وظيفة المصطلح في ضوء هذه المعطيات تتعظم يوماً بعد يوم، مع التقدم الإنساني. وفي الحضارة المعاصرة حضارة الثورة العلمية والتكنولوجيا، حضارة الاتصال والمواصلات يفوق دور المصطلح أي دور جوهرى كان له، على خطر ذلك الدور في التاريخ، فالمصطلح اليوم أكثر سيولة وأبعد مسارا وأحى حركة عن طريق الاتصالات الاليكترونية عبر الفضاء، فهو يلف أطراف الأرض في أقل وحدة من وحدات الزمان حسابا.

واللغة العربية اليوم تواجه العديد من الإشكالات التي تتصل بالترجمة والتعريب ونقل المفاهيم، وغير ذلك، مما يدفع البعض إلى القول بأنها غير قادرة على مواكبة ما يتفجر من مصطلحات أجنبية جديدة نتيجة للتقدم العلمي والتقني.

وأخذت إشكالية ترجمة أو تعريب المصطلحات تستقطب اهتمام المترجمين والمهتمين بشؤونها كمعاهد اللغة العربية والأكاديميات في الدول العربية التي تستعمل هذه اللغة بشكل عام.

في الماضي نهض علماء العرب لمواجهة إشكالية الترجمة والتعريب ووضعوا لها حلولاً، فقاموا بترجمة عدد كبير من الكتب والمراجع العلمية في جميع التخصصات. وتسابق العلماء إلى وضع آثارهم العلمية في اللغة العربية، حتى امتد نفوذها من المحيط إلى الخليج، وحتى أصبحت لغة دولية للعلم والحضارة.

وقد استفادت أوروبا عبر التاريخ من المصطلحات العربية العلمية وخاصة في المجالات الفلسفة والهندسة والرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية.

وهكذا استطاعت اللغة العربية عبر التاريخ أن تؤدي مهامها حضارية كاملة، كأداة أساسية للاستيعاب والتبليغ والابداع وكلغة للحياة والفكر والعمل.

وتعطلت هذه اللغة ، خلال عهود السيطرة الأجنبية عن تأدية جوانب هامة من دورها الطبيعي كلغة حضارة، مما ترتب عليه عزل اللغة عن مسار التطور التاريخي للمجتمع العربي، وحلت اللغات الأجنبية في التعبير عن الاحتياجات المتصلة بحياة المجتمع العربي محلها، وبمرور الزمن اتسعت الهوة الفاصلة بين اللغة وبين التطور المجتمعي، واقتصر استخدامها في بعض الأقطار على نطاق محدود، حتى أصبح ينظر إليها على أنها لغة متخلفة ترمى بالعمق وبالعجز عن فك مغاليق التعبير في العلوم الحديثة ووضع أسماء للمخترعات العلمية الجديدة، عن طريق المترجمين واللغويين والهيئات العربية المختصة. بالعمل المصطلحي،² تبذل جهود. حثيثة وكبيرة في مواجهة هذه الإشكالية والتغلب على صعوباتها عن طريق تأليف لجان في الدول العربية للقيام بترجمة أو تعريب المصطلحات والتعابير العلمية الجديدة كي تواكب سرعة تدفق هذا السيل الهائل من الألفاظ والمفردات الأجنبية العلمية التي تزداد يوما بعد يوم، نتيجة التطورات والابتكارات العلمية السريعة التي تظهر في العالم وما يتولد عنها من ظهور مخترعات وأجهزة حديثة.

وبعد هذه المقدمة الوجيز، وسنحاول في هذه الورقة حصر إشكالية اللغة بين الترجمة

والتعريب؟

1 الترجمة والتعريب

1-1 تحديد المفاهيم :

1-1-1 تتصل عملية الترجمة وتحدد بمجموعة من القضايا والابعاد المجتمعية -

الحضارية والتاريخية، لأن الترجمة اليوم ليست عملا تقنيا محضاً مفصلاً عن آليات وعناصر التطور التاريخي والسوسيو ثقافي المجتمعات البشرية ، بل هي على عكس ذلك علمية تتداخل فيها مجموع هذه العناصر.

وهذا التحديد يذهب بنا إلى القول بأن الترجمة ؛ تجديد لانتاج فكري معين أو إعادة إنتاجه في لغة أخرى ترتبط بسياق تاريخي ونسق ثقافي عام له خصوصيته التي تطبعه. ليس في هذا التعريف جديد ؛ ولكنه تأكيد على العلاقة الجدلية بين عناصر اللغة والفكر والتاريخ والنسق الاجتماعي التي أثبتتها الدراسات الاجتماعية ، واللسانيات المجتمعية بصفة خاصة.

وقد أصبحت الترجمة اليوم أحد فروع اللغة التطبيقية والعلوم المتصلة بها مثل علم اللغة النفسي والاجتماعي. ولذلك فإن إعداد المترجم لا يقتصر على تمكينه اللغوي فقط، بل على إعداده أيضا في ميادين المعرفة المختلفة.

وما أريد الوصول إليه هو إثارة بعض الإشكاليات المرتبطة بالترجمة والتعريب داخل التعريف العام للترجمة ضمن الانتاج الأدبي العام؛

و التعريف الخاص للترجمة : هو نقل من لغة أجنبية إلى ما يقابل النص أو المصطلح العلمي باللغة العربية. ونجاح الترجمة يعتمد على مدى استيعاب المترجم للغتين وإجادته لفن الترجمة.

2.1.1. أما التعريب من بين معانيه المختلفة، مصطلح يعني تعريب الكلم الاجنبي

فتنطق به العرب على منهاجها، يقال عربته العرب، وأعربته أيضا. فإنه محاولة نقل الكلمات أو المصطلحات العلمية من لغة أجنبية إلى اللغة العربية، مع تحريرها نطقا لتلائم النطق العربي، وذكر الجوهري في كتابه «الصحاح» أن «تعريب الاسم الأعجمي هو أن تفوه به العرب على منهاجها»³ و اللغة العربية تزخر منذ زمن طويل بالمصطلح العرب.

وقد استخدم العلماء أساليب وطرق مختلفة في إغناء لغتهم بمصطلحات جديدة أسهمت في نموها وتطورها لمواكبة التطور العلمي كالقياس، والنحت، والاشتقاق، والترجمة، والاقتراض أو ما يسمى بالاقتباس أو التعريب، فقد استعارت اللغة العربية قبل الاسلام ألفاظا أجنبية كثيرة، منها ما يدل على أسماء بعض الأزهار والخمور والأدوات المنزلية التي تملئها الحضارة والمدنية المحاورة، وكان أغلب هذه المصطلحات تعود إلى أصل فارسي أو يوناني.

وما أن انتهى القرن الثاني الهجري حتى شهد العالم الإسلامي جدلا حول وجود بعض الكلمات في القرآن الكريم ذات أصول غير عربية⁴.

وقد حشد العلماء المسلمون والذين ألفوا كتباً ورسائل علمية في علم الطب والنبات والحيوان والحيل الميكانيكية⁵ عددا كبيرا من تلك الألفاظ الأجنبية في كتبهم كابن سينا والرازي والفارابي وكابن رشد والزهراوي وابن الجزري وغيرهم فقالوا : «الفريقي» للطبيعة و «اسطقس» للعنصر و «الارثماطيقي» للحساب، وغيرها من الألفاظ التي لجأوا إليها في أول عهدهم بنقل العلوم والتأليف ليسدوا حاجة عرضت عليهم حينذاك⁶.

وجاءت الدولة العباسية وبدأ اهتمام الخلفاء والأمراء ورجال الدولة بالعلوم والمعرفة واتسم عصرهم بكونه عصرا جديدا في حياة الأمة حيث نشطت فيه حركة الترجمة والتعريب على حد سواء وعلى الأخص في عهد الرشيد والمأمون، حيث تناقش العلماء في تعريب المفردات الأعجمية، وعلى بنائها العربي، أو ترجمتها بإيجاد مقابل لها في اللغة العربية يؤدي معناها الأصلي في اللغة الأجنبية أو يقاربه تمام المقاربة⁷. ونافس الأندلس المشرق العربي في الترجمة والتعريب والتأليف.

وبعدما كثرت هذه الألفاظ الدخيلة على العربية وازداد شأنها قام بعض المؤلفين بشرحها وتصنيفها ووضع القواعد الصحيحة لنطقها، كان في مقدمتهم أبو منصور الجوالقي في كتابه «المعرب من الكلام الأعجمي» ثم تبعه الخفاجي في كتابه «شفاء الغليل في كلام العرب من الدخيل»⁸. وقال الجوالقي في العرب : «اعلم أهم كثيرا ما يجترئون على تغيير الاسماء الاعجمية إذا استعملوها، فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقرها مخرجا، وربما أبدلوا ما بعد مخرجه أيضا» وقد كانت دوافع التعريب عندهم هي :

1 خفة اللفظ الأجنبي في النطق من نظيره العربي : وذلك مثل (الخيار) بدلا من (القتد)، و (الياسمين) بدلا من (السمسق، والسجلاط) ، و (التوت) بدلا من (الفرصاد)، و المسلك بدلا من (المشموم)

وسلكوا في التعريب طريقتين : طريق المعرب الصوتي، وطريقة الدخيل : طريق المعرب الصوتي يتم حسب النظام الآتي :

1 التغيير في أصوات الكلمة وصورها بما يوافق ألسنتهم وأبنية كلامهم ويشكلونه بحسب أوزان لغتهم ومنطق لسانهم⁹ ويتحلى التغيير في صور أشهرها :

1.1 تحريف في الأصوات : كأن يكون بإبدال حرف من حرف مثل : جورب، وأصلها الفارسي : (كورب)، وتعني لفافة الرجل.

2.1 بزيادة حرف مثل : ديباج، وأصلها الفارسي : (ديبا).

3.1 بنقصان حرف مثل : نشأ، وأصلها : نشاته.

4.1- بتحريك ساكن مثل : كازورون اسم مدينة وهي في الفارسية بسكون الزاي وينطقونها: كازرون.

5.1 أو بإبدال حركة مثل : دستور، وهي في الفارسية بفتح الدال (دستور) غير أنها تعرب بضمها نظرا لأنه ليس في لغة العرب كلمة على وزن فعلول إلا نادرا. فغيروا من الحروف ما كان بين الجيم والكاف، فقد جعل أحيانا جيما، وأحيانا قافا لقرب القاف من الكاف، فقالوا «كربج وبعضهم يقول «قربق».

2 تحريف في الأوزان : ويحدث هذا نتيجة للتحريف في الأصوات، و ذلك إما : بزيادة على أحرف الكلمة الأعجمية، وإما بنقصان حرف منها، أو إبدال حركة بحركة، أو حرف من حرف، أو تحريك ساكن، وقد أصبحت بهذه الطريقة الكلمات الأعجمية كلمات على الأوزان العربية وذلك مثل : درهم، وبهرج، ودينار، وديباج، وجورب ب «كوكب» وشبارق ب «عذافر» ورزداق ب «قرطاس». فقد أصبحت، بعدما دخلها من التغيير، على أوزان الكلمات العربية مثل : جهور (وهو الفرس الذي ليس بغليظ الصوت ولا أغنه). وديماس (وهو الحمام)، وسهلب (الرجل الطويل)، وهجرع (الأحمق)¹⁰.

وهذا القسم الذي وقع فيه التغيير يعرف عند العلماء باسم «المعرب» فالمعرب إذن- هو اللفظ الأجنبي الذي استعملته العرب بعد تطويعه للغتهم سواء بالزيادة أو النقص أو القلب أو الإلحاق.

طريق الدخيل : ونعني به إدخال الكلمة الأجنبية بصورتها في العربية دون تغيير، وذلك مثل : خرسان ، وإبريسم، وتليفون، وتلفزيون...

ووضع العلماء مقاييس وعلامات بها تعرف الكلمات الدخلية ومن هذه العلامات :

- أن تكون مخالفة للأوزان العربية مثل : إبريسم ، أمين ، جبريل.
- أن تكون فاؤها نونا وعينها راء مثل : نرجس، نرد ، نورج.
- أن تنتهي الكلمة بدال يتبعها زاي، مثل مهندر، الهنادر.
- أن يجتمع في الكلمة الصاد والجيم ، مثل : الصولجان، الجص، الصنج.
- أن تشتمل الكلمة على الجيم والقاف ، مثل : الجوقة ، المنجنيق، الجوسق.
- أن تكون الكلمة رباعية أو خماسية مجردة من حروف الذلاقة وهي : (الميم والراء والباء والنون، والفاء واللام) مثل (خطائج، عقجش،، جوسق).
- أن تكون الكلمة مبنية من باء وسين وتاء،¹¹ «بست»
- أن تجمع الكلمة الجيم والطاء كالتاجين، والطيحن.

ولقد قسم العلماء الكلمات العربية التي دخلت على اللغة العربية إلى ثلاثة أقسام :

1 - العرب : وهو ما استعمله العرب من الألفاظ الموضوعية لمعان في غير لغتها. ويدخل فيه جمع الكلمات الأعجمية التي وردت في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية وفي الشعر الجاهلي.

2 - المولد : وهو ما استعمله المولدون من ألفاظ أعجمية لم يعرفها فصحاء العرب مثل : ترجم الرسالة، وبيض الكتابة.

3- المحدث أو العامي : وهو ما عربته المحدثون وشاع في المجتمع. ومن الصعب تمييز المحدث من المولد، لعدم الاتفاق على تاريخ معين ينتهي عنده عصر المولدين ويبدأ بها عصر الحديثين.

وهكذا عالج العلماء القدماء إشكالية التعريب.

وقد استطاعت اللغة العربية عبر التاريخ أن تؤدي مهامها الحضارية كاملة كأداة أساسية للاستيعاب والتبليغ والإبداع، إلا أنها واجهت صراعات كثيرة مع لغات أخرى

نتيجة لهجمات أجنبية، عزلتها عن مجال التعليم والبحث والادارة والإعلام، وفقدت مع انخراط أهلها مكائنها كلغة رئيسية للتعليم إلا في مؤسسات تربوية تقليدية مثل جامعة القروين وجامع الزيتونة والأزهر وابن يوسف في مراكش.

وقد بذلت جهود كبيرة لمواجهة هذا الإشكالية، وتمكنت بعض الدول العربية من الحفاظ على اللغة، بحيث تقوم بدور رئيسي في بعض المجالات كالآداب والسياسة والإعلام والدين. وظل الاعتماد على اللغة الأجنبية والترجمة في التعبير عن احتياجاتها الأخرى مستمرا حتى أصبحت اللغة العربية تابعة للتطور بدلا من أن تكون مواكبة له.

وجاءت الحقبة المعاصرة، وبرزت مخترعات واكتشافات جديدة في ميادين العلم والمعرفة، رافقها سيل عارم من المصطلحات ومستحدثات الحضارة في اللغات الأوربية. وكانت تقع على المترجمين العرب والمهتمين بشؤون الترجمة والتعريب مهمة ترجمة الكتب العلمية والفنية والطبية، والعسكرية، وعلم الفضاء الخ.

فشكلت لجان ومكاتب في مختلف الدول العربية. لمواكبة ركب الحضارة الحديثة والمعاصرة عن طريق الترجمة والتعريب، والأساليب الأخرى التي تساعد في إغناء اللغة العربية بمفردات جديدة.

وكانت من أبرز الإشكالات التي واجهت المترجمين العرب المعاصرين والجامع العلمية مسألة نقل الأسماء والمصطلحات و الألفاظ الأجنبية إلى العربية هل يكون ذلك بالتعريب : أي كتابة الكلمة الأجنبية بحروف عربية أم عن طريق الترجمة أي إيجاد ما يقابلها في العربية.

وقد أثارت هذه الإشكالية اللغوية جدلا كبيرا منذ بداية القرن الماضي وقبله، حيث انقسم المترجمون والمهتمون بشؤون الترجمة والتعريب بين مؤيد ومعارض. ظهر العديد من المفاهيم حول التعريب نتيجة للظروف السياسية والاجتماعية التي يعيشها كل بلد. ويمكن أن نحدد من خلال الخبرة التاريخية اتجاهين : الاتجاه المشرقي والاتجاه المغاربي :

الاتجاه المشرقي : ويشمل كلا من مصر والسودان وسوريا، والأردن والعراق والخليج العربي، وقد اتسم التعريب في هذا النموذج بالسمة اللفظية، وبالصبغة الفنية

والتخصصية الدقيقة. وهو يتكون من جانبين أساسيين يتحليان في : اشتقاق الترجمة العربية واستخدامها اللفظ الفني والثقافي والعلمي الأجنبي انطلاقا من المفهوم الانجليزي من جهة، وإدخال اللفظ الأجنبي بذته وبمادته إلى اللغة العربية، حيث يصطلح على تعميم استعماله ضمن مفردات اللغة العربية من جهة أخرى.

الاتجاه المغاربي : يعنى بشمول علمية التعريب وعموميتها لجميع الأنشطة داخل المجتمع. وينطلق التعريب من مفاهيم المصطلح الفرنسي ويشمل المغرب والجزائر وتونس وموريتانيا.

وكما تعترض هذه الدول اشكالية أخرى من أبرزها :

أولا : أن اللغة العربية ليست لغة حديث ، يتكلم بها أصحابها على سليقتهم، بل هي لغة مصنعة في أغلب الاحوال، واستبدل بها العرب عاميات مختلفة، يمارسون من خلالها التعبير عن حياتهم، وهذه العاميات مستوى من اللغة غير مكتوب ، يقابله أن الفصحى مستوى لغوي غير منطوق، إلا في المناسبات الخاصة، وهو ينطق غالبا مخلوطا بكثير من الاخطاء تتفاوت قلة وكثرة، وهو دليل آخر على أن الذين يستخدمونها لا يملكون سليقة لغوية سليمة، فالتكلم باللغة على سليقة لا يخطيء فيها، وإنما يخطئ من يتكلف.

وثانيا : أن هذه اللغة العربية قد هانت على أهلها، حتى طردوها من الاستعمال في مجال التعليم العلمي الجامعي، وآثروا عليها اللغة الفرنسية والانجليزية.

وقد أدى هذا إلى أن أكثر الأساتذة والمعلمين يعانون عجزا حقيقيا في علاقتهم باللغة العربية، فهم لا يفكرون بها . ولا يستطيعون أن ينطقوها بسليقة سليمة، نتيجة لهجرهم الفصحى، أو احتقارهم لها.

وثالثا : أن اللغة العربية العلمية لا وجود لها في الحقيقة ، بل الموجود هو مجموعات من المصطلحات الميتة بطبيعتها، لأنها لا تستعمل كلغة حية، فليس للغة سلطة على أصحابها، ولأنها تجاوزت قطعا بظهور مصطلحات أخرى جديدة، في أجيال متتابعة، يلغي اللاحق منها السابق ويتجاوزة.

ولقد يعرض لنا هنا سؤال عن حقيقة التخلف الذي تعاني منه اللغة العربية التي أثبتت في عصور مختلفة، منذ الجاهلية، إلى عصرنا، قدرة على التعبير، البياني الراقى، حتى نافست اللغات الحضارية في القدم والحديث.

والواقع أن الرقي الذي حققته اللغة العربية إنما كان في المجال الأدبي، بحيث يتفنن الأدباء والشعراء في التعبير عن ذواتهم وأحلامهم الخاصة، وحيث يختارون من القوالب الأدبية ما تبرع فيه قرائحهم كالشعر، والنثر، والمقالة، والقصة، والمسرحية، وكل ذلك مجال تنافس فيه اللغات، حتى المختلفة.

فأما المجال العلمي فإن له لغة خاصة به، تقوم على تمثيل الواقع الحضاري، والتعبير عنه، وهو واقع مادي يزداد كل يوم تراحبا وسعة، وتنوعا واختلافا.

وليس للخيال دخل في هذه اللغة العلمية، كما أنها لا تعبر عن ذات العالم أو الباحث، بل هي صورة طبق الأصل من موضوعاتها، بل لنقل : إنها الصورة اللغوية للوجود المادي ، بكل تحليلاته، ومعادلاته.

ومن هنا تنفصل اللغة العلمية عن اللغة الأدبية انفصالا كبيرا، على حين يهتم العلماء باللغة الأدبية، ويعتبرونها أساسا لتقعيد القواعد، وتقنين التراكيب، والصورة البلاغية اذاهم يهتمون اللغة العلمية إهمالا كاملا، وهو موقف غريب حدث قديما إبان الحركة الكبرى التي استهدفت وضع علم النحو، والصرف، فاستقى النحاة قواعدهم من الأشعار، والأقوال المأثورة، عن الفصحاء، بل حتى عن الأطفال والمجانين، ولم يفكروا لحظة في معالجة اللغة العلمية التي سطرها العلماء؛ فتحولت هذه الكتابات العلمية إلى لغة ميتة، لا روح فيها، ولا حياة، بل لقد وجدنا أن الكتب العلمية التي أبدعها عباقرة الحضارة العربية الإسلامية لم يفد منها المجتمع العربي بقدر ما أفاد أهل الغرب حين ترجموها إلى لغاتهم، ودرسوها في جامعاتهم، ومن خلال مضمونها العلمي تولدت الحضارة الحديثة، وهي في الحقيقة نتاج هذه الكتب التي أهملها أهلها، ولم يروا فيها أي مشروع للمستقبل.

والآن، وقد اتسعت الهوة، وتباعدت المسافات بين الأصل والفرع، فمن المحال أن نفتش عن مصدر القطرة في بحرهما، وقد انفتحت الحضارة الحديثة على آفاق هائلة أخذت تتحدى قدرة العربية على استيعابها، وهو تحدٍ يجعل من العربية أداة متواضعة، قانعة بقدرها. جوهر التحدي يتسائل : كيف للغة العربية أن تعود إلى الحياة، وأن تعبر عن العصر الحديث ، بكل معطياته الحضارية؟.

وللغويين في الرد على هذا التساؤل طريقتان تمرنهما اللغة في نظرهم إلى الآفاق الجديدة :

الطريق الأول : التعريب، والطريق الثاني : الترجمة.

وقبل أن نتناول الطريقتين يجب أن نقرر أن السبيل الوحيد إلى الهدف المنشود هو التقدم العلمي والتقني، ولا بديل عن ذلك للقضاء على أمية اللغة العربية ، نقطة البدء هي العمل والانتاج والتنمية والمنافسة والتقدم.

فأما التعريب أو الترجمة فإنهما وسيلتان للتعبير عن الحاجيات العلمية التي تتولد عن الواقع المتفوق، المكافئ للحركة الحضارية التي تتحدى هذه اللغة صباح مساء. أما الترجمة فهي الطريق إلى اقتحام المجهول، واستيعاب علوم العصر وتقنياته، فالحضارة في حقيقتها مجموعة من العلوم المودعة في بطون الكتب إلى جانب تطبيقها من الإنجازات المادية، فإذا ما استطاع أبناء هذه اللغة نقل معارف الحضارة عن طريق الترجمة فإن كفاءة استيعاب الحقائق العلمية تستتبع بالضرورة الدخول إلى مجال التنفيذ والتطبيق ومع تكاثر المعارف، يتزايد احتمال الابداع والتطوير، وهذا هو المطلوب بالضبط، فالحضارة مشروع يتحقق بالتدرج، ويتم خطوة خطوة، لكنه يقتضي مزيدا من الاصرار والاستمرار، إلى أن يبلغ المجتمع مرحلة التعاون، ثم يكون التفاوت والتقدم.

غير أن الكمية التي يتعين إنجازها من الكتب والموضوعات العلمية عن طريق الترجمة لا تقل عن عشرات الملايين، بل مئات الملايين من الصفحات، إذ يجب أن نسلك في هذه الطريق مسلك الدولة الكبرى، أو على الأصح مسلك اللغات الكبرى التي لا تترك شاردة ولا واردة إلا نقلتها إلى بطون كتبها، عن طريق أجهزة الترجمة التي تضم

مئات الألوف من المترجمين ، وآلاف البرمجيات للترجمة الحاسوبية لمختلف اللغات العالمية. إن معدل إنتاج الدول العربية في مجال النشر لا يزيد الآن على (1) في المئة من مجموع المنشور في العالم.

وسوف يتحقق بازدهار الترجمة تتيحتان حتميتان :

الأول : ظهور عدد كبير من الكتب العلمية في العربية.

ثانيا : سوف تصبح اللغة العربية لغة العلوم والتقنية، تستخدمها الجامعات في التدريس،

نظرا إلى توفر الكتاب العلمي بالعربية، وإقبال المتعلمين على استعماله.

ولقد أثبتت البحوث التربوية أن تلقي الدروس بالعربية يوفر المزيد من الفهم، واليسر في التلقي، لأن العربية هي اللغة السائدة في التعليم العام، واستخدامها في الجامعات وهو استمرار لما ألفه التلاميذ في تلقي الحقائق العلمية، والفهم الدقيق يعني التقدم السليم نحو كل الأهداف الحضارية.

فأما استخدام اللغة الأجنبية فإنه يعاني دائما من ضعف هذه اللغة على ألسنة الأساتذة، وازدياد هذا الضعف لدى الطلاب الذين لا يستطيعون متابعة الفهم عن أساتذتهم، وذلك يكون الوضع القائم الآن كارثة علمية بكل المقاييس، ولا مبرر لاستمرارها.

إذن ذلك هو الأسلوب الوحيد في رأينا- للخروج من أميتنا الحضارية، وهو أسلوب يعتمد على الخروج عن النمط التقليدي في تناول الإشكالية، على نحو ما جرى عليه العمل حتى الآن.

نعم نحن بحاجة إلى الخروج على التقاليد، واقتحام الإشكالية التي استمرت حتى الآن عشرات الأعوام، بطريقة العمل الشاق، والحشد الشامل، والجهد المركز الذي لا يرضى بموقف دون الانتصار على هذه الإشكالية، والخلاص منها حاضرا ومستقبلا.

إن حركة تتم بهذه الضخامة هي ثورة حقيقة في المجال الثقافي، سوف تدفع على طريقتها جهودا كثيرة في التعليم والتربية، والاعلام، بل وفي مجالي السياسة والاقتصاد.

وسوف يتغير كل شيء في حياتنا، ولن يستطيع أحد أن يخرج على تلك الثورة الحضارية التي تستهدف بعث الأمة، وتحقيق النهضة على طريق العلم والتقنية. وإن الدول الكبرى تنفق ميزانيات ضخمة في سبيل نشر لغتها عبر أرجاء العالم وتحدد لذلك كل الطاقات البشرية والتقنية وعيا منها بأن اللغة والثقافة هي روح الكيان المجتمعي وتجسيد للتميز الحضاري والمعبر عن الهوية. وتلك مسؤولية الفعاليات والمؤسسات الثقافية والفكرية، ومسؤولية من يعرف أن الثقافة والعلم رهان المستقبل وحقل خصب للصراع الانساني.

الهوامش:

1
2 - على المستوى الرسمي :

المجامع اللغوية : ثمة أربعة مجامع لغوية، يجمع اللغة العربية بدمشق، وجمع بغداد، وجمع القاهرة وجمع عمان.

معاهد البحوث : معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالربطيعي بالتعريب ووضع المطلحات القطاعية، معند الكويت للبحوث ويعني بالمصطلحات العلمية في بعض الحقول كالكيمياء معهد التنمية العربي، طرابلس وبيروت وهو المسئول عن أكبر معجم في العلوم والتقنية في العالم العربي.
المنظمات العربية :

- المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس عمان. المنظمة العربية للعلوم الادارية عمان، - المنظمة العربية للتنمية الزراعية الخرطوم، - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس، منظمة الدول العربية المصدرة للبترول الكويت،

- الجامعات : - جامعة الملك عبد العزيز حدة الملك فيصل الدمام، - جامعة التكنولوجيا بغداد، جامعة سيدي محمد بن عبد الله معهد الدراسات المصطلحية ، فاس المغرب.
مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي.

وعلى المستوى غير الرسمي هناك جمعيات كالمئتمدى المغربي للمصطلحيات والترجمة، الرباط، كما تشتغل من درو النشر في العالم العربي بتصنيف المعاجم المتخصصة ومن أبرز هذه الدور مكتبة لبنان. إضافة إلى ذلك الجهود الفردية التي تنعكس في وضع المعاجم (ثنائية اللغة ومتعددة اللغات) ونقل المصطلح الفني للغة

العربية في شكل مسارد وقوائم وملاحق أو تراجم لنصوص متخصصة أو ملخصات للبحوث في الدوريات والمجلات العلمية والنشرات.

3 - أنظر مقدمة الصحاح ، وكذلك د.صفاء خلوصي، فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، العراق 1958 ص 20.

4 - إبراهيم السامرائي، العربية تواجه العصر، سلسلة الموسوعة الصغيرة، وزارة الاعلام ، بغداد1982 ص 140.

5 - أمدهنظر رسالة الدكتور دنيا عبد الملك حو المصطلح التقني «الحليل» عند الجزري. لرسالة لنيل دكتوراة الدولة في علم المصطلح، جامعة السوربون وتوجد نسخ منها بمعهد الدراسات والأبحاث للتعريب.

6 - لتفصيل ، أنظر احمد مطلوب، المصطلح التقني، مجلة انجم العلمي العراقي، ج 4 مجلد 28، بغداد 1987 ص 110.

7 - محمد عبد الغني حسن. فن الترجمة في الأدب العربي، الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة 1966، ص 73.71.

8 - إبراهيم السامرائي، المرجع السابق ص 115.

9 - إبراهيم محمد أبو سكين : فقه اللغة . ص 43.

10 - علي عبد الواحد وافي : فقه اللغة ، ص 204، 205 بتصرف.

11 - أبو منصور الجوالقي : المغرب من كلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمد شاكر، ص 60 طبعة دار الكتب المصرية 1389.

مصطلحات علوم الشعر

- الوزن مكونا إيقاعيا -

ذ . إدريس ناقوري

كلية الآداب ، عين الشق - الدار البيضاء

ارتبط العرب بالإيقاع ارتباطا وثيقا في حياتهم الواقعية وفي تجاربهم

الفنية : الشعرية والثرية .

وقد علل الدارسون هذه العلاقة تعليقات كثيرة : جغرافية (بيئية) ونفسية

واجتماعية ولغوية . الصنف يتصل بطبيعة الأرض (الصحراء) التي نشأ فيها العربي ، والثاني

بنفسية البدوي وبشخصيته : فالتركيب النفسي للشخصية العربية القديمة التي طبعتها الصحراء

الرتيبة ، بإيقاعها ذي النغمة الواحدة المتكررة هو الذي يفسر ميل العرب للإيقاع (1) .

والتعليل الثالث يتمثل في العنصرين البيئي والبشري فيما يبرز التعليل الرابع في اللغة

العربية ذاتها . ذلك أن " العربية ازدانت بزينة الإيقاع منذ نشأتها نظما ونثرا . وما

التنوين والإعراب سوى بعض آلات الموسيقى اللفظية . وما السجع والتوازن والازدواج

والإتباع وأنواع البديع اللفظي وقوانين الإعلال والإدغام سوى مظاهر أخرى لاهتمام العرب

المفرط بجمال الرنة وحسن الإيقاع " (2) .

فما هو الإيقاع من المنظور النقدي والعلمي ؟

الإيقاع في النقد العربي المعاصر :

يختلف مفهوم الإيقاع ، في حركة النقد المعاصر ، من ناقد لآخر وتتضارب أحيانا تعريفاته .

تقول خالدة السعيد :

" إنه ليس مجرد الوزن بالمعنى الخليلي أو غيره من الأوزان . الإيقاع بالمعنى العميق لغة ثانية

لائقتهما الأذن وحدها ، وإنما يفهمها قبل الأذن والحواس ، الوعي الحاضر والغائب .

لهذه اللغة علاقة ثنائية بالأجواء الشعرية ، تستحضر الأجواء والأجواء تبعثها . هذا يعني ،

بالتالي ، أن الإيقاع ليس مجرد تكرار أصوات وأوزان تكراراً يتناوب تناوباً معيناً ،
وليس عدداً من المقاطع وليس قوافي تتكرر بعد مسافة صوتية معينة لتشكيل قراراً ،
هذه كلها عناصر إيقاعية ولكنها جزء من كل واسع ملون متنوع . الإيقاع لغة بل هو
سابق للغة المصطلح ، على تسميتها كذلك ، إنه ما قبل الاصطلاحات () إنه :
النظام الذي يتناوب أو يتوالى بموجبه مؤثر ما (صوتي .. أو شكلي) أو جو ما (حسي ،
فكري ، سحري ، روعي) وهو كذلك صيغة للعلاقات .. نظام أمواج صوتية ومعنوية
وشكلية " (3).

ويرى عز الدين إسماعيل أن القصيدة بنية إيقاعية خاصة ، ترتبط بحالة شعورية معينة لشاعر
بذاته ، فتعكس هذه الحالة لا في صورتها الموهوشة التي كانت عليها من قبل في نفس الشاعر ،
بل صورة جديدة منسقة تنسيقاً خاصاً بها من شأنه أن يساعد الآخرين على الالتقاء بها
وتنسيق مشاعرهم الموهوشة وفقاً لنسقها (4).

ويذهب هذا الناقد إلى أن الشعر العربي القديم عرف الأوزان ولم يحفل بالإيقاع ، لأن طبيعة
اللغة ذاتها ساعدت على ذلك (اللغة العربية) (5) .

كما يرى أن الإيقاع قيد جيد أضيف إلى الوزن التقليدي في القصيدة الجديدة
(شعر التفعيلية) (6) .

فالإيقاع عنده هو : حركة الأصوات الداخلية التي لا تعتمد على تقطيعات البحور
والتفاعيل ، هو التلوين الصوتي الصادر عن الألفاظ ذاتها ، فهو يصدر عن الموضوع ، في حين
يفرض الوزن على الموضوع :

الإيقاع داخلي والوزن خارجي . ومن ثم هو يرتبط التجربة الشعورية وهي طبعا ، أساس
التجربة الشعرية .

والإيقاع ، كما يفهمه شكري عياد : (7) .

ظاهرة تقوم على التكرار المنتظم ، يلعب فيها الزمن دوراً مهماً ، هو العلاقة الزمنية بين أجزاء
اللحن ويراها د. أنيس : نغمة صاعدة في مقطع مبتور من المقاطع التي تتوسط الشطر . هذه
النغمة ركيزة للشطر تنقله من مجال الشر إلى مجال الشعر (8) .

ويتميز د. نعمان القاضي بين الإيقاع وبين الموسيقى . فهو ، عنده ، عزف شخصين ، إبداع الشاعر وصوته الذي يميزه عن غيره (أسلوبه) ويمثل أصالته (9) .
وعند النويهي : يربط هذا الناقد بين الإيقاع وبين النبر ، ويذهب إلى أن العربية لغة نبر غنية إيقاعيا ويستدل على ذلك بالقراءات القرآنية الصحيحة التي تقوم على النبر . ونظام النبر يقوم على شيئين :

1 على كم المقطع بين قصر وطول .

2 وعلى ترتيبه بين مقاطع الكلمة (10) .

ويفرق بين نظام إيقاعي شديد الرتوب والبروز (القصيدة العمودية) وبين نظام إيقاعي جديد (الشعر الجديد) : خفيف : (11) .
هو إيقاع النبر الذي يأباه العربية .
الوزن والإيقاع :

يقسم علماء العروض الأوزان إلى ضربين أوزان مستعملة وأخرى مهملة .

المستعمل منها ما قالت عليه العرب . والمهمل ما عداه (12) .

والأوزان المستعملة هي المعروفة ببحور الشعر الخمسة عشر التي استخلصها الخليل بن أحمد من استقرائه العلمي الدقيق لمتن الشعر العربي ، وأضاف إليها ، (13) . حسب الرواية المتداولة الأحفش بحر الخبب أو المتدارك . أما المهملة فقد اختلف في عددها . ذكر منها صاحب المعيار تسعة سماها محدثة وهي :

الوسيط : مفاعلين فعولين مفاعلين فعولين 2×2 .

الوسيط : فاعلاتي فعولن 2×2 .

المعتمد : فاعلاتك فاعلاتك فاعلاتك 2×2 .

المتشد : فاعلاتن فاعلاتي مستفعلي 2×2 .

المنسرد : مفاعيلن مفاعيلن فاعلاتن 2×2 .

المطرود : فاعلاتن مفاعيلن مفاعيلن 2×2 .

الخبب : فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن 2×2 .

- الفريد مستفعلن مستفعلي مستفعلاتن × 2 .

العميد : مستفعلاتن مستفعلي تن فعل × 2 .

ومما يلاحظ في هذه البحور أنها مركبة من تفعيلات البحور المستعملة باستثناء وزني الفريد والعميد فهما يعدان خارج الدوائر التي ذكرها الخليل .

ومن الباحثين العرب من يرى أن الأوزان المهملة أكثر من التسعة المذكورة وأنها تتجاوز العشرين (14) .

إن الأوزان ، المستعملة والمهملة وما يعتريها من تغيير بسبب الزحافات والعلل تدل على غنى العروضي العربي وخصوبة بنية الشعر الإيقاعية .

وإذا كان الشعر العربي قد خضع لعدة قيود تمثلت في الوزن والقافية ووحدة الروى وفي الإيقاع الذي عده بعض الباحثين المعاصرين قيوداً جديداً (15) . فإنه مما يخفف من حدة تلك القيود وثقلها ، الوزن الخارج عن اللفظ الذي تظهر فائدته وفاعليته في الشعر المسموع أي : في القراءة والإنشاد .

وتجدر الإشارة إلى أن الشاعر القديم كثيراً ما يضطر إلى إدخال كلمات ، أو عبارات ، في شعره ، لإقامة الوزن ليس إلا ، مع أن تلك المفردات قد لا يكون لها أي معنى ، في كثيراً من الأحيان .

وقد أفاض النقاد القدماء في تحليل هذا الموضوع وأطلقوا على الظاهرة تسميات مختلفة منها الحشو والاتكاء والاستدعاء وهو الذي يكون في القافية . وربطوا بين الحشو ومصطلحاته وبين صور بديعية أخرى منها الالتفات والتتميم والاحتراس والتبليغ والتبعية واستشهدوا على الحشو بأمثلة من الشعر منها: قول أبي العيال الهذلي (من مجزوء الكامل) :

ذكرت أخي فعاودي / صداع الرأس والوصب . (16) .

وقول دريد بن الصمة : (17) .

وبلغ عميرا إن عرضت ابن عامر / وأي أخ في النائبات وطالب وقول الفرزدق : (18) . ستأتيك مني إن بقيت قصائد / يقصر عن تجيرها كل قائل .

إن الثمانين وبلغها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

في كل هذه النماذج الشعرية وفي العشرات غيرها يأتي الشاعر بكلمات
وعبارات لاتضيف جديدا الى المعنى وإنما تكون حشواء الغرض منه اقامة الوزن واستدعاء
القافية ، والا ما الفرق بين صداع الرأس وبين الوهب ؟ وما فائدة عبارة : ان عرضت
الاعتراضية ، في بيت دريد ؟ وعبارة : ان بقيت في بيت الفرزدق ؟ ودعاء : وبلغتها ، في
بيت ابني ملحوم ودعاء زهير في بيته : لأبا لك ؟ (19) .

ان هذه الظاهرة الإيقاعية والبديعية التي اصطلح عليها بالحشو وتسميات اخرى كثيرة : منها
ما يتصل بالمبالغة ومنها ما يتصل بالاتفات والاستثناء والتتميم والاحتراس والاتكاء والارتفاد
والنفصيل (أو التعصيل) والتكرار تعد من صميم البنية الإيقاعية في الشعر وهي أيضا مدار
الوزن لأنها ألفاظ وتراكيب جيء بها لإكمال الوزن وتحقيق التوازن داخل البنية الإيقاعية .
وهناك صنف آخر من الوزن يؤدي وظيفة مشابهة هو الوزن الخارج عن اللفظ .

يتحقق الوزن الخارج عن اللفظ في الشعر المسموع بعدة وسائل منها :

- إطالة الحركات .

- مد الحروف .

- نبر المقاطع

- الوقوف بين أجزاء القول .

وكل أولئك في زمن النطق . أما السر في لجوء المنشد الى هذه الوسائل لإقامة الوزن
فيعود الى طبيعة الحروف والى العلاقة التي تنشأ بينها في الكلمة الواحدة وكذا الى علاقة
الكلمات ببعضها ، فكل حرف له خصائصه الموسيقية التي تؤثر في الوزن وفي الإيقاع عامة
كما تؤثر طبيعة العلاقة بين الكلمات في بنية النص .

ولذلك فمن النادر أن يتساوى عدد المتحركات وعدد السواكن في أبيات القصيدة
الواحدة الا إذا كانت من الكامل أو من الوافر (لهما خصائص إيقاعية متميزة) .

وإذا تساوت السواكن والمتحركات فإن الحروف تظل مختلفة وكذا العلاقات القائمة
بينهما كما هي مختلفة العلاقة الناشئة بين الكلمات في البيت أو السطر الشعري ، ومن هنا
يتبدى الدور الذي يلعبه الوزن الخارج عن اللفظ في الشعر المسموع ، بوجه خاص .

من الأمثلة التي تبرز دور الوزن الخارج عن اللفظ الوقفة الضرورية التي ينبغي التزامها في بعض الأبيات ليستقيم الوزن وبخاصة في بحري المديد والمنسرح . ولعل النموذج الذي يوضح الوقفة أو السكته القصيدة المشهورة المنسوبة الى تأبط شرا ومنها البيتان :

إن بالشعب الذي دون سلع / لقتيلا دمه ما يطل

خلف العباء علي وولسى / أنا بالعباء له مستقل

فمنشد هذا الشعر يظطر الى الوقوف وقفة قصيرة بعد (الذي) وادمه (، وبعد (علي) و(له) في البيت الثاني فلنكي يستقيم الوزن (بحر المديد) — فاعلاتى فاعلن فاعلاتى ، لا بد من قراءة القصيدة قراءة تراعي مكان الوقوف القصير بين أجزائها والا تغير الوزن .

وعلى الرغم من اهمية القراءة المحرأة القائمة على احترام الوقفة التي تحقق وزن المديد فإن الوزن الخارج عن اللفظ لا يقتضي دائما على مافي بعض البحور من اضطراب موسيقى وتنافر إيقاعي ، كما هو الشأن في المضارع ، مثلا (مفاعلين فاعلاتن (21) .
فالملاحظ أن هذا البحر محل بمبدأ التناسب الذي يحكم بنية الشعر الإيقاعية . والتناسب هو الذي تندمج بموجبه التفعيلات في نسق شعري واحد .

ومن البحور التي تستدعي الوقفة لإقامة الوزن بحر المنسرح (مستفعلن مفعلات مستفعلن) . فهو يحتاج الى وقفتين تنظمان إيقاعه : الأولى بعد الوند المفروق الأول والثانية بعد الوند المفروق الثاني من : مفعلات .

فالوزن الخارج عن اللفظ ضروري هنا ، للقضاء على اضطراب هذا البحر ، والوقفة هي السبيل للمحافظة له على إيقاعه الموسيقي في أثناء الإنشاد وعلى التغلب على ما فيه من تفكك . وهذا ما كان يفعله القدماء عند ما ينشدون الأشعار التي قيلت فيه ومنها قصائد أبي نواس (نظم فيه بنسبة 5 ، 8 %)

والبحتري : نسبة مانظم فيه 5 ، 3 % ، والمتنبي 5 ، 6 % من مجموع شعره .

وهناك ، فضلا عن المديد والمنسرح والمضارع ، المقتضب (مفعلات مستفعلن) (22)

الذي يتطلب ، هو الآخر وقفة تنظم وزنه وتضبط إيقاعه ، وتحافظ على سلامة تفعيلته .

ومن هذه الأمثلة يتبدى أن الوزن لا يتكون في حقيقة أمره من إيقاعات التفعيلات بل من انتظامها في نسق واحد ، فالعلاقة بين التفاعيل وانتظامها في نسق موحد هي أساس الوزن .

وما دنا بصدد الحديث عن الوقفة في الشعر ، فلا بأس من الإشارة الى التشابه بينها وبين الوقف في القرآن الكريم وما يحققه من انسجام دلالي وموسيقي ، مع ضرورة اعتبار مايفرق بينهما من خصوصيات في مقدمتها كون القراءة القرآنية سنة متبعة تحدد طبيعة الوقف وأصنافه ، ومواطنه ، في النص المقدس .

ومن المعروف أنك لاتقف على حرف ، متحركا كان أو ساكنا إلا أ سكتته في اللفظ وإن كان قد يتحرك في الإدراج (الواصل) ، وإنما منع الحركة أن تدخل مع الوقف لأنها لطفت ، فجفا اللسان عنها في الوقف كما في الساكن أن يبدأ به . ومن العرب من يرومون في الوقف ويشمون (23) ، فعلامة الروم بحركة: واو وعلامة الإشهام: ميم: المثال: (هذا خالد — إشمام ، هذا خال — روم) .

تظهر أهمية الوزن الخارج عن اللفظ في عدد من البحور وتتجلى قيمته الإيقاعية في ظواهر إيقاعية منها ، على سبيل المثال الحزم والخزم (من علل النقص والزيادة الزحافية) -الأول هو سقوط حرف متحرك من أول البيت ، ولا يحدث إلا في الأبيات التي تبدأ بوتر ، بمعنى أنه يكون في أبيات الطويل والوافر والمتقارب والهجج .
-والثاني زيادة حرف أو أكثر في أول البيت ، وهو في الغالب زيادة حرف واحد في مطلع المقطوعة أو القصيدة .

- الخزم : طرح أول الوتر المجموع من الشطر الأول : مفاعيلن : فاعلين مفاعلتن : فاعلتن .

- الخزم : زيادة حرف على الصدر والعجز (أو حروف) :
(يمكن زيادة حرف الى ثمانية أحرف في البيت الواحد) ويعد شعر الفرزدق نموذجا واضحا للشعر الذي يكثر فيه الخزم لأنه شعر خطابي يعتمد الفخر والتباهي ، ومنه قوله :

ويل لفلح والملاح وأهلها / إذا جاب دينار صفاها وفرقد

البيت من الطويل والوزن الخارج عن اللفظ هو الذي ضمن البيت وحدته لإيقاعية، على الرغم من اختلاف الوزن بين شطري البيت : السياق والإلقاء هما اللذان يحددان موسيقى المفردة الشعرية . ومن نماذج الخزم في الشعر القديم البيت الذي أقوى فيه النابغة الذبياني :
أمن آل مية رائح أو مغيده / عجلاته ذا زاد وغير مزود
زعم البوارح أن رحلتنا غدا / ونبداك خبرنا الغراب الأسود *

فشطر البيت الأول (أمن آل) أقرب الى الطويل منه الى الكامل والشرط الثاني (عجلان
ذا) من الكامل ، وهذا الأرجوز في الشعر القديم الذي بني على مبدأ وحدة الوزن والقافية.
وإنشاد الشعر هو الذي يجبر الخلل ويجعل الوزن مستقيماً. وهنا يتجلى، مرة أخرى،
دور الوزن الخارج عن اللفظ ويتمثل هنا في تحريك الميم وصل النون بالألف في (أمن آل)
فتقرأ (أ منال) ويصبح الشطران من الكامل .

والشيء نفسه ينطبق على بيت بشر بن أبي حارم :
" أمن الأحلام إذا أهلي نيام " وهو من الرمل . والجزء المتبقي من البيت من الوافر . فلكي
يستقيم الوزن ينبغي وصل الميم باللام وتسكين اللام — (أمل أحلام) .
ومن تلك النماذج أيضاً قول المتنبي (من الخفيف) :

ولو أن الحياة تبقى لسي / لعددا أضلنا الشجعان

فالوزن المستقيم يقضي أن نحرك الواو الثانية ونصلها بالنون — (ولو نن) .
ومصطلح الوصل شديد الصلة بمصطلحات متداولة في القراءة القرآنية .
وهذه الظواهر الإيقاعية تذكر بأحكام التجويد وعلى الخصوص أحكام النون الساكنة
والتنوين والميم الساكنة في القرآن الكريم : من إظهار وإقلاب وإخفاء وإدغام .
- الإقلاب : قلب النون الساكنة أو التنوين مما يتلوها حرف الباء مع بقاء الغنة كما
في : (لينبذن) تقرأ : ليمبذن .

(آيات بينات) تقرأ: آيات تبيينات .

- إدغام الميم الساكنة : " علم أن سيكون منك مرضى " ، وذلك إذا وقع بعدها حرف

ميم آخر تدغم الأولى في الثانية : إدغام متماتلين : لهم مثلا لكم ما كسبتم

- ومسألة المد في القرآن الكريم ، دليل آخر على ثراء الجانب الإيقاعي في اللغة والشعر

العريين ، وعلى أن الوزن الخارج عن اللفظ يشمل الشعر والقرآن معا .

وهو أظهر ما يكون في الكتاب المبين وبخاصة في قراءة ورش ، والأمثلة على ذلك كثيرة جدا .

من كل ماسبق نستخلص أن العربية غنية في مجال الإيقاع ببحور الشعر المستعملة

والمهملة وبفضل التغييرات التي تلحق الأوزان من جراء ما يعترضها من زحافات وعلل .

ونستنتج كذلك أن مصطلح الإيقاع ، وهو مفهوم كبير وواسع تندرج تحته عدة

مصطلحات فرعية منها الوزن والوزن الخارج عن اللفظ والحشو والاستدعاء تحول الى

علم مستقل له قوانينه ومجاله الخاص ومصطلحاته المميزة ، لا يتصل بالشعر والموسيقى فحسب

وإنما يشمل مجالات الحياة المختلفة ويعبر عما يتخللها من وقع ونظام وانتظام وما تقوم عليه

من قوانين وانسجام وانضباط مادي ومعنوي .

وهو ، في نطاق الأدب والشعر تحديدا ، يستقطب اهتمام المتلقي على مستوى الكتابة والتلقي

ويعد إنشاد الشعر ، ممثلا في الوزن الخارج عن اللفظ ، أبرز مظهر من مظاهره في الإبداع

الأدبي ، المجال الذي تفوق فيه العرب تفوقا كبيرا .

الهوامش:

1 - فجر الإسلام لأحمد أمين ص 45 ط 10 . مكتبة النهضة المصرية 1965 .

2 - النقد الجمالي وأثره في النقد العربي . روز غريب ص 132 . ط 1 / 1952 دار العلم للملايين بيروت .

3 - حركية الإبداع ص 111

4 - الشعر العربي المعاصر ص 64 ط 2 / 1972

- 5 - نفسه 52 .
- 6- نفسه 66 .
- 7- موسيقى الشعر العربي ص 108 .
- 8- مجلة شعر القاهرية أبريل 1976 .
- 9- شعر التفعلية والتراث ص 35 .
- 10- قضية الشعر الجديد ص 238 وما بعدها .
- 11- نفسه 235 .
- 12 - المعيار في أوزان الأشعار 15 - 16 .
- 13 - أنكر أحمد محمد عبد الدائم عبد الله أن يكون الأخفش قد استدرك المتدارك على الخليل: كتاب العروض للأخفش ص 97 .
- 14 هلال ناجي في كتابه : بحوث في النقد التراثي ص 187 .
- 15 عز الدين إسماعيل في كتابه : الشعر العربي المعاصر ص 66 .
- وأبو القاسم علي بن جعفر السعدي المعروف بابن القطاع الصقلي (433 585هـ) هو الذي جمع الأبنية المهمة : 27 بناء
- 16 العمدة 69/2 وما بعدها والبديع في نقد الشعر 54.55 والصناعيتين : 113 114 .
- 17 راجع العمدة 72/2 73 .
- 18 البيت لبن محلم ، منة السريع . ومثله قول زهير :
- سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش / ثمانين حولا لأبالك يسأم .
- 19 راجع العمدة 71/2 72 73 . الصناعيتين 113 نقد الشعر 221. البديع في نقد الشعر
- 54 55 56 ومنه باب الطاعة والعصيان ص 175 176 : بيت المتنبي : يرد يدا عن ثوبها وهو قادر / ويعصى الهوى في طيفها وهو راقد .
- 20 الوزن الخارج عن اللفظ في الشعر العربي . أبو فراس النطائي أبحاث اليرموك ص 11 .
- 21 يأتي هذا البحر على (مفاعيلن فاعلاتن مفاعيلن) لكن العرب استعملته مجزؤا ، وكذلك المقتضب .

22 - أصله : " مفعولات مستفعلن مستفعلن . "

23 - كتاب العروض للأخفش ص 117 118 .

وإشمام الحرف أن تشمه الضمة أو الكسرة . وهو أقل من روم الحركة ، لأنه لا يسمع وإنما تبين بحركة الشفة ولا يعتد بها لضعفها . والحرف الذي فيه إشمام ساكن أو كالساكن .
* ديوان النابغة : محمد أبو الفضل إبراهيم ص 89 برواية أخرى .

المعجم والقاموس: دراسة تطبيقية في علم المصطلح

ذ. علي القاسمي
الإيسيسكو/الرباط

100- المشكلة:

يسعى علم المصطلح الحديث إلى تخصيص مصطلح واحد للمفهوم الواحد في الحقل العلمي الواحد، بحيث لا يعبر المصطلح الواحد عن أكثر من مفهوم واحد، ولا يعبر عن المفهوم الواحد بأكثر من مصطلح واحد. وهذا يتطلب التخلص من الاشتراك اللفظي والترادف في المصطلحات.

ولما كان كثير من المثقفين الناطقين باللغة العربية يستخدمون لفظي (معجم) و(قاموس) بوصفهما مترادفتين، فإن بعض اللسانيين العرب، من لغويين ومعجميين ومصطلحيين، حاولوا الاستفادة من تخصيص هذين المترادفين للتعبير عن ثنائيات مفهومية تكاثرت بفضل النمو المطرد في البحث اللساني الحديث.

وهكذا ارتأى بعضهم الاستفادة من هاتين اللفظتين للتفريق بين المفهوم 1 (مجموع المفردات المفترض للغة) والمفهوم 2 (مجموع المفردات المختارة التي يضمها كتاب مع معلومات لغوية أو معرفية عنها)، فخصوا المفهوم 1 بلفظ (المعجم) والمفهوم 2 بلفظ (قاموس). وذهب بعضهم الآخر إلى أن كلمة (معجم) ينبغي أن تطلق على (المخزون المفرداتي الذي يمثل جزءاً من قدرة المتكلم/المستمع اللغوية) في مقابل (قاموس) التي يجب أن تطلق على (المجموع المفرداتي في كتاب).

ومن ناحية أخرى فإن مبدأ الاقتصاد في اللغة شجع بعض المصطلحيين على تفضيل المصطلح البسيط المؤلف من لفظ واحد على المصطلح المركب المكون من لفظين أو أكثر. ومن هنا نحوا إلى تخصيص لفظ (القاموس) للدلالة على نوع معين من المعاجم هو (المعجم الأحادي اللغة) والاحتفاظ بلفظ (المعجم) للتعبير عن نوع آخر هو(المعجم الثنائي اللغة)، على غرار تواضع المترجمين على إطلاق لفظ (المترجم) على (المترجم التحريري) ولفظ مرادفه (الترجمان) على (المترجم الشفوي الفوري).

ونظراً لأن المفاهيم اللسانية تتكاثر بتقدم البحث العلمي وأن المعاجم تتنوع بتعدد الحاجات المعرفية للإنسان، فإننا لا نستبعد أن يلجأ لسانيون عرب آخرون إلى استخدام كلمتي (معجم) و (قاموس) للتعبير عن مفاهيم لغوية جديدة أو أنواع مختلفة من المعاجم.

إن تخصيص مترادفين للتعبير عن مفهومين مختلفين محاولة مشروعة وأمر محمود يؤدي إلى التقليل من الترادف ويسهم في تيسير عملية التواصل بين المتخاطبين. ولكي يكون هذا التخصيص مؤدياً للغرض مفيداً ينبغي أن لا يتعارض مع الاستعمال الساري وأن يحظى بقبول الناطقين باللغة حتى ينال مرتبة الشيوخ. أما إذا اقتصر أمره على فئة محدودة تخالف المتفق عليه بين الجمهور، فإن تلك المحاولات قد تؤدي إلى عكس ما تتوخاه وتنتج عنها ازدواجية مصطلحية، تعيق حركة انتقال المعرفة وتضر بالتواصل بين أبناء الأمة الواحدة.

200 — المعجم

كلمة (المعجم) — في المعاجم التراثية — مشتقة من مادة (ع ج م)، و(العجمة) هي عدم الفصاحة وعدم البيان، و(الأعجم) هو الذي لا يفصح ولا يبين، و(أعجم الكلام) جعله مشكلاً لا بيان له، أو أتى به أعجمياً فيه لحن، وعادة ما يؤخذ الشاهد على ذلك من قول رؤبة أو الخطيئة:

الشعر صعب وطويل سلمه

إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلت به إلى الحضيض قدمه

يريد أن يعربه فيعجمه

وفي "لسان العرب" : " أعجمت الحرف: بينته بوضع النقط السوداء عليه... وأعجم الكتاب: نقطه وأزال استعجابه على سبيل السلب، لأن صيغة (أفعل) الأصل فيها الإثبات، وقد تأتي للسلب."

وقد استخدمت كلمة (معجم) في وقت متأخر للدلالة على كتاب ترتب فيه المعلومات بطريقة معينة، من قبل علماء الحديث أولاً، قبل أن يستخدمها علماء اللغة. ويجمع لفظ (معجم) على معاجم ومعجمات.

210 - تسمية المعاجم في التراث العربي

من الناحية التاريخية، مر المعجم العربي في تطوره بمراحل متعددة حتى بلغ ما هو عليه الآن. ولم يطلق عليه اسم (معجم) في جميع تلك المراحل. فقد بدأت المعجمية العربية انطلاقاً من عناية المسلمين بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وحرصهم على فهمها والوقوف على غريبتها. والمقصود بغريب القرآن أو غريب الحديث اللفظ الغامض البعيد عن الفهم "كما أن الغريب من الناس إنما هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأهل." (أحمد الشرقاوي إقبال، 1987: 7) وكان أول كتاب في غريب القرآن لعبد الله بن عباس بن عبد المطلب، الملقب ببحر الأمة وترجمان القرآن المتوفي سنة 68 هـ ثم تعددت الكتب التي تحمل عنوان (غريب القرآن) و (غريب الحديث) (المصدر السابق نفسه). وفي هذه المرحلة لم تستخدم كلمة (معجم) لوصف تلك الأعمال المعجمية.

وفي المرحلة الثانية أخذ علماء اللغة يشدون الرحال إلى البادية لمشاهدة الأعراب وجمع المادة المعجمية من مصادرها الأصلية وتدوينها ثم تصنيفها تصنيفاً موضوعياً وإصدارها في رسائل صغيرة تضم المفردات المتعلقة بخلق الإنسان وخلق الحيوان والنبات والحرب والأسلحة. وكانت تلك الرسائل تحمل عنوان (كتاب) مثل (كتاب الخيل) و (كتاب الإبل) و (كتاب الشاء) و (كتاب الحشرات) و (كتاب الطير). وهي بمثابة معاجم مختصة يصنفها عدد غير قليل من أئمة اللغة في ذلك العصر مثل كالكسائي (ت 200هـ) والنضر بن شميل (ت 204هـ) وقطرب (ت 206) وأبي عبيدة (ت 210) والأصمعي (ت 216) (جواد

حسني عبد الرحيم:1999:381). ولم تحمل معاجم الموضوعات تلك كلمة (معجم) في عناوينها وإنما (كتاب)، كما ذكرنا.

وتسم المرحلة الثالثة بظهور المعاجم العامة المتكاملة وتؤرخ عادة ب (كتاب العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي (100—175هـ) وكتاب (الجيم) لأبي عمر الشيباني (ت 206 هـ) و(البارع في اللغة) لأبي طالب المفضل الضبي (ت 290هـ)، و(جمهرة اللغة) لابن دريد (ت 321هـ)، و(البارع في اللغة) لأبي علي القالي (ت 356هـ)، و(تهذيب اللغة) لأبي منصور الأزهري (ت 370هـ). وفي هذه المرحلة وما تلاها من مراحل تطور المعجم العربي نجد أن المعجميين العرب يفضلون إطلاق اسم علم على معاجمهم مثل (المحيط) و (المحكم) و (العباب) و(القاموس). ولا نجد كلمة (معجم) في عناوين مثل هذه التصانيف إلا في أواخر القرن الرابع الهجري في (المعجم في بقية الأشياء) لأبي هلال العسكري وفي أواخر القرن الخامس الهجري في (معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع) لأبي عبيد البكري، وكلاهما معجم مختص.

وقد استمر هذا التقليد في إعطاء المؤلفين اسم علم لمعجمهم حتى النهضة العربية الحديثة، فأصدر بطرس البستاني (1819 — 1883) معجمه (محيط المحيط) ومختصره معجم (قطر المحيط)، ونشر لويس معلوف (1846— 1946) معجمه (المنجد)، وحملت معاجم ثنائية اللغة أسماء مثل (المورد) و (المنهل) وما إلى ذلك. ثم أخذ عدد من المؤسسات الثقافية يستخدم كلمة (معجم) في عناوين أعمالها المعجمية. وفي طليعة هذه المؤسسات بجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي نشر (المعجم الوسيط) عام 1960/ 60 ، ومؤسسة لاروس التي أصدرت (المعجم العربي الحديث) عام 1987 ، والمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة التي نشرت (المعجم العربي الأساسي) عام 1989. إضافة إلى أن كثيرا من المؤلفين أخذوا يستعملون كلمة (معجم) في عناوين مؤلفاتهم المعجمية.

في نطاق إطلاق نعوت الماء والبحر على التصانيف المعجمية كالعباب والمحيط اتخذ
مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817 هـ) اسم (القاموس المحيط) عنواناً
لمعجمه.

ويخبرنا الفيروزآبادي في معجمه المذكور أن كلمة (قاموس) تعني "معظم ماء
البحر". و(القاموس) مشتق من مادة (ق م س). وفي (لسان العرب) لابن منظور: قمس في
الماء يقمس قموساً: انغط ثم ارتفع، وقمسه فانقمس أي غمسه فيه فانغمس، يتعدى ولا
يتعدى، والقاموس والقومس: قعر البحر، وفي الحديث الشريف: "قال قولاً بلغ به قاموس
البحر" أي قعره الأقصى. وقيل القاموس: معظم ماء البحر أو وسطه.

وبعد صدور (القاموس المحيط) بفترة وجيزة انتشر انتشاراً واسعاً، وذلك لأن صاحبه
جمع فيه محاسن أفضل المعاجم التي سبقتة كالحكم لابن سيده والعباب للصاغاني، وجعله في
حجم يسهل استنساخه وتداوله وحمله، "فطار صيته في كل مكان وشاع ذكره على كل
لسان"، كما يقولون، و"اشتهر في المدارس اشتهار أبي دلف بين محتضره وبأديه، وخف على
المدرسين أمره إذا تناولوه، وقرب عليهم مأخذه فتداولوه وتناقلوه كما يقول عنه مرتضى
الزبيدي في مقدمة معجمه (تاج العروس من جواهر القاموس) الذي — كما هو ظاهر من
عنوانه — يتخذ من معجم القاموس منطلقاً له، وهذا شأن كثير من المعاجم اللاحقة التي
جعلت من (القاموس) أساساً لها مثل معجم (محيط المحيط) لبطرس البستاني (1819—1883).
كل هذه الأسباب جعلت الناس يطلقون كلمة (قاموس) على أي معجم آخر من باب إطلاق
اسم أحد أفراد النوع على النوع كله، أو ما يسميه الدكتور إبراهيم أنيس بـ "تعميم الدلالة
(إبراهيم أنيس، 1976: 154)

ويرى الدكتور عباس الصوري، الذي كان من أوائل الذين درسوا مشكلة تسمية
(المعجم والقاموس)، أن هذه الظاهرة كادت أن تتكرر بعد صدور معجم (المنجد) للويس
معلوف وانتشاره واشتهاره، فيقول: "أضحى هذا المعجم ظاهرة العصر بحيث نجد في مكتبة
الأديب والباحث والمدرس والتلميذ في أحجام كبيرة ومتوسطة وصغيرة، ولاتساع نطاق

شهرته بين متعلمي اللغة العربية غطى اسمه على بقية المعاجم الأخرى إلى حد اختلط الأمر على الطلاب فأصبحوا يستعملون لفظة (المنجد) للدلالة على معنى القاموس... " (عباس الصوري، 1998: 16).

وعلى الرغم من أن بعض اللغويين المتشددين يعتبرون استعمال كلمة (قاموس) بمعنى (معجم) نوعاً من الخطأ الشائع، كما يرى الدكتور إبراهيم السامرائي، فإن هذا لا ينبغي أن كلمة (قاموس) أصبحت مرادفة لكلمة (معجم) في اللغة العربية الفصيحة المعاصرة، ودخلت في (المعجم الوسيط) لمجمع اللغة العربية في القاهرة وفي (المعجم العربي الأساسي) للمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة (عباس الصوري، 1998 : 9)

400 — المعجم والقاموس

إذن تستخدم لفظنا (معجم) و(قاموس) في اللغة العربية المعاصرة بوصفهما مترادفتين، أحببنا ذلك أم كرهننا. والترادف في اللغة، إن وجد حقاً، ينبوع ثر تهنؤ إليه أفئدة الأدباء، من شعراء وكتاب، لإغناء نصوصهم بمفردات متنوعة. ولكن المصطلحيين وأصحاب الاختصاص يجبدون، كما أشرنا من قبل، أن يختص المفهوم العلمي الواحد بمصطلح واحد لتكون نصوصهم ذات دلالة دقيقة مضبوطة. وهكذا فهم يميلون إلى التخلص من الترادف والاشترك اللفظي للتخلص من أي تشويش دلالي محتمل.

ومن الأمثلة على ذلك اللفظان المترادفان (مترجم) و(ترجمان) اللذان يطلقان على من قوم بنقل النصوص من لغة إلى أخرى. وعندما ازداد التواصل الإنساني بفضل الثورة الصناعية وتطور وسائل النقل في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وتفاقت الحاجة إلى المترجم الشفوي الفوري في الملتقيات والمؤتمرات الدولية، وطورت الصناعة أجهزة كهربائية لتيسير عمل المترجمين الفوريين، وأخذت معاهد تعليم الترجمة توزع طلابها على تخصصين مختلفين هما الترجمة التحريرية والترجمة الشفوية الفورية، اشتدت الحاجة إلى مصطلحين مختلفين للدلالة على هذين النوعين المتباينين من المترجمين. وعند ذاك لجأ أصحاب المهنة إلى الاستفادة من الترادف الموجود في اللغة العربية فاصطلحوا على إطلاق لفظ (المترجم) على المترجم

التحريري وإطلاق لفظ (ترجمان) على المترجم الشفوي الفوري. وكان لهم سند في تراث العرب اللغوي مستمدا من قول النابغة الذبياني:

إن الثمانين، وقد بلغتها . قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

410 — مفردات الأمة ومفردات الكتاب:

عرف علم اللغة انطلاقة جديدة في أواخر القرن التاسع عشر وازدهر أواسط القرن العشرين. وقادت البحوث اللغوية الحديثة إلى ظهور عدد من المفاهيم الحديثة. وقد فرق بعض هذه البحوث بين مفهومين: الأول "المجموع المفترض واللامحدود من الألفاظ التي تملكها جماعة لغوية معينة بكامل أفرادها" وهو ما اصطاح اللسانيون على تسميته بالإنجليزية Lexicon وبالفرنسية lexique. والمفهوم الثاني هو "مجموعة من الألفاظ المختارة المرتبة في كتاب ترتيبا معينا مع معلومات لغوية أو موسوعية عنها" وهو ما اصطاح عليه بالإنجليزية Dictionary وبالفرنسية dictionnaire.

وعندما واجه اللغويون العرب المعاصرون هذا الفرق بين المفهومين، ارتأى بعضهم الاستفادة من اللفظين المترادفين (معجم) و (قاموس) فخص المفهوم الأول بكلمة (معجم) وترك كلمة (قاموس) للمفهوم الثاني.

وفي واقع الأمر كان علماء اللغة العرب القدامى يدركون الفرق بين المفهومين. وكانت همتهم العالية تحذوهم إلى محاولة تصنيف معجم يلم لا بجميع المفردات الموجودة في اللغة العربية فحسب، وإنما بجميع المفردات الممكنة الوجود كذلك. وقد تجلت هذه المحاولة في البرنامج الطموح الذي صممه أبو المعجمية العربية الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه الموسوم بـ "كتاب العين"، وذلك باتباع طريقة تقليبات الجذور لتحديد المواد المستعملة والمهملة وغير الممكنة الوجود لأسباب صوتية وغيرها. وهذا معنى قول الخليل في مقدمة المعجم إنه أراد أن يصنف كتابا يكون "مدار كلام العرب وألفاظهم، لا يخرج منها عنه شيء." (الخليل، 1980: 18).

ومن اللسانيين العرب الذين يستعملون (معجم) و (قاموس). بمعنيين مختلفين الدكتور عبد العلي الودغيري الذي يستخدم كلمة معجم للدلالة على "المجموع المفترض (أي الموجود بالقوة لا الفعل) واللامحدود من الوحدات المعجمية التي تمتلكها جماعة لغوية معينة بكامل أفرادها، أو يمكن أن تمتلكها احتمال، بفعل القدرة التوليدية الهائلة للغة." وهكذا فمعجم مقابل lexique. ويستعمل كلمة (قاموس) للتعبير عن كل كتاب "يجمع بين دفتيه قائمة تطول أو تقصر من الوحدات المعجمية (المدخل) التي تحقق وجودها بالفعل في لسان من الألسنة، ويخضعها لترتيب وشرح معينين." (الودغيري، 1989: 130)

ويلاحظ أن هذا الاستعمال مغاير لاستعمال الجمهور، كما سترى فيما بعد. ويتبنى الدكتور عبد القادر الفهري موقفا مماثلا في كتابه "المعجم العربي" فيقول ما نصه: "إن معرفة مجموع مفردات اللغة، أو معجمها، تقتضي الإحاطة بعدد هائل من المعلومات عن هذه المفردات، وضمنها خصائصها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية والبلاغية."

ويواصل كلامه في نفس النص فيقول: "وقد قامت في الحضارات المختلفة صناعة قاموسية (أو معجمية) تتوخى وصف هذه المعرفة في جوانب ومستويات محددة بحسب الأهداف التي يوضع لها المؤلف القاموسي." (الفاسي الفهري، 1986: 13-14)

ويلاحظ في الفقرة الأولى أن الكاتب يستخدم عبارة "معجم اللغة" بمعنى Lexicon, lexique ويميل في الفقرة الثانية إلى استخدام "قاموس" بمعنى Dictionary, dictionnaire ، ولكنه يستعمل في الوقت نفسه لفظ (معجم) مرادفا لـ (قاموس). وهذا لا يخالف صراحة الاستعمال الشائع للفظين.

ويسير على نهج الدكتور الودغيري أحد تلامذته، السيد عبد الله ولد عبد المالك، الذي أعد بحثا لنيل دبلوم الدراسات العليا في جامعة محمد الخامس أوضح في بدايته أنه سيستخدم كلمة (معجم) مقابلا للكلمة الفرنسية lexique ولكلمة (قاموس) مقابلا للكلمة الفرنسية dictionnaire. (عبد المالك، 1999: 5). ولكن بعد أسبوع واحد من مناقشة ذلك البحث، نوقشت في القاعة ذاتها رسالة دكتوراه دولة قدمها الباحث جواد حسني عبد الرحيم

سماعة بعنوان المصطلحية بين القديم والحديث" استخدم فيها كلمتي (معجم) و(قاموس) بوصفهما مترادفين (سماعة، 1999). وهذا التناقض في الاستعمال في مؤسسة واحدة يبين أهمية البحث في هذه التسمية بصورة موضوعية.

420: مفردات الفرد ومفردات الكتاب:

ومن ناحية أخرى اتجهت بعض البحوث اللغوية الحديثة إلى التمييز بين مجموع المفردات الموجودة في معجم من المعاجم وبين الثروة اللفظية لفرد من الأفراد. ومعلوم أن رصيد الفرد الواحد من المفردات يقل بكثير عن مفردات معجم متوسط مهما كانت ثقافة ذلك الفرد، كما تقل مجموع مداخل المعجم مهما كان كبيرا عن مجموع المفردات المفترض الذي تمتلكه الجماعة اللغوية.

وهنا لجأ بعض اللغويين العرب إلى المترادفتين (معجم) و(قاموس) لاستخدامهما للتعبير عن مفهومين مختلفين، كما فعل الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري في إحدى دراساته حيث خصص لفظ (المعجم) للدلالة على "المخزون المفرداتي الذي يمثل جزءا من قدرة المتكلم/المستمع اللغوية" وجعل لفظ (القاموس) يدل على "لائحة المفردات ومعانيها التي يضمها كتاب." (الفاسي الفهري، 1985: 73)

430- المعجم الأحادي اللغة والمعجم الثنائي اللغة

إذا كانت المحاولات السابقة في تخصيص (معجم) و (قاموس) تستند إلى المبدأ المصطلحي القاضي بالتخلص من الاشتراك اللفظي، فإن محاولات أخرى تناولت هاتين الكلمتين كانت تطبيقا لمبدأ مصطلحي آخر هو الاقتصاد في اللغة ومفاده أن المصطلح الذي يتألف من لفظ واحد أفضل من المصطلح الذي يتكون من أكثر من لفظ واحد. ومبدأ الاقتصاد في اللغة يرمي إلى تيسير الاتصال.

ومن المحاولات في المجال المعجمي لاستعمال مصطلحات بسيطة (أو مؤلفة من لفظ واحد) بدلا من مصطلحات مركبة (أو مكونة من أكثر من لفظ واحد) تلك المحاولة التي أقدمت عليها اللسانية المغربية الدكتورة ليلي المسعودي للتفريق بين الأنواع المختلفة للمعاجم.

ويرمي تصنيفها إلى التفريق بين المعاجم الأحادية اللغة والمعاجم الثنائية اللغة أو المتعددة اللغات، وكذلك بين المعاجم التي تشتمل مداخلها على تعريفات وتلك المعاجم التي تشتمل مداخلها على مقابلات فقط. ويعتمد تصنيفها معايير عديدة هي: طريقة المعالجة، وخصائص المسرد، وخصائص المفرد، وخصائص التعريف، وعدد اللغات، والموقف اللساني، والبعد الزمني، والوظيفة. وترتب هذه المعايير في شكل جدول، وينتهي الأمر بها إلى تحديد أربعة أنواع من الأعمال المعجمية هي (1) القاموس (2) المعجم (3) المفظة (4) الملئنة.

وما يهمنا من هذا التصنيف استخدام الدكتورة السعودى للمتراءفئئ (معجم) و(قاموس). فقد خصصت لفظ (معجم) للدلالة على المعاجم المتعددة اللغات التي لا تشتمل على تعاريف، واستعملت لفظ (قاموس) للدلالة على المعجم الأحادي اللغة أو المتعدد اللغات الذي يشتمل على تعاريف. ففي تعليقها على جدول معايير تصنيفها تقول ما نصه: "وبين الجدول أن (المعجم) يكون متعدد اللغات في حين أن (القاموس) يمكن أن يكون أحادي اللغة أو متعدد اللغات، كما يتسم الأول بغياب التعاريف والاكتفاء بتقديم مجموعة من المصطلحات في شكل مقابلات معجمية تنبني على علائق التكافؤ القائم أو المفترض بين اللغة المصدر واللغة أو اللغات الهدف." (السعودى، 1998: 166)

وهذا الاستعمال مخالف لاستعمال الجمهور، كما سنرى فيما بعد.

500 — التراتيبية في المبادئ المصطلحية

510 — إن اجتهادات اللسانيين التي مر ذكرها والمتعلقة بإعادة تعريف لفظي (معجم) و(قاموس) للتعبير عن مفاهيم لسانية جديدة هي محاولات مشروعة بل مستحبة لثلاثة أسباب: الأول، إن ظهور مصطلحات جديدة تثرى اللغة كان دائما نتيجة اجتهادات من لدن الناطقين بتلك اللغة. ثانيا إن من حق الباحث، بل من واجبه أحيانا، أن يبدأ بتعريف المصطلحات التي يستخدمها في بحثه ليقف القارئ على دلالاتها بيسر. فالاصطلاح تواضع واتفاق وليس إلهاما ولا تزيلا، ولهذا قيل "لا مشاحة في الاصطلاح". وثالثا، إن تلك الاجتهادات كان دافعها تحقيق التماسك المصطلحي ودقة التعبير عن المفاهيم وذلك بتطبيق

مبدأ التخلص من الترادف والاشتراك اللفظي ومبدأ الاقتصاد في اللغة الذي يحث على تفضيل المصطلح المفرد على المصطلح المركب.

وعلى الرغم من أن تلك الاجتهادات تستند إلى مبادئ مصطلحية متفق عليها، فإنها تعارض في — رأينا — مع مبدأ مصطلحي آخر هو مبدأ الاستعمال والشيوع، الذي يشترط أن لا يتعارض المصطلح الجديد أو المفهوم الذي نخصه بمصطلح موجود مع ما هو مستعمل وشائع بين الناس أو بين المشتغلين في ذلك الحقل العلمي لئلا ينتج عن ذلك ازدواجية مصطلحية أو يتسبب في عرقلة عملية التواصل بين الناطقين بتلك اللغة. وقد يتساءل المرء عما يجب أن يفعله المصطلحي في حالة وجود تضارب أو تعارض بين مبدئين مصطلحيين أو أكثر. إن الحل المنطقي لهذا الإشكال يكمن — بلا شك — في ضرورة ترتيب تلك المبادئ طبقاً لأهميتها وتقديم الأهم على المهم.

ولا نغالي إذا قلنا إن مبدأ الاستعمال والشيوع هو من أهم المبادئ المصطلحية إن لم يكن أهمها، لأن الغاية من استعمال المصطلحات هي تحقيق التواصل وتيسيره وعدم تعرض الرسالة إلى أي تشويش أو ضوضاء. وقد يحصل ذلك التشويش أو تلك الضوضاء من اختلاف المرسل والمتلقي في فهم مدلولات الرسالة. وقد يتحول هذا الاختلاف بينهما إلى خلاف (د. عز الدين البوشيخي، 1998: 22-27)

وهذا ما عبر عنه الدكتور مصطفى غلفان، في معرض نقده للمعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، بقوله: "إن المفروض في معجم رسمي أن يدرس كل المصطلحات وأن يختار الشائع منها ليتم تعميمها وتوحيد اللسانيين العرب حول استعمالها، فهدف كل عمل اصطلاحى هو التوحيد أولاً والابتكار ثانياً... كنا نريد لهذا المعجم أن يكون أساساً معجماً موحداً، بيد أننا وجدناه يضيف متاعب أخرى للقارئ العربي من خلال اقتراحه مصطلحات لسانية جديدة مكان مصطلحات شاعت عربياً." (د. مصطفى غلفان، 1998: 149)

إن باب الاجتهاد في وضع المصطلحات أو إضفاء مفاهيم جديدة عليها مفتوح على مصراعيه، فاجتهاد اللغويين أو إبداع الشعراء والأدباء غالباً ما يؤدي إلى إثراء اللغة بمفردات وتعبيرات جديدة، ولكن يشترط أن تتوفر لهذا الاجتهاد الشروط اللازمة. وقد عني علماء

المنطق والأصوليون كذلك بهذه الشروط. وفي هذا يؤكد عالم المنطق الدكتور طه عبد الرحمن أن المراد بالاصطلاح هو إطلاق اللفظ على المعنى، ويكون هذا الإطلاق باتفاق أفراد الجماعة أو "من فعل فرد واحد بأن يباشر من تلقاء نفسه هذا التخصيص لغرض تبليغي معين، وحق هذا الإطلاق الفردي أن يقبل التعدي إلى الغير. ويتعدى إطلاق اللفظ على المعنى إلى الغير متى كانت الاعتبارات البيانية التي أخذ بها الواضع الأول لهذا اللفظ تفضي بغيره متى أخذ بها إلى أن يضع نفس اللفظ لنفس المعنى." (د. طه عبد الرحمن، 1999: 69)

وعلى الرغم من أن الجاز هو أهم وسائل إثراء المصطلحات وتميئتها، فإن نزع مصطلح من منظومة مفهومية ذات مرجعية معينة وإطلاقه على مفهوم ينتمي إلى منظومة مفهومية مشابهة تعتمد مرجعية مختلفة قد يؤدي إلى تعقيدات غير متوقعة. فـ (المعجم) في الاستعمال الشائع مصطلح ينتمي إلى مدرسة التراث اللساني العربي التي لها مرجعياتها الخاصة ومحاولة تخصيصه لمفهوم نابع من مدرسة لسانية غربية ذات مرجعيات مختلفة قد تسبب الإرباك، ويغدو تجنب صعوبة البحث الجاد عن مصطلح ملائم واللجوء إلى سهولة استعمال مصطلح موجود مجازاً هو الصعوبة بعينها. وفي هذا يقول الدكتور فريد الأنصاري: " إن التحديد المصطلحي وإعمال مصطلحات التراث، لن يتم أبداً بتجاوز مرجعياتها، بل ذلك هو ما سيؤدي إلى موتها وهلاكها؛ لأن مرجعية المصطلح هي قلبه النابض الذي به يعيش، وإنما التحديد والإعمال رهين مواصلة البحث العلمي الجاد الذي يضيف إلى التراث ولا ينقصه." (د. فريد الأنصاري، 2000: 26)

وفي الوقت الذي يؤكد فيه الدكتور عبد العلي الودغيري ضرورة الاهتمام بكل ما يطرأ على دلالات الألفاظ من تحول وتطور فإنه يضع شرطاً هاماً لذلك حين يقول: " على أن يكون المعيار هو كثرة الاستعمال. أما ما لم يشع ولم يكثر استعماله وتداوله فظل أمره مقصوراً على كاتب بعينه أو شاعر بذاته أو متكلم وحيد من متكلمي اللغة، فهو ما ينبغي إهماله وعدم الالتفات إليه." (د. الودغيري، 1989 : 223-224). ونحن نتفق مع الصديق الدكتور الودغيري تمام الاتفاق، ولهذا فإننا سنلجأ إلى استقراء الاستعمال الشائع لمعاني (المعجم) و (القاموس).

520— (المعجم) و(القاموس) في الاستعمال المعاصر

لمعرفة الاستعمال العربي المعاصر للفظي (معجم) و(قاموس) لا بد من دراسة إحصائية موضوعية. وهذا يتطلب الرجوع إلى جميع المعاجم والقواميس المتداولة في الوطن العربي للوقوف على كيفية استعمال مؤلفيها — وهم عادة من المتضلعين في اللغة — لهاتين اللفظتين. وما يسر هذه المهمة الإحصائية وجود بليوغرافيا للمعاجم بعنوان "المراجع المعجمية العربية" (الثبيتي، 1989). وعلى الرغم من أن عمر هذه البليوغرافيا ينيف على الأحد عشر عاما فإنها تعطينا فكرة تقريبية عن الاستعمال المعاصر للفظي (معجم) و(قاموس). وبعد القيام بالإحصائية المطلوبة، تمكنا من تلخيصها (مع نسب مئوية تقريبية) في

الجدول التالي تيسيرا لإطلاع القارئ على نتائجها:

نوع العمل المعجمي	المجموع	ما يحمل اسم (معجم)	ما يحمل اسم (قاموس)	ما لا يحمل أيا من الاسمين
1. المعاجم والموسوعات الأحادية اللغة	122	17 %13	3 %2	102 %83
2. المعاجم والموسوعات الثنائية ومتعددة اللغات	147	18 %12	73 %49	56 %38
3. المعاجم والموسوعات وقوائم المصطلحات المتخصصة	966	327 %33	186 %19	453 %46
المجموع العام	1235	362 %29	262 %21	611 %49

وبعد تدقيق النظر في هذه الإحصائية نستطيع الخروج بالملاحظات التالية:

1) شملت الإحصائية كاملة 1235 عملا معجميا، 362 منها (أي 29 %) تحمل في عنوانها لفظ (معجم)، و 262 منها (أي 21%) تحمل في عنوانها لفظ (قاموس). وإذا ما علمنا أن معظم البقية الباقية من هذه الأعمال المعجمية وعددها (610) ليست كتباً منشورة، وإنما مجرد مجموعات مصطلحية في حقل من الحقول العلمية نشرت في أعداد مجلة (اللسان العربي) التي تعنى بنشر المقابلات العربية التي يضعها

الأساتذة والباحثون للمصطلحات الإنجليزية والفرنسية، وتحمل عناوين مثل (اصطلاحات الكيمياء الحيوية) أو (مصطلحات الفيزياء النووية)، أدركنا السبب في عدم استعمال اسم (معجم) أو (قاموس) فيها.

وهكذا، فمن بين 624 عملا معجميا يحمل أحد الاسمين، نجد أن 362 منها (أي بنسبة 58 %) يحمل اسم (معجم) و 262 منها (أي بنسبة 30 %) يحمل اسم (قاموس).

نستنتج من ذلك أن لفظي (معجم) و (قاموس) مترادفان في الاستعمال الشائع، وأن مصنفي الأعمال المعجمية يفضلون إطلاق اسم (معجم) عليها. ولعل هذا التفضيل عائد إلى إدراك الأغلبية حقيقة أن (معجم) هي الكلمة الأصلية في اللغة العربية وأن كلمة (قاموس) استعملت مجازا أو بتوسيع المعنى.

(2) إذا ألقينا نظرة على الحقل الأول في الجدول الذي يشتمل على المعاجم والموسوعات الأحادية اللغة وعددها (122) عملا معجميا في هذه الببليوغرافيا، نجد أن أغليبتها (102 بنسبة 83%) لا تحمل في عناونها اسم (معجم) ولا (قاموس)، وإنما تسير على التقليد العربي القديم في اختيار اسم علم لكل معجم مثل (البيستان) لعبد الله البستاني و (المرجع) لعبد الله العلابلي و(المنجد) للويس معلوف وهلم جرا. أما الأعمال المعجمية التي حملت اسم (معجم) أو (قاموس) في عناوينها فعدها 20 مطبوعا، 17 منها (أي ما نسبته 85%) تحمل اسم (معجم) و 3 منها فقط (أي بنسبة 15 %) تحمل اسم (قاموس). وهذا مخالف تماما للاقتراح الداعي إلى تخصيص كلمة (معجم) لتدل على المخزون المفرداتي المفترض للغة) أو على (الثروة اللفظية للمتكلم/ السامع)، وتخصيص كلمة (قاموس) لتدل على (الكتاب الذي يتضمن مداخل مرتبة ترتيبا معينا ومعلومات عنها). كما إن الاستعمال الشائع الذي تبينه لنا الإحصائية المذكورة مخالف كذلك (بل معاكس تماما) إلى الاقتراح الرامي إلى تخصيص كلمة

(معجم) للمعاجم الثنائية اللغة وكلمة (قاموس) للمعاجم الأحادية اللغة التي تشمل على تعاريف.

3) وإذا ألقينا نظرة على الحقل الثاني من الجدول الذي يضم المعاجم والموسوعات ثنائية اللغة ومتعددة اللغات، وعددها 147، نجد أن نصفها تقريبا (أي 73 عملا معجميا) يحمل اسم (قاموس) في العنوان، وأن قسما ضئيلا منها (18 مطبوعا فقط، أي بنسبة 12 %) يحمل اسم (معجم). ونستنتج من ذلك أن مصنفي المعاجم الثنائية اللغة يميلون إلى إطلاق اسم (قاموس) عليها تاركين اسم (المعجم) ليطلق على المعاجم الأحادية اللغة التي تشمل مداخلها على تعاريف وليس مقابلات فقط. وهذا يخالف تماما التوجه الذي يجعل من كلمة (قاموس) دالة على المعاجم الأحادية اللغة.

600 — مقترحات لحل الإشكالية

رب قائل يقول مع القائل، وهو محق فيما يقول: "النقد يسير والإبداع عسير"، وإن الصفحات السابقة وجهت النقد لاجتهادات الآخرين ولم تقدم أي بديل، فلم تتبكر المصطلحات اللازمة للتعبير عن المفاهيم اللسانية الجديدة أو الأنواع المعجمية المستعملة. والبديل لا يكمن في محيلة الكاتب وإنما في التراث الغني للغة العربية. فبالعودة إلى اللغة العربية المستعملة والبحث فيها نجد ضالتنا من المصطلحات اللازمة.

610 — المتن والرصيد

إن مفهوم (المخزون أو المجموع المفرداتي المفترض للغة) هو ما عبر عنه بلفظ (متن اللغة) أو (المتن). ولهذا فإن عددا من أصحاب المعاجم اختاروا عناوين تدل على أن مداخل معاجمهم هي مختارات من المخزون اللفظي للغة العربية ولا يدعون الإحاطة بجميع مفرداتها. فعلى سبيل المثال نجد معجما يحمل عنوان (معجم الطالب في المأنوس من متن اللغة العربية والاصطلاحات العلمية والعصرية) لجرجس همام الشويري صدر عن المطبعة العثمانية في بيروت عام 1907 ويقع في 1272 صفحة، ونجد معجما آخر يحمل عنوان (المعتمد فيما يحتاج

إليه المتأدبون والمنشئون من متن اللغة) لجرحي شاهين عطية، نشرته مكتبة صادر في بيروت عام 1927 ويقع في 1024 صفحة. وهذا المصطلح (أي المتن) هو الذي اعتمده "المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات"، مع تحفظنا على عدد من مصطلحات هذا المعجم التي لن تصمد بوجه الاستعمال والشبوع.

أما مفهوم الثروة اللفظية للفرد أو " المخزون المفرداتي الذي يمثل جزءا من قدرة المتكلم/ المستمع اللغوية" فيطلق عليه عادة مصطلح (الرصيد). وفي السبعينات من القرن العشرين عهدت المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة إلى ثلاثة من اللغويين العرب هم أحمد الأخضر غزال (مغربي) وأحمد العايد (تونسي) والحاج صالح (جزائري). بمشروع (الرصيد اللغوي) لحصر المفردات المتحققة لدى الأطفال في سن معينة لاستثمارها في الكتب المدرسية التي تؤول لفائدتهم من أجل تطوير معارفهم اللغوية باتباع المبدأ التربوي القاضي بالانتقال من المعلوم إلى المجهول ومن البسيط إلى المركب. كما إن هذا المصطلح شائع لدى عدد كبير من الباحثين اللغويين. كما ظهر هذا المصطلح بهذا المفهوم في "المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات"؟

620 — نتائج الدراسة الإحصائية

رأينا من الإحصائية التي أجريناها للاستعمال المعاصر أن (معجم) و(قاموس) يستخدمان بوصفهما لفظين مترادفين. وفي الوقت نفسه يغلب إطلاق اسم (معجم) على المعاجم الأحادية اللغة ويغلب إطلاق اسم (قاموس) على المعاجم الثنائية اللغة.

700 — حقول مفهومية متقاربة

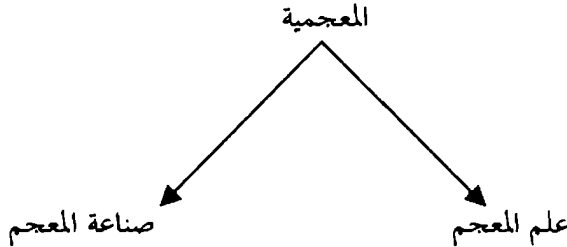
يفرقون في اللسانيات الغربية بين ثنائيات في ميدان العمل المعجمي منها: Lexicology and lexicography، ومنها Terminology and Terminography . ويمكن الفرق بين مفردتي كل ثنائية في اللاحقتين logy ذات الأصل الإغريقي التي تعني دراسة أو علم و grphy التي تشير إلى الكتابة والخطاطة. وأصبحت اللاحقتان تدلان في اللغات الأوروبية اليوم على العلم نفسه وتوثيق نتائجه. وقد انتقلت بعض هذه الثنائيات إلى الدرس اللساني العربي الحديث، فوضع له عدد من اللسانيين العرب مقابلات مختلفة.

710- المعجمية، علم المعجم، صناعة المعجم

فيما يتعلق بالثنائية الأولى Lexicologie et lexicographie فإن المصطلح الأول يشير إلى علم المفردات الذي يهتم بدراسة الألفاظ من حيث اشتقاقها، وأبنيتها، ودلالاتها، وكذلك بالترادفات والمشاركات اللفظية والتعابير الاصطلاحية والسياقية. وهكذا فعلم المفردات يهيئ المعلومات الوافية عن المواد التي تدخل في المعجم. أما المصطلح الثاني فيخصص لصناعة المعجم التي تشتمل على خمس خطوات رئيسة هي: جمع المعلومات والحقائق، واختيار المدخل، وترتيبها طبقاً لنظام معين، وكتابة المواد، ثم نشر النتائج النهائي (القاسمي، 1991: 3).

وبالإطلاع على المصطلحات العربية المستعملة في الميدان المعجمي، نستطيع القول إن مصطلح (المعجمية) يستعمل لتغطية كلا المجالين. وأما الدراسات المتعلقة بعلم المفردات فتتصب على البحث في معجم اللغة العربية أو متنها ولهذا يمكن أن تسمى هذه الدراسات بـ (علم المعجم). وأما مصطلح (صناعة المعجم) فهو مختص دائماً بالشق الثاني من الثنائية المذكورة.

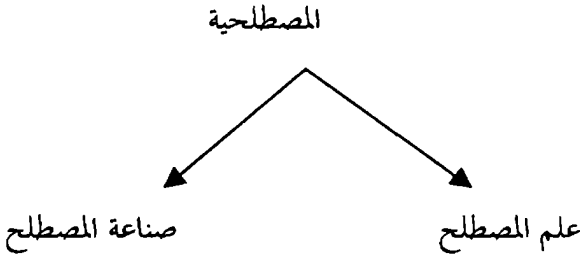
وهكذا يمكن أن نستعمل الشكل التالي:



720- المصطلحية، علم المصطلح، صناعة المصطلح

يتعلق الشق الأول من الثنائية الثانية، أي terminologie et terminography بالعلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها. ولكن الاستفادة من البحث الذي يضطلع به علماء المصطلح يتطلب توثيق المصطلحات. وللتوثيق

ثلاثة جوانب: توثيق مصادر المصطلحات، وتوثيق المصطلحات، وتوثيق المعلومات عن المؤسسات المصطلحية. ويتم التوثيق باتباع أربع خطوات هي: تجميع المعلومات المتعلقة بالمصطلحات، وتسجيلها، ومعالجتها، ونشرها (القاسمي، 1985 : 17-35). وهذه الخطوات تذكرنا بالعمليات اللازمة لنشر المعجم التي يطلق عليها مصطلح (صناعة المعجم). ولهذا يمكن أن نستخدم مصطلح (صناعة المصطلح) للدلالة على التوثيق المصطلحي. أما (المصطلحية) فتشمل علم المصطلح وصناعة المصطلح. وهكذا ننتهي إلى الشكل التالي:



800 — الخاتمة

ليس هناك من سبب يدعونا إلى القلق على مصير المصطلحات في اللغة العربية، فالزمن والاستعمال كفيلا بالإبقاء على المصطلح الأصلح، واللغة العربية قادرة على استيعاب المفاهيم الجديدة وتمثلها. وما هذه الدراسة إلا محاولة لاستقراء الاستعمال والشيوع المتعلقين بمصطلحات معجمية مثل: معجم، وقاموس، ومتن، و رصيد.

المراجع والمصادر التي أشير إليها في الدراسة

- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ (القاهرة : الكتبة الأنجلو-مصرية، 1976)
— أحمد الشرقاوي إقبال، معجم المعاجم (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1987)
— جواد حسني عبد الرحيم سماعة، "المصطلحية العربية بين القديم والحديث" أطروحة لنيل دكتوراه الدولة من شعبة اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1999 .
— الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين (بغداد: دار الرشيد للنشر، 1980) تحقيق مهدي المحزومي وإبراهيم السامرائي.
— طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة 2: القول الفلسفي (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1999)
— عباس الصوري، " في الممارسة المعجمية للمتن اللغوي" في اللسان العربي، العدد 45 (1998) 9-32.
— عبد العلي الودغيري، قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي (الرباط: منشورات عكاظ، 1989)
— عبد العلي الودغيري، " قضية الفصاحة في القاموس العربي التاريخي" في اللسان العربي، العدد 33 (1989) 119-134.
— عبد القادر الفاسي الفهري، " تعريب اللغة وتعريب الثقافة" في المجلة العربية للدراسات اللغوية، عدد أغسطس (1985).
— عبد القادر الفاسي الفهري، المعجم العربي (الدار البيضاء: توبقال للنشر، 1986)
— عبد الله ولد محمد عبد المالك، " قضية التعريف في القواميس العربية الحديثة" بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا من شعبة اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1999
— عز الدين البوشيخي، "خصائص الصناعة المعجمية الحديثة وأهدافها العلمية والتكنولوجية" في اللسان العربي، العدد 46 (1998) 22-27.
— علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم (الرياض: جامعة الرياض، 1975، 1991)
— علي القاسمي، مقدمة في علم المصطلح (بغداد: الموسوعة الصغيرة، 1985، القاهرة، 1989)
— ليلي المسعودي، "ملاحظات حول معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية" في اللسان العربي، العدد 46 (1998) 164-177
— فريد الأنصاري، " أزمة المصطلح التراثي في الفكر العربي المعاصر" في الفيصل، العدد 280 (2000) 23-27.
— مسفر سعيد الشبيبي، المراجع المعجمية العربية (بيروت: مكتبة لبنان، 1989)
— مصطفى غلفان، "المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات: أي مصطلح لأي لسانيات؟" في اللسان العربي، العدد 46 (1998) 146-163.

ملاحظات أولية حول المصطلح والمفهوم في العلوم الاجتماعية

ذ . محمد العربي ولد خليفة

المجمع الجزائري للغة العربية - الجزائر

من الواجب في البداية أن نعبر عن جزيل الشكر والامتنان للسادة الأساتذة الأفاضل المشرفين على هذه الندوة ، لقد أتاحوا لنا فرصة زيارة مغربنا الشقيق لأول مرة ، والاستفادة من مداورات مخصصة لقضايا المصطلح والمفهوم في مجالات الأدب وعلوم الإنسان ، وهي تشمل كما لا يخفى موضوعات ومباحث واسعة شديدة التعقيد وعلى درجة كبيرة من الأهمية .

1 من الجهد إلى الاجتهاد :

نعرض في هذه المقاربة ملاحظات أولية حول جوانب من إشكالية المصطلح والمفهوم في علوم الإنسان والمجتمع على ضوء الجهود التي بذلت في الجامعات ومراكز البحث في منطقتنا العربية للملاحقة الانفجار الهائل في ميادين المعرفة الإنسانية ، وما صاحبها من الإبداع في الفنون والآداب، تقوم المعلوماتية ووسائل الاتصال بنشره عبر العالم في لمح البصر، كما بدأ الحاسوب في خوض غمار الإبداع وبرمجة القصص والروايات والموسيقى والترجمة الآتية إلى عشرات اللغات ، وحسب الطلب .

نضع هذه المقاربة أولا في السياق الحالي للتطور العلمي ، والاجتماعي منه بوجه خاص ، بدون أن ننسى أن ما هو راهن ومعاش اليوم ، ليس بداية من صفر ، بل هو نتيجة لتراكم المعرفة والخبرة والتجربة عبر مئات السنين ، ونعتبر ثانيا أن تراثنا الموروث هو مرجعيتنا الحضارية بما فيها من عقيدة وعلوم وفنون وآداب ومسلكية ، تضعنا أحيبنا أم كرهنا في مجال جغرافي - سياسي حضاري واحد ، أو متقارب عند الآخرين في عالم الأمس واليوم .

إن تلك المرجعية الحضارية الزاخرة بالمنجزات الثقافية والفتوحات العلمية هي التي تحثنا على عدم الاكتفاء بالتنويه بمآثر الأسلاف وتدفعنا إلى السعي الخيث لمواصلة ما قام به الأجداد من جهد واجتهاد ، لتضييق الفجوة التي تفصلنا عن موكب المقدمة .

اقترن الجهد بالاجتهاد في وقت مبكر من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، فمن جابر بن حيان (توفي 200 هـ 815 م) حتى ابن رشد (توفي 595 هـ 1198 م) وابن خلدون (808 هـ 1406 م) نجد عشرات المصنفات والرسائل فيما سموه الرسوم والحدود التي تعنى بالتعريف والمفهوم والمصطلح وحقله الدلالي أو مجال انتشاره (1) ، وحظيت الفلسفة وعلوم ذلك العصر مثل فقه اللغة وقواعدها والمنطق والتاريخ والفقه وأصوله فضلا عن الرياضيات والعلوم التطبيقية على قصب السبق ، ولم يكتفوا بنقل علوم الأولين وحفظها من الضياع بل أضافوا إليها الكثير وطوروها حتى تبوأَت اللغة العربية مقام اللغة العالمية كما هو الحال اليوم بالنسبة للغة الإنكليزية ، فقد كانت جسر النجاة الذي عبرت عليه أوروبا القرون الوسطى نحو عصر النهضة والأنوار ، إن بعض ما نقلوه إلى العربية تجاوز في دقته وجماليته الأصل ، كما هو الشأن في رائعة كليلة ودمنة التي لا يذكر أحد مؤلفها الأول .

وقد أشار أبو حيان التوحيدي (2) إلى أهمية إتقان لغة العلم المشتركة بين الأدباء والمختصين في فروع المعرفة الأخرى بقوله : أحوج الناس إلى معرفة هذه الاصطلاحات الأديب اللطيف الذي تحقق أن علم اللغة آلة لدرس الفضيلة لا يتنفع به لذاته ، ما لم يجعل سببا إلى تحصيل هذه العلوم الجليلة ، ولا يستغني عن علمها طبقات الكتاب لصدق حاجتهم إلى مطالعة فنون العلوم والآداب .

إذا أخذنا الفلسفة أم العلوم - كمثال على جهد العلماء العرب واجتهادهم فإننا نجد أن التراث الهليني كان بالنسبة لهم نقطة انطلاق للبحث والتفكير وتطوير اللغة وإثرائها بالمصطلحات والمفاهيم حتى أقرت الباحثة أ.م . غواشون (A M GOICHON) المختصة في معجمية ابن سينا (3) بالحقيقة التالية :

- سمح غنى النصوص الفعلية للغة العربية بقيام تحديدات كثيرة للمعجمية اليونانية -
لقد كونت هذه الفكرة بعد أن درست معجمية أرسطو(..) إنه لمن المدهش حقا أن

نجد عندما ننظم سلسلة الكلمات الفنية لأرسطو وابن سينا ، أن ثلث التحديدات السنوية غير موجودة عند أرسطو * .

- كما توصل علماء الحديث وأصول الفقه إلى وضع منظومة مفاهيمية ومصطلحية على درجة عالية من التناسق والوضوح ، ولذلك يعتبر الفقه وأصوله من العلوم العربية الإسلامية البحتة من ناحية المنهج والمضمون وهو ما يمكن قوله أيضا على علم العمران الذي شرع ابن خلدون في وضع نظرياته ومفاهيمه ومصطلحاته ومنها المعاش التي تدرس المجتمع وظواهره ، في حالتها المتفاعلة وفي امتدادها التاريخي الثقافي وهو ما يطلق عليه المعاصرون اسم علم الأناسة في مقابل مصطلح " أنثروبولوجيا " الأنغلو سكسوني مع أن مصطلح علم العمران أوضح وأدق (4) .

إن إشكالية المصطلح في علوم الدقة (sciences exactes) أو العلوم التطبيقية وعلوم الإنسان والمجتمع لا ترجع إلى مدى مطاوعة اللغة العربية وقدرتها على تسمية الأشياء وضبط المفاهيم وتوليد المفردات النمطية واللغة الوسيطة أو المقوعدة في تعبير الأستاذ عبد الله العروي (5) ، الخاصة بكل علم ، فذلك أمر لا يماري فيه إلا المستلبون ضحايا الاستعجام . إن العضلة تتعلق بتراجع النشاط العلمي ثم توقفه لعدة قرون ، حتى أن علماء مؤسسين ومن أعلى طراز مثل ابن الهيثم وابن رشد وابن خلدون عاشوا خارج عصورهم ، بل تجاهلهم اللاحقون ولم يستعيدوا مكانتهم في هرم المعرفة الإنسانية حتى عني بهم المستشرقون ودرسوا نظرياتهم ، وشرحوا مفاهيمهم ومصطلحاتهم ، وقد ساهمت تلك الدراسات والترجمات في إعادة تأسيس علوم الإنسان الحديثة على يد فرانسيس بيكون وأوغست كونت .

نحن على يقين بأن القضية الأولى التي تشغل بال الكثير من ساستنا ومفكرينا ، هي اجتياز الهوة التي تفصلنا عن ركب المقدمة ، واكتشاف السبيل الأنجع والأقصر لإنتاج العلم والمعرفة ، وهما القيمة المضافة الأهم ، والطريق الصحيح لاكتساب الهيبة والمناعة .

لاشك أن جهودا كبيرة قد بذلت في هذا الاتجاه منذ بداية القرن العشرين على الأقل ، كما عقدت مجامعنا العريقة وجامعاتنا ومعاهدنا المتخصصة عشرات الندوات

والمستقيات وأسفر ذلك الجهد عن ثمار طيبة في ميدان المصطلح العلمي وساهمت مخابر اللغة مثل مخبر اللسانيات والصوتيات في الجزائر ومكتب تنسيق التعريب في الرباط في تقنين اللغة العربية وإثراء رصيدها العلمي ، غير أن الهدف الحقيقي يبقى توطين العلم بكل فروعهِ ، والتحكم في التقانة والخبرة في النقطة التي وصلت إليها اليوم .

2 / من المفهوم إلى المصطلح :

السادة الأساتذة الأفاضل قد يكون من المفيد في أية مداولة حول قضايا المفهوم والمصطلح في علوم الإنسان أن نستحضر الجوانب التالية :

1 تتصف تلك العلوم بالخصوصية بسبب ارتباط أطرها النظرية وأنساقها المفهومية بالبيئة التي نمت فيها والحقبة التاريخية التي حددت موضوعاتها ومناهجها ونوعية اللغة الفنية المستعملة فيها، فلو تفحصنا النظريات الكبرى التي هيمنت على الإنتاج المعرفي في القرن الماضي مثل الوظائفية والتفسيرية والإنسانية والبنوية لوجدنا أن لكل منها منظومة مفاهيمية وما يقابلها من المصطلحات ، فإذا كانت الأصول (Paradigmes) المنهجية لإنتاج المعرفة واحدة ، فإن التغيرات التي عرفتْها العلوم الإنسانية خلال مراحل تطورها لا تشير فقط إلى حدوث قفزات علمية في أدوات المعرفة بل أنها تعكس أيضا تغيرات نوعية في البيئة التي يحدث فيها البحث العلمي (كون KHUN) (6) .

2- إن الثروة المصطلحية في كل لغة هي مرحلة تالية لازدهار البحث العلمي وليست سابقة له ، ولا شك أن معظم الإنتاج العلمي في علوم الدقة والتقانة وعلوم الإنسان يحدث خارج منطقتنا حيث يتسابق التنظير (Theorisation) مع التطبيق .

يكفي لإدراك حجم التراكم المعرفي في فرع واحد من علوم الإنسان ، القيام مجرد أولي لسنة واحدة مما تنشره الدوريات والحواليات الأكاديمية والجامعية من ملخصات تعج

بالمفاهيم والمصطلحات الجديدة ، وما يعرف بالكلمات الفنية - Key words / mots cls

الخاصة بكل مبحث داخل التخصص الواحد .

ساعد ذلك الإنتاج العلمي الغزير على إبراز حقيقتين :

أولهما : أن علوم الإنسان والمجتمع لم تعد مجرد ضيق يستأجر غرفة صغيرة في حوش * العائلة المعرفية الكبيرة ، فقد انتهى منذ زمن بعيد تصنيف العلوم إلى نفيسة وخسيسية ، فهي تتبادل المناهج والمفاهيم والمصطلحات ، وأصبح أي ابتكار في ميدان من عالم الوجود (الأنطولوجيا) أو عالم المعرفة (الإبيستمولوجيا) يتطلب تظافر جهود عدد من المختصين في علوم مختلفة وكثيرا ما تحدث الاكتشافات الهامة في نقاط التقاطع بين عدة علوم طبيعية وإنسانية ، كما هو الحال في اللسانيات والعلوم السلوكية والاقتصاد .

ثانيهما : إن التقدم العلمي عملية كلية و مترابطة قد يأخذ فرع من المعرفة موقع القاطرة في فترة معينة ، وقد يكون محركها النفاث ، كما نلاحظ اليوم في المعلوماتية والهندسة الوراثية والاقتصادية ، ولكن المعرفة نابعة من أقيانوس واحد يستفيد كل فرع منها مما حققه جيرانه من ثروة في المفاهيم والمناهج والمصطلحات .

3 تشترك العلوم في أصول معرفية واحدة إلا أن علوم الإنسان والمجتمع لا ترقى من ناحية ثبات ظواهرها ويقينية نتائجها إلى مرتبة علوم الدقة والعلوم الطبيعية ، ولذلك فإن الاهتمام بالتعريفات الإجرائية للمفاهيم وما يقابلها من مصطلحات مسألة على درجة كبيرة من الأهمية . فإذا كانت الألفاظ حصون المعاني فيما يتداوله الناس من خطابات عادية فإن اختيار تلك الألفاظ وتحديد حقلها الدلالي هو حجر الأساس في بناء العلم الاجتماعي ، ولا تقتصر فائدته على العلماء وحدهم بل يفيد المتعلمين ويغذي الثقافة العامة لجمهور القراء (7).

غير أن تقنين المصطلحات والاجتهاد في وضع كلمات عربية أو معربة بدل المفردات الأجنبية المهيمنة على لغة العلم بوجه عام ، ولا يستثنى من ذلك الآداب وعلم الإنسان يبقى مطلبا عسير المثال ، بسبب عدد من الصعوبات العملية نذكر منها :

1- يتكون المفهوم عبر ثلاث عمليات ذهنية معقدة هي التعميم والتخصيص والتجريد ويبقى في حالة فكرة حتى يجد طريقة إلى شكل من أشكال التعبير اللغوي أو الرمزي ، وبما أنه حاصل خبرة معرفية مكثفة فإن مفردات اللغة قد لا تستوعب أحيانا ما هو جوهرى من المعاني والأفكار، فهي لا تحيط به كما يقال إحاطة السوار بالمعصم ، إن الألفاظ قد تدل

على معنيين أو أكثر واحد منها هو الذي يريد الباحث إيصاله إلى المتلقي، ولكنه لا يستطيع أن يحدد ذاكرته الخبرية ويمنع المعاني الأخرى من التوارد في خاطره، ولذلك فإن أهم ما يرسخ المصطلح بعد توليده واختراعه هي إشاعة استعماله وتقبله من طرف المختصين في نفس المجال.

وقد أشار أبو سعيد الصيرافي (ن 386 هـ) (8) إلى هذه المسألة الهامة بعبارات

تقترب من علم اللسانيات والمعجمية المعاصرة، فهو يقول :

"بدا لنا أن مركب اللفظ لا يجوز مبسوط العقل، والمعاني معقولة ولها اتصال شديد وبسطة تامة، وليس في قوة اللفظ من أية لغة كان، أن يملك ذلك المبسوط ويحيط به وينصب عليه سورا، ولا يدع شيئا من داخله أن يخرج، وشيئا من خارجه أن يدخل" * .

وفي انتظار حوسبة اللغة العربية وإحصاء الحقول الدلالية للمفاهيم والمصطلحات

فإن الإشكالية التي أثارها أبو سعيد الصيرافي منذ أكثر من ألف عام قائمة إلى اليوم .

2 يستمد الفكر العربي رصيده من المصطلحات العلمية في مجالات المعرفة بوجه عام والاجتماعية بوجه خاص من طريقتين، أولهما داخلي ويتمثل أساسا في التوليد الدلالي بواسطة الاشتقاق والقياس. ولكن الصعوبة لا تكمن في إيجاد المقابلات المصطلحية للمفاهيم المستجدة بل في نقص البحث الأساسي والاعتقاد الساذج بأن التطبيق هو الأهم ولا حاجة إلى التنظير الذي تولاه كبار العلماء الغربيين ومدارسهم بالنيابة عنا ولذلك فإنه على الرغم من محاولات التأصيل أو إعادة التأسيس لأنساق ونظريات العلوم الاجتماعية فإن قسمها الحديث بقي غريب المنشأ ومرتبطا بقضايا وإشكاليات تخص مجتمعات مغايرة .

إن توطين تلك العلوم يتطلب البداية بصياغة فكر معرفي جديد يقوم على تقييم ونقد الأطر المفهومية ومناهج البحث وتكييف أدواتها لبيئتنا الخاصة وحاجاتنا الراهنة ومشاريعنا المستقبلية (9). ومن الضروري أن تتزامن هذه العملية التأصيلية مع جهد يقع في صميمها وهو اختراع المصطلحات ووضع المعاجم التقنية المتخصصة وتطوير الدراسات المعمقة في حقول فقه اللغة واللسانيات .

يتمثل الطريق الثاني في التعريب والمقصود به هنا هو نقل العلوم إلى العربية في مقابل التعجيم أي النقل من العربية إلى لغات أخرى ، ولهذا التوضيح أهميته في مغربنا العربي والجزائر بوجه خاص ، فكثيرا ما تتجاوز هذه المسألة موضوعها العلمي والعملية وتنغمس في جدل فكري (إيديولوجي) أضاف مصطلحات جديدة لقاموس الإعلاميين والتراجمة مثل الاستقوار (من قاوري أو رومي والفرنسي بوجه خاص) ، والاستعجام ، والتأصل والتنصل والتشاقف والانسلاخ إلخ .. (10) .

بعيدا عن هذه المساجلات الفكرية والعاطفية التي يرى فيها البعض أن اللغة مؤسسة منفصلة عن المجتمع ينبغي أن تكون متقدمة في مجتمع مختلف ، وينسى فيها البعض الآخر بأن زيادة الألسنة تزيد من إنسانية الإنسان في تعبير الدكتور يوسف الحاج (11) ، أقول بعيدا عن تلك المساجلات فإن من الأجدى التعامل مع اللغة باعتبارها أداة لإنتاج المعرفة وموضوعا لها في نفس الوقت وتوضح هذه القضية على ضوء الملاحظات التالية :

1 لا توجد لغة علمية كاملة وهائية في أي فرع من فروع المعرفة. فهي تزود بالمفردات وتعابير اللغة الوسيطة من وتيرة الإنتاج العلمي والترجمة . والأخيرة مصدر لا يستهان به، فهي منذ أمد بعيد مورد نشيط للمفاهيم والمصطلحات في البلدان المتقدمة حيث يترجم الإنتاج الفكري والعلمي والأدبي بعد فترة وجيزة من نشره في لغته الأصلية، كما هو الحال في غرب أوروبا والولايات المتحدة واليابان. ولعل ثراء اللغة الإنكليزية في التعابير والمصطلحات يرجع جانب منه إلى قيام الباحثين (غير الناطقين بالإنكليزية) بوضع خلاصات لأبحاثهم باللغة الإنكليزية ونشرها في الدوريات المتخصصة للتعريف بإنتاجهم واكتساب المكانة والشهرة .

2 تتوقف دقه المصطلح العربي الموضوع أو المترجم على ضبط حقله الدلالي واقتصار اللفظ على المفهوم أي تحاشي استخدام نفس الكلمة للتعبير عن مصطلحات أخرى في نفس المجال المعرفي أو في مجالات أخرى مما يسبب للدارس

والباحث الغموض والارتباك ولا شك أن الطريقة المثلى هي اختراع مصطلح واحد مقابل مفهوم واحد .

وتساعد الحوسبة على جرد الحقول الدلالية والمفاهيم المتداولة ووضع مصفوفات للمفردات وتصنيفها من حيث المعنى والمبنى في اللغة العربية و اللغات الأخرى التي ينقل منها المصطلح فضلا عن إمكانية برمجة الأوزان و الجذور والاشتقاقات الصرفية واختيار أنسبها للمفهوم. وتحقق هذه الآلية اقتصادا كبيرا في الوقت والجهد وتسمح بالإسراع في تكوين رصيد مصطلحي يمكن أن يتحول بالتدريج إلى مسارد معلوماتية وبنك للمعطيات يسهل وضع المعاجم اللغوية العامة والتقنية المختصة .

3- نظرا للعلاقة الوثيقة بين علوم الإنسان وفنون الإبداع الفني والأدبي فإنه من المفيد الاتفاق على مصطلحاتها المشتركة ، سواء كانت موضوعة أصلا بالعربية أو معربة، وقد أقر هذا المطلب مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الخامسة والأربعين .

ولا شك أن العملة المصطلحية المشتركة تساعد على توحيد اللغة العلمية العربية عند الباحثين والدارسين والترجمة الذين ينقلون من لغات أخرى إلى العربية ما يصدر من أبحاث ودراسات في العلوم الإنسانية والآداب والفنون .

والملاحظ اليوم أن المعاجم المختصة القليلة نسبيا التي صدرت في فروع المعرفة الإنسانية والأدبية والفنية ونظيراتها المترجمة تقترح وتستهمل مصطلحات متباينة مما يجعل حقول المعرفة العلمية والأدبية أشبه بسوق تستعمل أنواعا كثيرة من العملة لها قيمة لا يعرفها إلا صاحبها .

4 على الرغم من تزايد الترميز والتكبير (Quantification) في مختلف فروع المعرفة واختزال المصطلحات المركبة في حروفها الأولى لتسهيل الانتشار والاستعمال فإن اللغة تبقى الناقل الأول للمعرفة وخاصة الآداب وعلوم الإنسان التي تطلب أكثر من غيرها تحكما في آليات اللغة بوجه عام واللغة الوسيطة بوجه خاص ، وهذه الأخيرة عبارة عن مجموعة متناسقة من مفاهيم و المصطلحات ، تكون اللغة الخاصة بفرع معين من المعرفة ولكي تصبح الكلمة أو العبارة مصطلحا ينبغي أن تتوفر فيها شروط من أهمها :

أ أن تكون موضوعة في مقابل معنى أو مفهوم خاص ، ليس هو المعنى اللغوي المتداول في الاستعمال العادي و إلا أصبحت مفردة لغوية ، لا علاقة لها بالمفهوم المراد تسميته .
ب أن يشيع استعمالها بين أهل الاختصاص ، وإلا فقدت دلالتها وفائدتها الاصطلاحية، ولذلك فإن صنع كلمة أو اقتراح مقابل المصطلح الأجنبي ، يبقى مشروع مصطلح حتى تصادق عليه الهيئات المختصة في مجامع اللغة والأكاديميات ، ويتداوله أصحاب الاختصاص.

ج إن اقتراح مصطلح يعني إضافة فكرة أو مفهوم جديد واللغة وسيلة لذلك وليست هدفا في حد ذاته ، ولذلك ينبغي أن تتم صياغة المصطلح بعد دراسة وافية للمسارد المصطلحية الخاصة بعلم معين و تشاور مع أهل الاختصاص ليكون المصطلح الوليد منسجما مع النسق المفهومي للعلم ومعيرا بدقة عن منطقه الداخلي .

3/ ملاحظات ومقترحات :

لقد بذل علماءنا جهودا كبيرة في الجامعات ومجامع اللغة العربية ومؤسسات البحث ، كما ساهمت الجامعة العربية عن طريق منظماتها للتربية والثقافة والعلوم ، ومكتبها النشط لتنسيق التعريب في الرباط ، والمعاهد المختصة في المصطلحات والتقييس ، ساهمت كلها في إثراء لغتنا الجميلة بالكلمات الفنية وحل بعض المعضلات التي تواجه الباحثين والدراسين في العلوم الدقيقة والتجريبية و الآداب وعلوم الإنسان .

حققت تلك الجهود إذا نظرنا إليها مجتمعة وخلال أقل من ربع قرن إنتاجا معجميا لا بأس به إذا قيمناه على ضوء الظروف الصعبة التي تجتازها أمتنا في كل أقطارها وإصرار الدول المتقدمة في الغرب والشرق السابق على احتكار العلم والخبرة والثقافة واعتبار ذلك جزءا من أسرارها الأمنية وضمانة لتفوقها الدائم (12) .

أسفرت تلك الجهود على وضع ما يزيد على 150 عملا معجميا في شتى فروع المعرفة ، حظي الطب والأحياء والقانون وعلوم الطبيعة والكيمياء فيها بالنصيب الأوفر (13)

ولا توجد سوى مدونات قليلة للمصطلح في الآداب وعلوم الإنسان ، موجهة في أغلب الأحيان لمراحل التعليم الثانوي العام والفني والمستوى الجامعي .

ونعرض فيما يلي بعض الملاحظات والمقترحات :

1 إن وضع المصطلح عن طريق الاشتقاق والتوليد أو عن طريق الترجمة و التعريب ليس عملية سهلة في كل العلوم لأن الثروة المصطلحية تعكس في واقع الأمر ما وصلت إليه الأمة من ازدهار وإبداع ، فالمفاهيم والمصطلحات كما أشرنا فيما سبق هي مرحلة مواكبة أو تالية لإنتاج المعرفة والثقافة وليست سابقة لها ، ولذلك كثيرا ما يجد الباحثون و الدارسون الغيورون على لغة الضاد أنفسهم في سباق غير متكافئ وفي مواجهة تحديات على عدة جبهات. فهناك من جهة التدفق الهائل للأبحاث العلمية وما تحمله من مفاهيم ومصطلحات للاختراعات و الاكتشافات التي تعد سنويا بالآلاف ، وهناك من جهة ثانية رغبة مشروعة في توطين العلم وتبليغه للدراسين بلغتهم الأولى ولا أقول الوحيدة إذ في المستوى الجامعي وما بعده يكون التحكم في لغة أخرى أو أكثر نافذة لا غنى عنها ليس لمواصلة التخصص والتكوين فحسب بل للتكيف مع عصر العولمة وفهم يحدث فيه من تحولات وما يتهاطل علينا من رسائل فيها الغث والسمين والمشبه .

2 إن المصطلحات في أي فرع من فروع المعرفة بالإنسان و الطبيعة ليست مجرد كلمات أو تراكيب تخزن في المعاجم والقواميس المختصة وتصنف منها الموسوعات ، بل هي العملة الصعبة في بنوك العلوم ، لكل علم فيها حساب جاري ، ينبغي تغذيته باستمرار من طرف المختصين في إنتاج العلوم والثقافة وتحمل ختم التصديق من هيئات مختصة في الجامع والأكاديميات التي تضم نخبة من العلماء من أعلى طراز مؤهلين للاجتهاد فرديا وجماعيا .

3 هناك من التحديات ما يمكن تحقيقه في المدى القريب والمتوسط إذا توفرت الإرادة الجماعية ونفذت التوصيات التي أقرتها المجامع ومؤتمرات التعريب الخاصة بتوحيد المصطلح في المصنفات المدرسية والجامعية التي لا تزال تستعمل مصطلحات متبانية للمدلول الواحد ، يحدث ذلك في كل قطر على حدة و من قطر إلى آخر في الوطن العربي الذي يستعمل لغة واحدة في ثقافته المكتوبة و ينتمي إلى جذع حضاري مشترك ، حتى أصبح

الرجوع إلى المقابل الأجنبي هو الحكم الفصل في تحديد المدلول العلمي الواضح والثابت للمفهوم والمصطلح (14) .

4 من الناحية العملية هناك مسألة شغلت بالنا منذ مدة عندما كان التدريس في العلوم الاجتماعية في جامعة الجزائر يتم باللغتين العربية والفرنسية لنفس التخصصات، وأحيانا من طرف نفس الأساتذة وتمثل في خلو لغتنا من الحرف الكبير (Majuscule) الذي تبدأ به حروف الاسم العلم ، أو يشير إلى بداية فقرة أو جملة جديدة في اللغات اللاتينية والسكسوجرمانية . كما أننا نفتقر إلى دلالة موحدة للعلامات ، وخاصة المعقوفات والأقواس المهمة في تحرير المذكرات و المصطلحية العلمية ، من المهم أن يتفق عليها الجميع وأن يتعلمها التلاميذ قبل نهاية المدرسة الأساسية .

5 من الناحية العملية أيضا من المفيد الإسراع بإنشاء هيئة عربية للترجمة يشترك فيها إلى جانب علماء اللغة واللسانيات علماء مختصون من مختلف الجامعات والجامعات تشرع أولا في نقل القائمة الطويلة من الأطروحات والأبحاث التي أنجزها باحثونا بلغات أخرى في الجامعات ومراكز البحث الأجنبية وكثيرا منها يتصل بالعلوم الإنسانية والآداب ويستفيد من المنشور منها وغير المنشور مخططو السياسات العربية في الغرب والشرق المسمى حاليا بالاتحاد الروسي وعن طريق ما تقدمه من توصيف وتحليل ونتائج يتعرفون بدون مقابل على كل صغيرة وكبيرة ويرسمون لنا الصورة التي نرى بها أنفسنا .

ونقترح أن توكل ترجمة البحوث التي قام بها العلماء العرب في الخارج إذا صعب عليهم هم القيام بذلك إلى لجان متخصصة في نفس المجال وأن يتسع ذلك بالتدرج إلى ملاحقة منجزات العلم والثقافة وتطوير اللغة والمصطلح لصالح الباحثين والدارسين في كل أرجاء الوطن العربي .

إنه بلا شك عمل مرهق ، مكلف وعسير يتطلب استراتيجية تتجاوز العواطف العابرة والتقلبات الظرفية ، هكذا بدأ أجدادنا مسيرتهم العلمية الباهرة و أبدعوا آثارهم الخالدة .

- 1 - د . ع . أ. الأعمسم : المصطلح الفلسفي عند العرب . ص ص 15 16 ، نشر مشترك الدار توسية للنشر المؤسسة الوطنية للنشر الجزائر ، تونس 1991 .
- 2 - أبو حيان التوحيدي : المقابسات . نشرة حسن السدوسي ص 98 القاهرة 1929 .
- 3 الأعمسم : المصطلح الفلسفي عند العرب . ص ص 71 72 . ، نشر مشترك الدار توسية للنشر المؤسسة الوطنية للنشر الجزائر ، تونس 1991 .
- 4 د . عبد المجيد مزيان : النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون ص 375 المطبوعات الجامعية ط 2 الجزائر 1988. وكذلك ترجمة محمد الجوهري وحسن الشامي لقاموس مصطلحات الأثنولوجيا و الأثنوغرافيا لريكه هولتراكس ، دار المعارف القاهرة 1973 .
- 5 عبد الله العروي : التعريب في ثقافتنا على ضوء التاريخ ، دار التنوير ، بيروت 1983 .
- 6 S/T Khum : the structures of scientific revolutionsp 54 2 ed univ of chicago press1970.
- 7 R P Monge : The systems perspective as a theoretical basis for the study of human communication quarly vol 25 n 1 - 1977
- 8 أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ج 1 ص 126 القاهرة 1939 .
- 9 د . حامد عمار : بعض مفاهيم علم الاجتماع . ص 35 ، دار المعرفة ط 2 القاهرة 1962
- و كذلك محمد مندور : الثقافة وأجهزتها . ص 81 مركز التربية الأساسية (سرس الليان) 1958 .
- 10 د . حنفي بن عيسى : معضلة المصطلحات التقنية و " حيل " المترجمين مجلة الثقافة عدد 99 الجزائر 1987 .
- 11 د . يوسف الحاج : فلسفة اللغة . ص 28 ، دار النشر للجامعيين بيروت ، بدون تاريخ .

- 12 د . السيد ياسين : بحثا عن هوية جديدة للعلوم الاجتماعية في الوطن العربي : الخطاب والأصولية المنهجية والإستراتيجية ، ص ص 400 401 من تقرير ندوة العقد العربي القادم مركز الدراسات العربية بيروت 1986 .
- 13 د . صالح بلعيد : اللغة العربية : آلياتها الأساسية وقضاياها الراهنة. ص 42 ، المطبوعات الجامعية الجزائر 1995
- 14 د . م . ع . ولد خليفة : المهام الأساسية للمدرسة والجامعة الجزائرية . ص 291 ، المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1989 .

المحور الخامس

المصطلح و التقنيات المعلوماتية الحديثة

المصطلح العربي والتقنيات المعلوماتية الحديثة

ذ. عبد الله القفاري

مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية/الرياض

المصطلح العربي والانفجار المعرفي :

المصطلح لفظ علمي يؤدي المعنى بوضوح ودقة ، ويشكل الدعامة الاساسية في لغة العلم ، التي تعتمد على المصطلح في التعبير عن مادة العلم ومحتواه . وتقدر بعض الدراسات التي أجريت في هذا المجال أن حوالي 50% من مفردات لغات البلدان المتقدمة علميا وتقنيا تتكون من مفردات المصطلحات العلمية ومعظم تلك الألفاظ باتت تستخدم على نطاق العالم .

ان الانفجار المعرفي والكم الرهيب من الانجازات العلمية والابحاث والاصدارات والتطورات التقنية المتلاحقة ، أفرزت واقعا نعترف به، يفصل بين الأمم المتقدمة والاخرى المتخلفة أو التي تحاول اللحاق بالركب . ولأن قضية التعريب والكتابة العلمية باللغة العربية وضرورة التعليم ونشر العلوم بالعربية ، لم تعد قضية مطروحة للنقاش من حيث المسبداً ، فهناك اجماع كبير على أن ذلك ضرورة حضارية لا بد من مقاربتها ..إنما يدور الاختلاف والنقاش حول الآلية التي تضمن إنجاز هذه المهمة على نحو افضل دون تعثر يهدد مستقبل التعليم في البلاد العربية .

وعلى أي حال فإن إشكالية المصطلح العربي تظل قائمة في اي مشروع يهدف الى مباشرة التعريب و نقل العلوم الى العربية ..وتتمثل تلك الاشكالية في عدم مواكبة الانتاج المصطلحي العربي لسيل المصطلحات التي تقذف بها مراكز البحوث والجامعات ودور النشر في بلاد العالم المتقدمة علميا .

لقد اشارت بعض الدراسات التي ظهرت قبل بضع سنوات الى ان هناك أكثر من ربع مليون مصطلح غير مدون في المعاجم العربية ، سواء العامة منها او المتخصصة ، واذا كانت هناك تقديرات تشير الى ان المستجندات المصطلحية تربو عن خمسين مصطلحا يوميا ، فان هذا يعني ظهور 18 ألف مصطلح جديد كل عام في مختلف المعارف والعلوم الإنسانية والتقنية (1). إلا أن الاحصاءات الجديدة التي قامت بها دائرة اللغة الفرنسية التابعة لحكومة كيبيك في كندا تشير الى ان هذا العدد يصل الى 40 ألف مصطلح جديد ، إضافة الى بضعة عشرات الآلاف من المدخلات اللغوية المتعلقة بالمصطلحات الجديدة واستخدامها (2) .

ومع ذلك فان هناك من يرى ان تلك الاحصاءات قد لا تعبر بصورة دقيقة عن حجم الاشكال الحقيقي المتعلق بالمصطلح العلمي على وجه الخصوص (3) ، حيث ان تلك الاحصاءات قد يبررها الرصد التقديري للمصطلحات المستحدثة في مجالات علمية عشوائية ، غير ان التدفق المصطلحي المتنامي في مجالات علمية محددة مثل الهندسة الوراثية والمعلوماتية وعلم الحاسوب والانترنت .. قد تجعل متابعة تلك المستجندات في علم واحد يشهد تطورات سريعة كهذه مهمة شاقة .

بالإضافة الى هذه الاشكالية المتعلقة بملاحقة مستجندات مصطلحات العلوم المختلفة ، فان هناك مشكلات يعاني منها المصطلح العربي مازالت قائمة مثل توحيد المصطلح واشاعته ونشره .. وتلك النقاط سنتبين الآثار المحتملة للتقنيات المعلوماتية الحديثة عليها .

امام التطورات التي صاحبت صناعة الحواسيب ، خاصة فيما يتعلق بإمكانية التوثيق والفرز والاسترجاع والمعالجات الاخرى في قواعد البيانات ، ظهرت ايضا بنوك المصطلحات، جنبا الى جنب مع بنوك المعلومات لتشكل بداية التوظيف الآلي في المجال المصطلحي .

بنوك المصطلحات :

برزت بنوك المصطلحات للوجود منذ نهاية الستينيات الميلادية من القرن المنصرم، حيث بدأ العمل في بنك المصطلحات الذي تمتلكه شركة (سيمتر) في ميونخ عام 1968 ، وأسس بنك المصطلحات التابع للجماعة الأوروبية بلكسمبورج عام 1975 ، وأنشأت الادارة الكندية للمصطلحية والتوثيق بنك المصطلحات الحكومية عام 1977 .

لقد كان الهدف الأساسي من بنوك المصطلحات تزويد المترجمين بالمقابلات المطلوبة للمصطلح في اللغات المترجم إليها . . اما وسيلته فهي بناء قاعدة او اكثر من قواعد البيانات المدارة بالحاسوب ، بحيث يشتمل كل مصطلح على مخزن في القاعدة على عدة عناصر أساسية حددها المؤتمر الدولي الاول لبنوك المصطلحات الذي عقده مركز المعلومات الدولي للمصطلحات (انفوتيرم) في فيينا عام 1979(4) ، حيث تم الاتفاق على معايير نوعية ينبغي ان تتوفر ببيانات المصطلحات التي تخزن في البنك ، وذلك بغية تسهيل الاستفادة منها عند استرجاعها وتيسير تبادل المعلومات بين بنوك المصطلحات المختلفة وأهم هذه المواصفات أو المعايير النوعية إضافة الى مقابلات المصطلح في اللغة المتلقية ما يلي: رمز التعريف ، مرتبة الصلاحية ، تاريخ الوضع ، اسم الواضع ، حقل الاختصاص، مصدر المصطلح ، المعلومات اللغوية . وعلى اية حال فان بنوك المصطلحات ظلت تسعى لتحقيق واحد أو أكثر من الأهداف الرئيسية التالية:

- 1- مساعدة المترجمين في عملهم وذلك من خلال تزويدهم بمقابلات المصطلح المطلوبة في لغة الهدف بسرعة ودقة مع توفير جميع المعلومات المتعلقة بتلك المصطلحات .
- 2- تسهيل المصطلحات وتقييمها بما يتطلب ذلك من تجميع للمصطلحات على اختلاف درجة صلاحيتها ودراستها .

3- توثيق المصطلحات لتيسير الاطلاع عليها واسترجاعها ونشرها .

ومع ان هذه الاهداف مترابطة وقد يؤدي بعضها الى الآخر ، إلا اننا نجد عددا من بنوك المصطلحات ينص في انظمتها الداخلية على هدف واحد دون غيره كما هو الحال في بنك (سيمتر).ميونخ ، والذي كان ينتج ما يزيد عن مليون صفحة سنويا معظمها مترجم

الى ثمان لغات عالمية ، اما بنك المصطلحات التابع للمعهد الالماني للتقييس فان غرضه الاساسي تقييس المصطلحات وتنميطها ، ويقتصر غرض بنك المصطلحات التابع للجماعة الاوروبية بلكسمبورج على تيسير الترجمة بين لغات الدول الاوروبية الاعضاء . اما بنك المصطلحات الحكومي الكندي فقد حدد غرضه مجلس الوزراء الكندي الذي اسند اليه مهمة تزويد المترجمين بالمقابلات الفرنسية للمصطلحات الانجليزية المستخدمة في الادارة والتجارة . ويأتي التوثيق والنشر هدفا عرضيا لبنوك المصطلحات، فقد نشر بنك المصطلحات التابع لشركة (سيميتز) الالمانية سلسلة من المعاجم المتخصصة .

وبالاضافة الى ما توفره بنوك المصطلحات من أدوات برمجية تسهل حصر وتخزين واسترجاع المصطلحات والمعلومات المتعلقة بها ، فقد اصبحت ايضا ذات اهمية كبيرة في الاونة الاخيرة في تحسين لغة التواصل العلمي بين المهتمين والباحثين ، وهذا ما تم من خلال شبكات المعلومات المتخصصة التي ساعدت في تبادل البيانات المصطلحية والمعلومات المتعلقة بها .. وهذا هو الدور الذي تضطلع به شبكة الشبكات (الانترنت) حاليا .. وهو الذي تعلق عليه امال كبيرة لخدمة المصطلح العربي .. وهو ما سنأتي عليه لاحقا .

اضافة الى تلك البنوك فقد انشئت في العقدين الأخيرين مجموعة بنوك من أهمها: الانفوتيرم (Infoterm) وهو المعهد الذي تأسس نتيجة لاتفاق بين معهد التقييس النمساوي واليونسكو لتوحيد جهود المعاهد والهيئات الدولية المختصة بعلم المصطلحات ، وكذلك تيرمنت (Termnet) وهي الشبكة الدولية للمصطلحات التي تأسست عام 1988 وتضم في اطارها أكثر من 200 مؤسسة وخبير يعملون في مجال علم المصطلحات ، وتقوم بتنظيم دورات تدريبية في مجال علم المصطلحات ، وتضم الشبكة حاليا خمسين ممونا من عشرين دولة . والمعهد الدولي للأبحاث المصطلحية (IITF) وهو المعهد الذي يقوم بكثير من اوجه النشاط المتعلق بالأبحاث النظرية والتطبيقية في مجال المصطلحات ، ويشكل منبرا عالميا لتبادل الخبرات والمعلومات بين المؤسسات العلمية العاملة في هذا المجال

من جهة والخبراء الافراد ايضا فيما بينهم . ويصدر المعهد المذكرات والوقائع والاصدارات المتعلقة بعلم المصطلحات .

ويمكن الحصول على معلومات أكثر تفصيلا عن القطاعات العاملة في المجال المصطلحي في العالم عن طريق الانترنت على الموقع التالي :

www.infoterm.or.at./global.html

بالاضافة الى العديد من المؤسسات العالمية في كندا واسبانيا وايطاليا والمانيا وبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية وفرنسا وغيرها والتي يمكن متابعة نشاطاتها من خلال مواقعها في الانترنت (3) .

على المستوى العربي برزت العديد من الجهود المؤسسية التي عنيت بتوظيف امكانيات الحاسوب لخدمة نشاطها المصطلحي ، خاصة في مجال التوثيق والخزن والاسترجاع، وتوجد -على حد اطلاع الباحث- ثلاث مؤسسات عربية تملك بنوكا للمصطلحات وهي معهد الدراسات للابحاث والتعريب في الرباط ، ومجمع اللغة العربية الاردني بعمان، ومدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية بالرياض .

قاعدة المعطيات المعجمية (معربي) :

أنشئت هذه القاعدة عام 1978 في معهد الدراسات والابحاث للتعريب بالرباط بمساعدة من اليونسكو وبرنامج الامم المتحدة للتنمية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، حيث كان يتم تخزين معطيات (معربي) في حاسب (الأسرين) الموجود في مدينة (فرسكاتي) قرب روما ، ضمن اتفاقية التعاون ، وذلك حتى عام 1982 حيث تم انشاء مركز حاسوبي خاص بالمعهد .

ويؤكد المعهد ان قاعدة المعطيات التي يملكها ليست بنكا مصطلحيا بمعنى انه قاموس محوسب متخصص مرصود لاستخدام المترجمين على وجه الخصوص ، بل هو أساسا اداة عمل للمصطلحيين ، حيث ان المعلومات المخزنة غير منتقاة وحشوية الطابع (حيث يتم اقتباس المصطلح من عدة مصادر) ويعتبر المعهد هذا الوضع ضروريا لأنه يقدم لعلماء

المصطلحات منظرًا عامًا متنوعًا يبرز الاختلافات الموجودة في الاستخدامات والصياغة الحالية للمصطلح في سبيل طريقة أفضل للضبط المصطلحي والتوحيد اللغوي (5) .

وعليه فإن قاعدة (معربي) ذات طابعين أساسيين :

- 1 - أنها قاعدة توثيقية (أي جامعة لوثائق متعددة ومن صنف واحد معجمية او قاموسية)
- 2 - أنها قاعدة مرجعية ، اذ انها تستجيب لحاجات الباحث في مجال المعاجم بحيث يمكن الحصول مع المعلومة الموجودة في مئات الوثائق في وقت واحد. ويؤخذ على القاعدة انها ذات اطار محلي ضيق والوصول الى معطياتها كان أمرا صعبا .

بنك المصطلحات في مجمع اللغة العربية الاردني :

انشأ مجمع اللغة العربية الاردني في عام 1985 بنك المصطلحات الخاص به، وذلك للافادة من تقنيات الحاسوب وبرمجياته في تخزين المصطلحات العلمية والفنية ، ومن أجل تيسير عملية الترجمة والتعريب على المختصين والمهتمين في هذا المجال ، وذلك ضمن اطار أعمال المجمع . وقد كان البنك يطمح لتحقيق اهداف أكثر شمولية تتمثل في تأسيس خدمات مصطلحية ولغوية محوسبة تخدم المستفيدين ، بالاضافة الى تطوير امكانياته ليعمل على تصميم أدوات حاسوبية لتحسين معالجة اللغة العربية بالحاسوب ، وكذلك لتطوير المنهجيات النظرية والتطبيقية للعمل المصطلحي عن طريق البحث العلمي والتدريب وفق الاسس الحديثة لعلم المصطلح (6) .. ونظرا لعدم امكانية الاتصال بالبنك فاننا قد لا نتمكن من اعطاء تصور دقيق عن الحالة التي وصل اليها الآن .. مع الترجيح انه لم يتجاوز مرحلة التوثيق لبعض اصدارات المجمع .

البنك الآلي السعودي للمصطلحات :

بدأ البنك الآلي السعودي للمصطلحات بمدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية كفكرة عام 1983 ، حيث تولت لجنة خاصة وضع اللمسات الاولى للمشروع، كما قام وفد من المدينة بزيارة أهم بنوك المصطلحات المعروفة في اوربا الغربية - اذناك - بالاضافة الى زيارة منظمة المقاييس الدولية في جنيف ومركز معلومات المصطلحات (انفوتيرم) في

فينا . بعد ذلك بدأ العمل في تطوير البرامج اللازمة لإدخال واسترجاع بيانات المصطلحات في الحاسوب الرئيسي للمدينة ، وكذلك تم اختيار الطرفيات الملائمة ، وفي عام 1986 بدأ الإدخال الفعلي للمصطلحات بدءا بإصدارات مجامع اللغة العربية ومكتب تنسيق التعريب، وخلال السنوات الأولى انصب الاهتمام على الحصر والتخزين .

لقد كانت أهداف (باسم) في السنوات الأولى من انشائه تطمح الى ان تجعل منه اداة تساهم في دعم برامج حاسوبية تعنى بمسألة الترجمة الآلية . إلا ان الامكانيات المتاحة وبرامج العمل قصرت عن بلوغ هذه الغاية ، فظل باسم بنكا للمصطلحات ملتزما بالمعايير الحقلية لبنوك المصطلحات المعروفة .

لقد كانت هناك جملة من السليبات التي رافقت تجربة العمل في (باسم) منها:

1- كان هناك ضعفا في تصنيف المشروع ، فهو بدأ كنواة لبرنامج كبير للترجمة الآلية وانتهى الى قاعدة بيانات مصطلحية .

2- الاديات المحفوظة في ارشيف المشروع ، لم تعنى بوضع استراتيجية عمل تعتمد على منهجية واضحة ومحكمة تعنى بأساليب اختيار المصطلح ومعايير المفاضلة وأساليب الترجمة والتعريب .

3- تجاوز المشروع إطاره التوثيقي الى المشاركة في وضع المصطلح العربي ، وبرز ذلك من خلال العقد الموقع مع شركة (سيمتر) الألمانية ، دون توفر الاطار المنهجي والفني الذي يتصدى لمثل هذ المهمة .

4- اتساع دائرة التوثيق لمصادر تفتقد أحيانا لشروط التوثيق ، ساهم في زيادة مخزون البنك زيادة كبيرة ..دون توفر الاطار الفني بما فيها الكوادر المهنية القادرة على مراجعة وتدقيق الكم الكبير من المصطلحات المخزنة.

5- خدمة المستفيد لم تكن مطروحة في السنوات الأولى من عمر المشروع ، وعندما باتت هذ المسألة أكثر إلحاحا ، كان هذا يتطلب تحديث الآلاف من السجلات المخزنة ، وهيئة البرمجيات اللازمة لنظام الاسترجاع خارج المدينة .

هذه بعض الاشكالات التي اعترت العمل في مشروع (باسم) .. والتي حتمت البحث في اقرار وتنفيذ استراتيجية خاصة بالبنك ، تم على ضوئها احتواء تلك المشكلات قدر الامكان ، وتوفير الحد الادنى من شروط العمل المصطلحي المتعارف عليه .. وهذه الاستراتيجية مدونة وسبق ان عرضت في مؤتمر سابق حول بنوك المصطلحات (7) .

ماهو مستقبل بنوك وقواعد البيانات المصطلحية ؟

السؤال المطروح الآن ماهو مستقبل بنوك المصطلحات في وقت تنتشر فيه الانترنت على نطاق واسع وغير مسبوق .

من المؤكد ان الدعوات القديمة للبحث عن صيغة مناسبة لتنفيذ شبكة عربية للاعلام المصطلحي ، لم تعد الآن ذات أهمية .. فلقد جاءت شبكة الشبكات (الانترنت) لتتيح الفرصة كاملة وعلى نحو غير مسبوق لوضع كافة تلك البنوك على الشبكة ، وقبل الاشارة الى بعض التصورات النظرية حول هذه المسألة يمكن تقديم تصور عن أهمية هذه الشبكة ، وما يتوفر فيها حاليا من أنشطة تتعلق بالمصطلح على نحو يقرب الصورة الذهنية لمستقبل المصطلح العربي عندما تفتح آفاق العمل المصطلحي في الانترنت .

قد يتعذر أحيانا تصور النمو العجيب في شبكة الانترنت التي فاقت كل التصورات المتوقعة والتي تقدر بمعدل نمو يتجاوز مائة مليون مشترك في العام ، ولإعطاء تصور عن حجم النمو في هذ الشبكة في جانب واحد فقط ، تشير أحدث التقديرات الاقتصادية الى ان التعامل الاسبوعي في المعاملات المالية - وحدها- وصل عن طريق الانترنت الى 1400 مليار / اسبوعيا ، وان هذه التجارة الالكترونية تتزايد بمعدل 10% شهريا . ويقدر نائب مدير البنك الدولي الى انها ستصل الى 5% شهريا من مجموع التجارة العالمية في العقد الاول من القرن الحادي والعشرين ، كما سيصل عائد التجارة الالكترونية الى 1000 مليار عام 2003 مقابل 26 مليار دولار عام 1997 (8) .

هذا على المستوى التجاري ، إلا انه من المهم ادراك ان الانتشار السريع للانترنت ظل متباينا بين الدول الاوربية والولايات المتحدة الامريكية من جهة وبقيه دول العالم من جهة اخرى ، فبالاضافة الى الاسباب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يعزى اليها هذا

التباين ، إلا ان هيمنة اللغة الانجليزية على الشبكة وهي التي تستأثر بـ 75% من استخدامها قد يبرر ايضا مثل ذلك التباين ، وأحيانا يساهم في اضعاف امكانية الاستفادة من خدمات هذه الشبكة على نحو أكثر فعالية بالنسبة للغات الاخرى .

الجاناب الذي يعيننا هنا ان تبقى الانترنت كما يقول تيم بينرز لي مبتكر هذه الشبكة..أداة بحث عن المعلومات وأداة اتصال ، وهي طريقة جديدة مستحدثة للتفكير ووسيلة هائلة للحرية والنمو الاجتماعي لم يتوفر لها مثل في التاريخ من قبل .

السؤال المهم الذي ينبغي ان نجيب عليه ، ماهو مستقبل بنوك وقواعد البيانات المصطلحية امام هذ الثورة المعلوماتية - الاتصالية الالكترونية التي تتجسد في شبكة الانترنت . وهذا ما سنحاول ان نجيب عليه في الجزئية التالية .

المصطلح والانترنت :

اذا كانت الانترنت اتاحت فضاء معلوماتيا واسعا ، حتى لكأنها تبدو مكتبة عصرية شاملة غير محددة بزمن ، تضم الى فضائها الافتراضي بحمل الانتاج المعرفي الذي ابدعه العقل البشري ..فإنها بلا شك ضمت ايضا الكثير من أوعية النشر المصطلحي في اللغات الاجنبية بصفة خاصة ..من خلال اتاحة مئات المعاجم والموسوعات ، وغالبية بنوك المصطلحات والمعاجم المتخصصة . كما انها استوعبت كثير من الهيئات العاملة لمجال علم المصطلح ، مما اتاح قنوات اتصال بين المهتمين بهذا العلم لبناء علاقات معرفية تبادلية بين هذه الهيئات .

ولتدليل على النمو السريع لمواقع المصطلحات وموجوداتها على شبكة الانترنت رصد

أحد الباحثين (3) التطور في موجودات موقع مشهور في الانترنت هو one look

Dictionaries في الموقع:

(index.htm)

وهو الموقع الذي يضم قائمة متنامية للمعاجم والمصادر في بعض فروع العلوم كاللغويات والانسانيات والادارة والحاسوب والطب والتغذية واللغات ..وقد وجد الباحث عند بداية الرصد خلال صيف عام 1999 ان عدد المعاجم التي يضمها الموقع 550 معجما

ومسردا متخصصا بمجموع مدخلاتها 2576663 مدخلا، وفي نهاية مدة الرصد (اي بعد خمسين يوما) اصبح عدد المسارد 576 تضم 2866454 مدخلا، مما يعني ان عدد المعاجم والمسارد في الموقع ازدادت ستة وعشرين عنوانا جديدا، بلغت محتوياتها 289791 مدخلا موزعة على المعاجم والمسارد المضافة، اي ما يشكل 5915 مدخلا يوميا، اي بمعدل 250 مدخلا في الساعة. وكانت نوعية تلك المصطلحات المضافة توحى بأن النشاط العلمي هو الاكثر حركة وتناولا.

هذه النتيجة اعتبرها الراصد دليلا على حركة ولادة المصطلحات الجديدة في العالم وهي أكبر من الارقام المستدل بها في هذه الورقة (1) وهي وان كانت توحى بازدياد أهمية الشبكة في نشر وتداول المصطلح، إلا ان هذا الرصد بقدر ما يعطي دلالة على أهمية التوسع في استخدام شبكة الانترنت في مهمة النشر المصطلحي لا يعني بحال مستوى التقدم في حركة العلم ذاته، والذي يتطلب حصر ومتابعة متعددة الجوانب والمصادر.

إن أهم العناصر التي تخدم العمل المصطلحي والتي توفرها الانترنت ربما تمثل في الآتي :

1- استيعاب كم كبير من المصطلحات في اوعية معلومات غير تقليدية وطرحها للمستفيدين عبر امكانيات التواصل المتاحة من خلال الشبكة، حيث يتاح للمستفيد الوصول الى مجموعة من المواقع الكبرى التي يسمح بعضها بالوصول الى مئات المعاجم في جميع المجالات بالاضافة الى بنوك المصطلحات. وما المثال السابق الذي اوردناه الا نموذج لتلك المواقع، وقياسا على هذا الموقع تتيح الشبكة كما هائلا من المعاجم وبنوك وقواعد البيانات المصطلحية التي توفر مصدرا ثريا لا حدود له للتعرف على المصطلحات المتخصصة التي لا يمكن بحال الوصول اليها عبر اوعية النشر التقليدية أو بنوك المصطلحات المعزولة.

2- اتاحة الفرصة لنشر المصطلح المستحدث في اللحظة الآنية لولادته واستخدامه، وللمستفيدين امكانية الاطلاع والمناقشة والاقتراح، وهناك الكثير من المواقع باللغات الاجنبية التي تتيح هذه الفرصة للباحثين وهي مواقع ذات اهتمام بمسائل علمية محددة، ولكنها تضيف الى مواقعها كم كبير من المصطلحات المستحدثة في مجالها لخدمة المتخصصين وزوار تلك

المواقع . بل ان الامر تجاوز ذلك الى توظيف الانترنت كأداة دراسة وبحث وهناك مواقع مثل منبر علم المصطلحات :

www.reimari.uwasa.fi/com/termina

يستعرض المراكز والمعاهد الجامعية والهيئات العاملة في مجال علم المصطلح ويقدم

المعلومات التي يحتاجها المهتمون بعلم المصطلح شأن العلوم الاخرى(3)

3- التطور الكبير في تقنية الحركة بين النصوص في الانترنت تتيح امكانية البحث والتجول حول مفهوم المصطلح في أكثر من حقل ومجال عن طريق القفز عبر عدة معاجم متخصصة وهذا يتيح استخلاص مدلول المصطلح في مجالات متعددة أيضا والتعرف على الواجهه الكاملة لاستخدامات المصطلح ..أي ان توفر تمدد أفقي واسع في المعاجم والمسارد المتخصصة بالإضافة الى تقنية البحث في مصادر متعددة في ذات الوقت انما يقدم استكشاف سريع وفاعل كأداة مهمة في دراسة المصطلح او استخداماته .

توظيف شبكة الانترنت لخدمة المصطلح العربي :

كيف يمكن توظيف هذا المعطى التقني الجديد في دعم العمل المصطلحي ،نشرا ودراسة واستخداما ..تلك هي المسألة التي تعيننا الآن ، وتوقع بعد ان اصبحت الانترنت الوسيلة الاسرع والاكثر فعالية والاسرع انتشار ، ان ينال علم المصطلح والنشر المصطلحي بعضا من فوائدها ، تلك الفوائد التي تتحقق بعدة صياغات من أهمها :

1 - ان التواصل بين قواعد البيانات وبنوك المصطلحات القائمة في البلاد العربية، لم يعد مشكلة ، فلم تعد الحاجة قائمة الى شبكة اعلام مصطلحية كما كانت الاقتراحات في السابق ، والتطور الذي حققته الانترنت يتيح الآن وضع قواعد البيانات على الشبكة ، وهذا يحقق التواصل مع تلك المؤسسات المعنية بالنشاط المصطلحي كما يحقق للمستفيدين إما كانوا الاتصال بتلك المواقع والحصول على المعلومات اللازمة .

2 - يمكن تطوير الاستفادة من تلك المواقع التي تتيحها النشاطات المصطلحية التقنية في بعض البلاد العربية الى مدى اوسع، يتيح تحقيق صفة المدارس والمناقشة والاقتراحات للوصول

الى الصيغة الامثل للبناء المصطلحي ، خاصة فيما يتعلق بالمصطلحات المستحدثة والتي تتطلب التعريب والترجمة.

3 - يمكن لكافة الجهات المعنية بالدراسات المصطلحية الاكاديمية في البلدان العربية، تصميم مواقع لها في الانترنت تتيح لها التعريف بنشاطاتها العلمية والتواصل مع المستفيدين على نحو افضل ، ليس في الوطن العربي فحسب بل وعلى امتداد العالم .

4 - يمكن للمؤسسات العربية الرسمية كمكتب تنسيق التعريب ، ومجامع اللغة العربية والاجهزة الاخرى المنتشرة في البلاد العربية . التي تعنى بالمصطلح او بقضايا التعريب والترجمة والنشر ان تضع انتاجها من المعاجم الموحدة وكذلك الاصدارات الاخرى في مواقع متخصصة على الانترنت، تتيح نشرها بين ابناء العربية على اوسع نطاق ، مع خفض حجم النشر التقليدي ،الذي مهما بلغ فهو اعجز من ان يصل للمستفيدين، الذين كثيرا ما عانوا من ضعف التواصل مع هذه المؤسسات وغيرها .

تلك ربما كانت أهم الخطوات الممكنة والسهلة لتوسيع رقعة الاستفادة من العمل المصطلحي القائم في البلاد العربية ...وهي خطوات عملية وممكنة ولا تكلف الكثير، وعائدها سريع ومتحقق . ولعله تجدر الاشارة هنا الى بعض المحاولات الجيدة التي تبنتها بعض المؤسسات الخاصة لنشر بعض انتاجها على الانترنت ، وهو ما فعلته شركة رائدة في توظيف التقنيات المعلوماتية لخدمة اللغة العربية وهي مجموعة العالمية (صخر) التي وضعت على شبكة الانترنت قاموس صخر متعدد اللغات ، وقاموس مصطلحات الكمبيوتر ، وغيره ويمكن الاطلاع على نشاط الشركة في مواقعها التالية :

www.alqmoos.com

www.alnadi.org/main-page

www.sakhrsoft.com

www.lexicons.sakhr.com

ومن الجدير بالذكر ان الشركة بدأت في الاونة الاخيرة تنفيذ برامج - اصبح بعضها تحت التحريب - لتعريب أي نص في أي موقع على شبكة الانترنت . وتلك حسنة

عظمى تحمد لهذه الشركة التي خدمت اللغة العربية على نحو غير مسبوق . وعنوان موقع
صخر لترجمة الانترنت هو :

أو <http://206.103.30.150/newtest4>

<http://163.121.208.109/sitei>

كما ان هناك مجهودات فردية لدعم العمل المصطلحي باللغة العربية على شبكة الانترنت ،
فالموقع :

www.lai.com.arabdickt.txt

للباحث الامريكى جون هينتون ، يقوم على حصر مجموعة القواميس والمسارد ثنائية اللغة،
العربية الانجليزية من جهة والانجليزية والفرنسية من جهة اخرى ، وقد حصر حسب ما
أعلنه 181 مؤلفا يمكن الاطلاع على سبعين عنوانا منها في ذلك الموقع .
ومن الجدير بالذكر ان البنك الالى السعودي للمصطلحات (باسم) يسعى لوضع مادته
على شبكة الانترنت من خلال صفحة مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية على الموقع
التالي :

<http://asb.kacst.edu.sa/srchpage/basem.html>

وتجرى حاليا التجارب النهائية لنشر محتويات البنك .

كذلك تسعى المدينة لنشر قاعدة الكتب العلمية العربية التي تضم أكثر من 18000 سجل
للكتاب العلمي العربي والمعجم المختص وستكون القاعدة متاحة على الموقع التالي :

<http://asb.kacst.edu.sa/asb.html>

الخلاصة ان الانترنت هذه الشبكة العملاقة ، هي التي ستتيح المزيد من التواصل بين
قطاعات مؤسسية عربية تعمل في المجال المصطلحي والمستفيدين مؤسسات كانوا ام افراد ،
وهي التي ستعزز توسيع امكانيات النشر على نحو غير مسبوق ، وهذه التقنية تحتاج الى ان
ينادر لتوظيفها في خدمة النشاطات القائمة وتوسيع امكاناتها لخدمة قضايا التعريب ، والتي
نتعتقد ان تطوير البرامج الحاسوبية العربية ومواءمتها مع الانترنت كفيل بتذليل عقبات
الانتشار والتواصل اللتين كانتا تمثلان أهم اسباب ضعف انتشار المصطلح العربي وضعف
التواصل بين العاملين في مجاله.

المراجع :

- 1 - عمرو أحمد عمرو ، دراسة منهجية للمصطلح أساسها التقييس والحوسبة، ندوة التعاون العربي في مجال المصطلحات علما وتطبيقا، تونس 7-10 يونيو 1986 .
- 2 Le Grand Dictionnaire Terminologique (www.olf.gouv.qc.ca/ressources)
- 3 - دحام العاني ، انتشار المصطلح العلمي بالانترنت ، ندوة اقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلمي العربي وسبل توحيدہ واشاعته، دمشق 25-28 تشرين اول 1999 .
- 4 - على القاسمي ، المعاجم العربية المتخصصة ومساعدتها في الترجمة ونقل التكنولوجيا، اللسان العربي ، ص 45 ، 1985 .
- 5 - ليلي المسعودي، قاعدة المعطيات المعجمية: معربي، اللسان العربي، مجلد 25، ص 95، 1985 .
- 6- فارس الطويل ، نحو منهجية شاملة للعمل المصطلحي، ندوة تطوير وضع المصطلح العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحد واشاعته، عمان 19-21 ربيع الاول 1414هـ .
- 7- عبدالله القفاري ، نحو استراتيجية شاملة للبنك الآلي السعودي للمصطلحات، ندوة التطبيقات الحاسوبية في المجال المصطلحي(بنوك المصطلحات وتقنية الاتصال) مكتب تنسيق التعريب، الرباط 13-17 ديسمبر 1997 .
- 8- اسماعيل سراج الدين ، ندوة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، تغطية صحيفة الاهرام القاهرة ، العدد 41015 في 24/3/1999 .

المصطلح بين التوليد والنسقية

ذ. عبد الرزاق توراي

معهد الدراسات والأبحاث للتعريب

تقديم

ننتقل في معالجتنا للاصطلاح من المنطلقين التاليين: يجب أن يرتبط المصطلح بالتوليد الآلي، من جهة، نظرا للحاجة الملحة للعديد من المصطلحات، ويجب أن يرتبط، من جهة أخرى، بنسق اللغة العامة، في أصواتها، وصرفها، وتركيبها، ودلالاتها، إلخ، حتى لا يكون المصطلح شاذا عن الذوق العربي.

فالبرامج الاصطلاحية القائمة على التوليد تمتاز بقدرتها على توفير مادة غنية، عبارة عن ألفاظ جديدة، أو توسيعات جديدة للمعنى، أو ارتصافات (collocations) ممكنة... إلخ، يمكن الرجوع إليها متى كانت الحاجة إلى ألفاظ أو عبارات أو معاني جديدة. وهذه المصطلحات يجب أن تستجيب لنظام وضوابط اللغة العامة.

وإذا كان التوليد ينتج خروجًا لانهائية، رغم انطلاقه من أبجديات محدودة، فإن استغلال بعض الخروج أو عدم استغلالها لا يكون، بالضرورة، عشوائيًا، وإنما هناك ضوابط مختلفة تقيد خروج التوليد، وتفصل بين الصور النسقية وغير النسقية. والصور النسقية قد تكون واردة في المعاجم العامة والخاصة والنصوص، أو تكون كامنة في الذهن.

وننتقل في معالجتنا للمصطلح من برنامج المولد المصطلحي (GENTERM)، الذي يسعى معهد الدراسات والأبحاث للتعريب إلى تطويره واستغلال نتائجه. الورقة منظمة كالتالي: في النقطة الأولى، نقدم نظرة موجزة عن المصطلح وآليات إيجاداه وعلاقته باللغة العامة. ونخصص النقطة الثانية للحديث عن كيفية توليد المصطلحات وعن

مشروع المولد المصطلحي والمكونات التي يحتويها. وفي النقطة الثالثة، نتحدث عن نسق المصطلح والضوابط التي يخضع لها.

1. المصطلح

يحدد المصطلح باعتباره وحدة لغوية تمثل لمفهوم محدد داخل لغة الاختصاص. وتحدد لغة الاختصاص بدورها كنسق فرعي يشمل المصطلحات (ووسائل لغوية أخرى)¹، وينقل معارف تفاوتت درجة اختصاصها ودقتها وكذا استغلاقتها بحسب طبيعة هذه المعرفة وبمجالها. ولا يعني هذا أنها لا تمت بصلة للغة العامة، وإن كانت عملية إغنائها تتم على حساب اللغة العامة. فلغة الاختصاص، التي تنتمي المصطلحات إليها، إسقاط لنظام اللغة العام في مجال معرفي معين. أي أن لغة الاختصاص لغة طبيعية، مثل اللغة العامة. والأدلة على هذا كثيرة، منها أن لغة الاختصاص تشمل بالإضافة إلى المصطلحات قواعد اللغة العامة في أصواتها وصورها وتصريفها وتركيبها ودلالاتها، ولا تفرز أصواتاً أو قواعد لا يسمح بها نظام اللغة العام.² غير أن هذا لا ينفي وجود بعض التجاوزات والحاجة إلى مصطلحات جديدة، كما لا ينفي أهمية التخصص في الميدان. فواضع المصطلح تشترط فيه مجموعة من الشروط، منها أن يكون مختصاً في الميدان نظراً وتطبيقاً، وأن يكون مختصاً في اللغة العربية ونسقها، وأن يكون ملماً بلغات أجنبية أخرى.³ فهذا يعني، في ظل هيمنة التخصص، تعاوناً بين المختص في الميدان واللساني في جميع البرامج الاصطلاحية.

فلإيجاد مصطلحات جديدة، تلجأ اللغة العربية إلى مجموعة من الوسائل منها ما يلي:⁴
0- الاشتقاق، وهو بناء لفظ عربي جديد من مادة عربية متناسبة مع صيغة عربية. وتمثل له بالمقابل العربي لـ Bank. فهناك من عربها واقترح بنك، وهناك من اقترح لها كمقابل مصرف، المأخوذة من الجذر صرف والصيغة مفعل الدالة على المكان.

1- النحت، وهو أخذ كلمة من كلمتين أو جملة، نحو عاسوب مقابل Transputeur المنحوتة من عبر وحاسوب.

0- التركيب بأنواعه المختلفة، نحو لا تناظر في مقابل asymmetry.

1- التعريب، وهو التفوه بالكلمة الأجنبية وفق معايير النسق العربي، نحو برصة، مقابل Bourse، وتلدة، مقابل tilde.⁵ وقد يكون التعريب جزئيا، نحو بيولسانية في مقابل Biolinguistics.

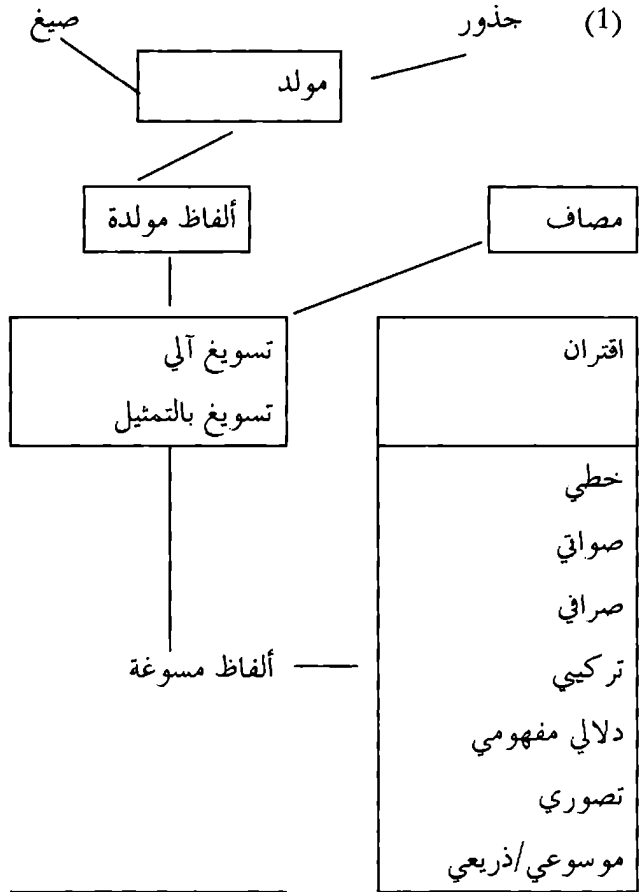
والمصطلحات المولدة يشترط فيها، بالإضافة إلى التوافق والاتفاق، خضوعها لضوابط اللغة العامة، حتى يتسنى التعامل معها بسهولة كما يتعامل مع كلمات اللغة العامة. فإذا كانت مخالفة لنسق اللغة، فإنها تعدل. والتعديل يكون أصواتيا، وذلك بإبدال الأصوات الأعجمية أصواتا عربية، أو صرفيا، وذلك بجعل الصيغة موافقة لصيغ اللغة العربية، أو أصواتيا صرفيا في نفس الوقت، وذلك بتغيير الحروف والصيغة في نفس الوقت.

2. توليد المصطلحات

المولد المصطلحي قاعدة معطيات ومعارف اصطلاحية تبنى عن طريق التوليد بالشكل الذي تولد به الصور المعجمية في اللغة العامة. وتضع هذه القاعدة لنفس القيود والمصافي (filters) التي تخضع لها الصور المعجمية المولدة. ويجمع بين آلتين: آلة حاسوبية مولدة، وآلة نحوية معجمية. فالمشروع يتميز بالتوليد، من جهة، وبالتقريب بين اللغة العامة ولغة الاختصاص، من جهة أخرى. يقول الفاسي الفهري (1996): " يهدف مشروع قاعدة الاصطلاح المولد GENTERM إلى بناء قاعدة معطيات مصطلحية متعددة اللغات باعتماد آليات التوليد. وبما أن كل لغة قطاعية (أولغة مختصة) ليست سوى إسقاط لنظام اللغة العامة في مجال معرفي معين، كما بينا، فإن عمليات الاصطلاح (أو التوليد المختص) يجب أن تغرف من إمكانات الصور أو العبارات المعجمية المتوفرة بهدف تسمية المفاهيم. والأساس الفلسفي الذي يسوغ اللجوء إلى التوليد في قاعدة الاصطلاح المولد هو أننا لا نخلق المصطلحات أو المولدات، بل نستعيد فقط ما هو كامن في اللغة ليصبح متداولاً بالفعل. [] ويحتاج المصطلحي المبدع إلى مدقق لساني خبير يكون بمقدوره تقييم الكفاية الإبداعية، ويحتاج

كذلك إلى أداة مساعدة تمكنه من إحصاء وجرد الإمكانيات التي تتيحها لغة معينة (أو لغات متعددة) ". وتظهر الخطاطة في

(1) مكونات المولد ومراحل التوليد وميكانيزماته.⁶



ويلاحظ من خلال (1) أن هناك أبجديات صوتية تولد الجذور والصيغ، التي تقرن بواسطة مولد عبارة عن قواعد التوليد. وتنتج عن عملية القرن ألفاظ مولدة عبارة عن جذوع بسيطة أو مركبة. وتخضع هذه الألفاظ لمصاف هي قواعد النحو. وتأتي، بعد هذا، عملية التسويغ، ويكون آليا، إذا تعلق الأمر بالصور الممكنة نسقا لكنها غير موجودة في المعاجم، أو بالتمثيل من خلال تحري وجود هذه الصور في المعاجم والنصوص. وتقرن الألفاظ المسوغة ببنيات

خطية وصواتية و صرفية... إلخ. وركز فيما يلي على عمليات توليد الألفاظ، وتحديد المصافي الصوتية والصرفية التي تقيد التوليد.

3. نسقية المطلحات

المصطلحات عبارة عن اقتران بين لفظ، وهو عبارة عن سلسلة من الأصوات اللغوية، ومعنى محدد. وهي في بنيتها الصوتية والصرفية مثل الكلمات المعجمية، إذ يمكن توليدها، في مرحلة أولى، من خلال أبجديات صوتية عبارة عن صوامت، لتوليد الجذور، وحركات (ولواصق)، لتوليد الصيغ، ثم قرن هذه الأبجديات فيما بينها وفق ضوابط اللغة العامة، في مرحلة ثانية، كما هو مبين في (1).

3.1. المصافي الصوتية

تولد الجذور العربية من أبجدية صامتية تتكون من 28 صامتا تتوزع على الطبقات التالية: الشفويات {ب، م، ف}، والتاجيات الرنينية {ر، ل، ن}، والتاجيات غير الرنينية {ت، ث، د، ذ، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ز}، والظهيريات {ك، ج، ق، و، ي}، ثم الحلقيات {ء، هـ، ع، غ، ح، خ}. ويكون التوليد بتحديد جميع إمكانات تأليف ثلاث صوامت أو أربع. والإمكانات المولدة فيها المستعمل والمهمل. والمهمل نوعان: نوع أهمل لأنه يخرق القيود النسقية للغة، ونوع أهمل لأسباب عارضة. وإذا رجعنا إلى معجم المعلومات، فإننا نجد مجموعة من الجذور، وهي مرتبطة بالمعرب أساسا، غير مستغلة في معاجم اللغة العامة، نحو مودم (modem)، وديود (diode)، وكبسولة (capsule)، وصمقل (transistor)، ودسيبل (decibel) إلخ. وهذه الجذور يمكن الحصول عليها بالتوليد، لنقصي بعد ذلك الجذور التي تخرق القيود النسقية للغة.

إن الجذور المهملة نسقا، هي الجذور التي لا تحترم الضوابط الصوتية العامة في (2) و(3).

(2) قيد لامتثال الصوامت (أ، ب) أ ≠ ب

(3) قيد لامتجانس الصوامت المخارج * [س] [س] حيث س = شفوي، تاجي، ظهري، حلقي

فالمصفاة في (2) تمنع تجاور صامتين متماثلين، نحو *ععع، *أمم، *ططد... إلخ. والحالات التي تخرق هذه المصفاة والتي ترتبط بالمعرب أساسا تثبت ولا تولد.⁷ والمصفاة في (3) تمنع تجاور الصوامت المتجانسة، نحو *ببم، *ععع، *ققك، *ظذث، *شذز... إلخ. فهذا هو الاطراد، والحالات الشاذة تثبت فقط. وقد عبر النحاة عن هذه القيود حينما لاحظوا أن تأليف الحروف على ثلاثة أضرب: تأليف الحروف المتباعدة المخارج، وهذا هو الأحسن، وتضعيف الحرف، خاصة في الأخير، وهو أقل حسنا، ثم تأليف الحروف المتجانسة أو المتجاورة المخرج، وهو المرفوض أو القليل الاستعمال.⁸ وقد سطوروا مجموعة من القيود الخاصة بامتثال الصوامت، يتضح من خلالها أن هناك صوامت لا تأتلف البتة، وأخرى قد تأتلف غير أنها تلتزم ترتيبا خاصا في تأليفها إذا خالفته حكم عليها بأنها دخيلة. ومن هذه الضوابط أن الجيم لا تجاور القاف، ولا تؤلف الشين مع الضاد، لكنها قد تؤلف مع الحروف الصفيرية، وهي السين والصاد والزاي، شرط أن تكون الشين مقدمة عليها، ولا تأتلف الحروف الصفيرية، ولا الدال والتاء والطاء، ولا السين والذال، ولا الراء واللام والنون، إلا في حالة واحدة هي أن يتقدم القوي، وهو الطاء والتاء والراء. ويمثل لهذا بسبرنيات (cybernitique) وكتودي (cathode) في معجم المعلومات. وليس في كلام العرب اسم آخره واو، أو له مضموم، مثل خسرو، التي عبرت كسرى على وزن فعلى أو فعلى وإبدال الخاء كافا... إلخ. والأمثلة التي تخرق هذه القيود ربطوها بالدخيل في الغالب، نحو كارنو (carnaugh) التي يمكن تعديلها بإضافة هاء السكت في آخرها لإغلاق المقطع المفتوح، فنحصل على كارنوه أو كارنه.⁹

لا يحتوي نظام الصوامت في العربية بعض الصوامت التي توجد في لغات أخرى، مثل v، و p، و g. وحين نريد تعريبها نبدلها بما يماثلها أو يجانسها من الصوامت، مع التخلي عن بعض السمات النطقية غير المميزة. فالصامت v، مثلا، صوت شفوي أسناني مجهور، ويبدل

بالفاء، لأنها تماثله في المخرج، وإن كانت لا تماثله في صفة الجهر، لأن الفاء مهموسة. وقد نقلت v واوا جريا على عادة السريان والترك. وتدخل p ضمن طبقة الشفويات. وهي المقابل المهموس للباء. وقد نقلت إلى العربية بما يماثلها، وهي الباء، أو يجانسها، وهي الفاء. وبالنسبة ل g ، فهي صوت منتشر في اللهجات العربية، لكنها لم تسجل في القراءات القرآنية، إلا في قراءة عدت شاذة. وتدخل ضمن طبقة الظهريات، وتقرب من الغين. وقد نقلت غينا، وجيما، وكافا.

2.3. المصافي الصرافية

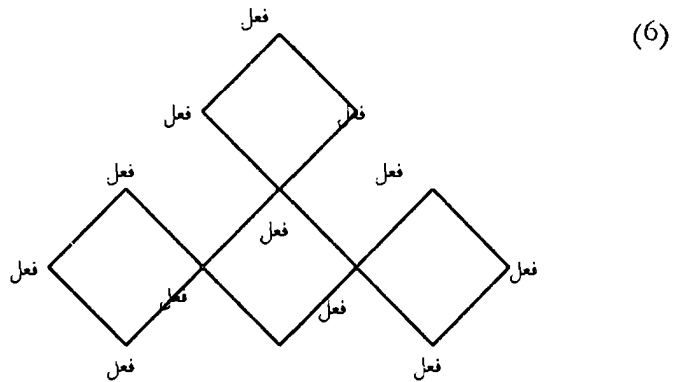
تولد الصيغ في اللغة العربية من أبجدية حركية تحتوي ثلاث حركات هي الفتحة والضمة والكسرة، وغياب الحركة، وهو السكون، وأمكنة صامتة متغيرة. وقد توصلنا في عمل سابق (تورابي (1998)) إلى توليد كل الصيغ العربية الممكنة بزياداتها المختلفة اعتمادا على الإطار النظري للسغروشي (1987) و(1988). وقد شغلنا الآليتين الصرفيتين في (4) و (5).

$$(4) \text{ آلية الوسم: } \perp \leftarrow \{ \text{ـَ} , \text{ـُ} \}$$

$$(5) \text{ آلية التحديد: } \perp \leftarrow \{ \text{ـَ} , \text{ـُ} \}$$

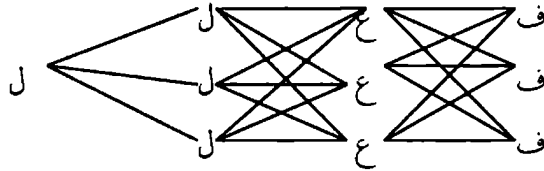
$$\Phi \leftarrow \{ \text{ـَ} , \text{ـُ} \}$$

فانطلاقا من الصيغة الثلاثية فعل، نولد كل صيغ الثلاثي الممكنة وعددها 12 صيغة، كما في (6).



وبتطبيق نفس الآليات على الصيغة الرباعية فعلل، نولد كل الصيغ الرباعية الممكنة، كما في (6).

(7)



ولأن المقاطع القصيرة تتعاقب فيها، ستخضع هذه الصيغ لقواعد الحذف في (8)، ليتقلص العدد من 27 صيغة إلى 18 صيغة منها تسع صيغ تبدأ بالسبب الخفيف، أي س ح س، وتسع أخرى تبدأ بوتد مجموع، أي س ح س س.

(8) أ. ح ← ∅ / # س ح س — س (ح س) #

ب. ح ← ∅ / # س ح س ح س — س #

ويولد الخماسي من الصيغة المحايدة فعللل. ويبلغ عدد الصيغ المولدة إحدى وثمانين صيغة. ونظرا لتعاقب المقاطع القصيرة في هذه الصيغ، فإنها تعدل بتطبيق (8أ) عليها مرة واحدة، للحصول على فعللل، أو مرتين، للحصول على فعلل، أو تطبيق (8ب)، للحصول على فعلل. وتطبيق الآليتين في (4) و(5)، نحصل على كل الصيغ الخماسية الممكنة. ستفرع عن فعللل سبع وعشرون صيغة، وعن فعلل تسع صيغ، وعن فعلل سبع وعشرون صيغة. والمجموع هو ثلاث وستون صيغة خماسية. ولكن الأمثلة التي تروى هذه الصيغ قليلة جدا.

وتولد الصيغ المزيدة انطلاقا من إدراج حرف من حروف الزيادة، التي تجمعها العبارة الشهيرة "سألتمونيها"، في الصيغ المولدة. ويلاحظ أن ما أورده النحاة من الأوزان لا يغطي جميع الإمكانات المولدة. والصيغ التي لا تتماشى مع ما أورده عدوها شاذة أو دخيلة. ومن هذه الصيغ فاعيل، نحو "قاييل" و"أمين"، وفاعل، نحو "آجر" و"كابل"، و"فعالل، نحو "سرادق" و"جوالق"، وفعلل، نحو "نرجس"... إلخ.¹⁰ فهذه الصيغ جيدة البناء ولا تتفرق

القيود النسقية في اللغة وبالتالي يمكن توليدها واستغلالها. والصيغ السيئة البناء هي تلك التي تخرق المصفاة في (9) ولا تحترم قيود البنية المقطعية، كما هو محدد في النقطة الموالية.

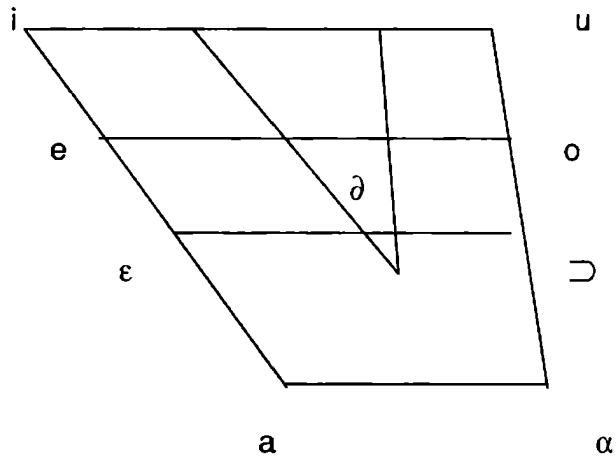
(9) [+عال] ⊂ [-عال]

فهذه القاعدة تمنع تجاوز حركتين عاليتين، وتضمن أنه إذا كانت هناك ضمة أو كسرة، فإن ما يليها هو الفتحة.

وتعرف الصيغ العربية تناوبات حركية ينبغي الاهتمام بها، كما في الجؤذر والجؤذر والجؤذر والجؤذر (ولد الناقة).¹¹ والتناوبات تحترم الآليتين في (4) و(5)، وبما يمكن رصد الصيغ والحكم على الكلمات التي تخرقهما. فالنسبة في اللغة العربية، مثلاً، تستلزم آلية التحديد التي بموجبها نحكم على لحن مصطلحات مثل إبطي، وكبدي، ودهليزي. والصواب إبطي وكبدي ودهليزي.

وقبل أن نختتم هذه الفقرة، نشير إلى أن نسق اللغة العربية الحركي يعد أبسط نسق حركي مقارنة مع الأنسقة الحركية في العديد من اللغات. وقد اشتقت منه كل الأنسقة الحركية المعقدة. وهذا يعني أن هناك حركات في اللغات الأجنبية ليس لها مقابل صوتي في العربية. وقد وقع تذبذب في نقلها إلى العربية. ومن أجل تقريب حركات اللغات، نأخذ الحركات المعيارية التسع التي حددها جونز Jones، وهي كما يلي:

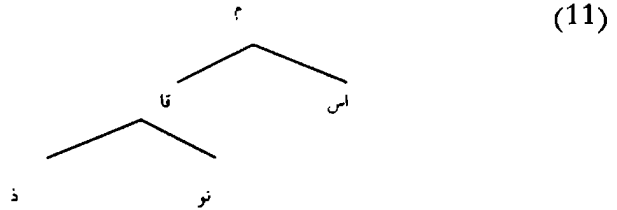
(10) الحركات المعيارية



لقد ركز جونز على وضع اللسان والشفيتين في نطق هذه الحركات. فهناك الحركات الأمامية، وهي في العمود [i-a]، والحركات الخلفية [u-α]، ثم هناك حركة وسطى. فبالنسبة لε، فإنها قريبة من الفتحة، ولذا ينبغي نقلها فتحة. وe قريبة من الكسرة، ويمكن نقلها كسرة. ونفس الشيء بالنسبة لـɔ التي تقترب من الفتحة الخلفية، وo التي تقترب من الضمة.

3.3. مصافي البنية المقطعية

يحدد المقطع (م) صواتيا باعتباره عجرة أم تشرف على عجرة الاستئناف (اس) والقافية (قا). وتشرف القافية (قا) على عجرة النواة (نو)، وقد تشرف على ذيل (ذ). ويمكن التمثيل له على الشكل الآتي:



وتتحدد نمطية المقاطع المعروفة فيما يلي: هناك لغات يكون فيها الاستئناف ضروريا أو اختياريا. وهناك لغات يكون فيها الذيل محظورا أو اختياريا. بعبارة أخرى، نجد أربعة أنواع من الأنسقة المقطعية، هي: س ح، (س) ح، س ح(س)، و(س) ح(س). ففي النسقين الأولين يكون الاستئناف ضروريا أو اختياريا والذيل محظورا، وفي النوعين الآخرين يكون الذيل اختياريا والاستئناف ضروريا أو اختياريا. ونقدم فيما يلي بعض القيود المقطعية التي يجب احترامها.

(12) قيد الاستئناف: *م ح

وتحترم العربية، كذلك، قيد الاستثناف غير المركب في (13)، الذي يقصي مقاطع من نوع *س س ح.

(13) قيد الاستثناف غير المركب: * (س س)

وإذا بدئ بساكن، فإن العربية تدرج حركة الوصل، وهي الكسرة غالباً، وتقحم همزة قبلها لإشباع قيد الاستثناف.¹²

وتحتوي العربية على مقاطع مرتبطة بالوقف، وهي س ح س(س)، وس ح ح(س). وقد وضعنا الساكن الأخير بين قوسين إشارة إلى أنه قد يشكل استثناف مقطع لاحق في حالة الوصل. وهذه الأنواع لا ترد وسط الكلمة. وإذا ورد المقطع س ح ح(س) وسط الكلمة فإن حركته تقصر، ويصير س ح(س)، كما هو واضح من قاعدة القصر في (14).

(14) قاعدة قصر

ح ح ← ح / — س {#، س}

ولكن نجد العديد من المصطلحات التي لا تحترم هذه القاعدة، نحو بايت (byte) وفاكس، وغيرهما. والعرب القدامى لما واجهوا كلمة بوستان الفارسية حولوها إلى بستان. فهذه، باختصار، أهم الضوابط التي تخضع لها البنية المقطعية في اللغة العربية، والتي ينبغي احترامها في وضع المصطلحات.

حاولنا، في هذه الورقة، أن نبين أهمية التوليد والنسقية في البرامج الاصطلاحية من قبيل المولد المصطلحي GENTERM، والتي تتجلى في توفير كم هائل من المصطلحات النسقية العربية لسد الحاجة إليها، والتقريب بين اللغة العامة ولغة الاختصاص، أو بين الصور المعجمية والمصطلحات، بصورة لا تكون فيها المصطلحات شاذة أو تفرز نظاما غريبا عن النظام النحوي للغة العربية. وحددنا، بعد ذلك، أهم الضوابط النسقية، وهي نفسها ضوابط اللغة العامة، التي يجب مراعاتها في وضع المصطلحات. فقد وقفنا خاصة على الضوابط التي تتحكم في بنية الجذر والصيغ ثم البنية المقطعية.

المراجع

- الأشهب، خالد: 1997، المصطلح: البنية والتمثيل، أبحاث لسانية 1، المجلد 2، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، 1985.
- ابن خالويه، الحسين بن أحمد، ليس في كلام العرب، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار مصر للطباعة، 1957.
- الأستراباذي، رضي الدين: شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق مجموعة من الأساتذة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982.
- الجواليقي، أبو منصور، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق ف. عبد الرحيم، دار القلم، دمشق، 1990.
- حجازي، محمود فهمي: 1993، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتبة غريب، القاهرة.

- السغروشي، إدريس: 1987، مدخل للصوارة التوليدية، دار توبقال، الدار البيضاء.
- السغروشي، إدريس: 1988، الصيغ في اللغة العربية، وقائع الندوة الأولى لجمعية اللسانيات بالمغرب، منشورات عكاظ.
- السغروشي، إدريس: 1991، حول الاشتقاق، تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، منشورات اليونسكو، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- السغروشي، إدريس: 1996، حول الاقتراض، اللسانيات المقارنة واللغات في المغرب، منشورات كلية الآداب بالرباط، ص. 127-139.
- سمارة، قاسم: 1989، التعريب جهود وآفاق، دار الهجرة، دمشق.
- سيويو، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.
- السيوطي، جلال الدين، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، دار الفكر.
- الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق، ديوان الأدب، تحقيق أحمد مختار عمر، منشورات مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1974.
- الفاصي الفهري، عبد القادر: 1996، قاعدة الاصطلاح المولد GENTERM: نظام للتوليد الآلي للمصطلحات والمولدات، سلسلة التقارير والوثائق¹، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط.
- الفاصي الفهري، عبد القادر: 1998، المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.
- معجم الطعامة، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط، 1999.

معجم المصطلحات البنكية، فرنسي-عربي، بنك المغرب، ط.2، الرباط، 1993.

معجم المعلومات، فرنسي-إنجليزي-عربي، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط،
1997.

معجم النباتيات، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، 1999.

References

Beesley, K.R.: 1991, Computer Analysis of Arabic Morphology: A Two-Level Approach with Detours, *Perspectives on Arabic Linguistics III*, Edited by B. Comrie & M. Eid, John Benjamins Publishing Company.

Brame, M.K.: 1970, *Arabic Phonology*, Ph. D., MIT.

Chomsky, N. and M. Halle: 1968, *The Sound Patterns of English*, New York, Harper and Row.

Fassi Fehri, A.: 1993, *Issues in the Structure of Arabic Clauses and Words*, Kluwer Academic Publishers, Dordrecht.

Fuchs, C.: 1993, *Linguistique et traitements automatiques des langues*, Hachette.

Goldsmith, J.: 1990, *Autosegmental and Metrical Phonology*, Basic Blackwell, Oxford.

Greenberg, J.: 1960, The pattering of root morphemes in Semitic, *Word* 6, p. 162-81.

ISO, 1087: 1990 (E/F), Terminologie, Vocabulaire, Normes internationales,

Jakobson, R. et L. Waugh: 1980, *La charpente phonique du langage*, tr. Alain Kihm, Editions de Minuit, Paris.

Jones, D.: 1947, *An Outline of English Phonetics*, Heffer, Cambridge.

Kenstowicz, M.: 1994, *Phonology in Generative Grammar*, Blackwell

Publishers.

Kurylowicz, J.: 1962, _____, Warszawa-Krakow,
Pologne.

Lass, R.: 1985, *Phonology*, Cambridge University Press.

Lerat, P.: 1995, _____, PUF, Paris.

McCarthy, J.: 1979, *Formal Problems in Semitic Phonology and Morphology*, Ph. D., MIT, Cambridge Mass.

McCarthy, J.: 1986, OCP Effects: Gemination and Antigemination, *Linguistic Inquiry*, 17, p. 207-264.

McCarthy, J.: 1989, Guttural Phonology, ms., University of Massachusetts, Amherst.

McCarthy, J. and A. Prince: 1990a, Prosodic Morphology and Templatic Morphology, in M. Eid and J. McCarthy, eds. *Perspectives on Arabic Linguistics: Papers from the second symposium*, Benjamin, Amsterdam.

McCarthy, J. and A. Prince: 1990b, Foot and Word in Prosodic Morphology: The Arabic Broken Plural, *Natural Language and Linguistic Theory* 8, 209-283.

McCarthy, J. and A. Prince: 1993, *Prosodic Morphology I: Constraint Interaction and Satisfaction*, ms., MIT Press.

McCarthy, J. and A. Prince: 1994, The Emergence of the Unmarked Optimality in Prosodic Morphology, *NELS* 24, vol.II.

Seghrouchni, D.: 1995,

Tourabi, A.: 1998, The Apophonic System of Standard Arabic, *Linguistic Research*, Vol. 3

Troubetzkoy, N.: 1949, *Principes de phonologie*, tr. par J. Cantineau, Paris

¹¹ ISO, 1087, 1990.

² نخيل في هذه النقطه على حجازي (1993)، والفاسي الفهري (1996)، والسفروشي (1996)، والأشهب (1997)، وبريسول (ضمن هذه الوقائع) من بين آخرين.

³ سمارة (1989)، ص. 246. وكمثال عن أهمية المختص في الميدان تجربة معجم النباتات (فرنسي/لاتيني-إنجليزي-عربي) الذي وضعه معهد الدراسات والأبحاث للتعريب. فقد طرح مشكل صفاة المصطلحات، وتطلب هذا دراسة مختصة من أجل فصل أنواع النباتات عن أجناسها، خاصة وأن معاجم النباتات الموجودة تخلط بينهما.

⁴ هناك وسائل أخرى نجدها مستعملة في معجم الطعامة، وهو من منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، منها أساسا اقتراض كلمات من العامية المغربية، بعد تصحيحها، إذا كانت أكثر استعمالا وقريبة من الفصحى. وهناك أيضا توليد مصطلحات جديدة قد تكون مستعملة في المعاجم العامة أو غير مستعملة.

⁵ للتفاصيل، انظر المزهري، وحجازي (1993). وبخصوص عمليات انتقال الوحدات المعجمية لتصير مصطلحات، نخيل على الأشهب (1997).

⁶ الفاسي الفهري (1996).

⁷ انظر المزهري، ج. 2، ص. 42.

⁸ سر الصناعة، ج. 2، ص. 816.

⁹ نخيل على مجموعة من المراجع، منها: سر الصناعة، وديوان الأدب، وليس في كلام العرب، والمغرب، ثم المزهري.

¹⁰ المغرب، ص. 26.

¹¹ نفسه، ص. 246.

¹² السفروشي (1987).

بناء معجم مفاهيمي للمصطلحات التكنولوجية الحديثة

ذ. بلقاسم اليوبي

كلية الآداب - مكناس

ملخص :

لقد غدت المعاجم الاصطلاحية ركنا مكينا في كل مكتبة، والدارس العربي هو في حاجة ربما لأكثر من معجم اصطلاحي يوفر له المادة ويسر عليه سبيل البحث والدراسة. وتزداد حدة هذه الحاجة لما يتعلق الأمر بميدان التكنولوجيا الحديثة لما تنتجه من مصطلحات جديدة بشكل مكثف ومستمر في الزمان والمكان. ولم يعد المستخدم المعاصر حرا في تعامله مع هذه المصطلحات وشبكاتها المفاهيمية، وليس له الوقت الكافي لكي يبحث عنها في القواميس الأجنبية المتعددة للتأكد من استعمالها. وعليه فإن الحاجة تتضاعف في أكثر من اتجاه لبناء معجم مفاهيمي للمصطلحات التكنولوجية الحديثة قائم على الأنظمة الحاسوبية الفائقة الوسائط ليسد ثغرة كبيرة ويعزز التكامل الوظيفي للأنظمة اللغوية العربية الخاصة بالدراسات المصطلحية وليوفر دعما حيويا للبحث العلمي وللمؤسسات التعليمية وتزويد الإدارات والشركات بأداة لا غنى لها عنها في عالم يموج بالجديد.

ما هو هذا النظام؟

ما هو هذا المعجم؟

كيف يشتغل كل من النظام والمعجم؟

ما هي مواصفات ومميزات المعجم المفاهيمي للمصطلحات التكنولوجية الحديثة؟

تلکم هي أهم الأفكار و الأسئلة التي تروم هذه المداخلة الإجابة عنها.

مقدمة: عن قضية المصطلح والتكنولوجيا

المصطلح قضية منهجية ذات أبعاد معرفية، يحمل في ذاته دلالات تعنى بالتوجهات الثقافية والفكرية للشخص الذي أنتجه والمجتمع الذي أنتج فيه. وهو يقوم في إنتاجه على أبعاد قانونية/شرعية ولغوية، ومواضع واستعمالات عرفية. ونظرا لهذه الحمولات والأبعاد فقد غدا كثير من المصطلحات نسيبا في مضامينه الدلالية وإيجاءاته المعرفية. إذ المضامين والدلالات والإيجاءات تختلف باختلاف الحمولات الثقافية ومكوناتها، بما في ذلك تأثيرات المحيط والأبعاد النفسية والطبيعية والفلسفية التي تحكمت في إنتاج المصطلح القضية. واستنادا إلى التنوع والاختلاف المذكورين، غالبا ما تنتج اختلافات في الأحكام والأطروحات، قد تصل إلى حد التناقض. ولكن العلماء يعتبرون ذلك من عوامل الثراء العلمي/المعرفي، ويعتقدون أنه لا غنى عنه في إطار التفاعل الفكري داخل المجتمع الإنساني. وقد أدى هذا الثراء إلى:

- إنتاج واستحداث قوائم مصطلحات في ميادين معرفية متعددة،
- صناعة معاجم مصطلحية في قطاعات معرفية مختلفة تخدم الإنسان ولغاته وثقافته،
- ظهور بنوك وشبكات المصطلحات تسعى إلى ترميز المعرفة رقميا انطلاقا من قضية المصطلح. وهي عبارة عن أنظمة معلوماتية متطورة تعمل على تدبير العمل المصطلحي وتنظيم المصطلحات ودراستها. ولقد بنيت بنوك وقواعد للمعطيات ومكانز خاصة بالمصطلحات في كثير من الدول سنذكر بعضها في هذا العرض.
- وكان من نتائج التطور الحاصل في ميدان التكنولوجيا المعلوماتية الحديثة أن طورت أنظمة خاصة بالمصطلح تعمل في بيئات الشبكات المحلية Intranet و Extranet إذ صممت فيها مواقع للمصطلحات وبعض المعاجم الخاصة بالدراسات المصطلحية.
- وبمجيء الثورة الاتصالية التي أحدثتها الشبكات العالمية للاتصالات أمكن الاستفادة من خدماتها المصطلحية في استغلال البريد الإلكتروني، ومواقع مجموعات الأخبار، والمعاجم الإلكترونية، وبروتوكولات نقل المراسيم والملفات، مما ساعد على التشبيك بين الجامع

والمعاهد والهيئات والمؤسسات والجمعيات التي تشتغل على المصطلح، وهو ما يسمى بالجامعة الإلكترونية للمصطلحات. وسنذكر أبرزها في هذا العرض.

واستنادا لواقع البحث المعرفي التكنولوجي في العالم العربي نلاحظ أن العمل المصطلحي التكنولوجي في شقيه النظري والتطبيقي لا يزال مرتبكا لاعتماد المشتغلين فيه على النقل المباشر عن اللغات الأجنبية الإنجليزية في الشرق والفرنسية في شمال أفريقيا. وهذا موضوع هام يحتاج إلى أن يفرد بفحص خاص ودراسة مؤسسة، فتركه إذن إلى حينه.

1- حاجتنا إلى معجم مفاهيمي للمصطلحات التكنولوجية الحديثة

لقد شغلت المصطلحات التكنولوجية المعلوماتية الجديدة في العقود الثلاثة الأخيرة اهتمام كثير من أهل العلم والثقافة في العالم العربي. فكان أن قامت بعض الجامعات والهيئات العلمية بالبحث في هذا المجال المعرفي الخاص وذلك بالمساهمة في وضع لوائح أو معاجم مصطلحية صغيرة. وقد ساعد ذلك على استعمالها والاستعانة بها في الدراسة والبحث. وكان من فضائل هذه الأعمال محور فكرة التشكيك في قدرة اللغة العربية على احتواء المفاهيم والاختراعات الجديدة وغناها لتقبل الاصطلاحات الغربية وتوليد مقابلات عربية فصيحة لها.

أما عن مسألة الإبداع، فالسؤال يبقى مطروحا لأنه وكما هو معلوم، توجد علاقة وثيقة بين لغة المتكلم وطريقة تفكيره، واللغة إنما تقرّر جوهر نمط التفكير. وهي تستطيع أن تعبر عن كل شيء إذا كان الشعب الناطق باللغة المعنية يملك الفكر القادر على الخلق والإبداع، ولغة ما عظيمة وواسعة الانتشار لأن الذين يكتبون بها يدعون بها وفيها. وربما لو كتبوا بأي لغة أخرى غير لغتهم لأصبحت تلك اللغة عظيمة وواسعة الانتشار⁽¹⁾.

هذا ونستطيع القول إن الباحث أو الدارس العربي يواجه اليوم تحديات على جبهات متعددة إن على مستوى التنظير والإبداع، أو على مستوى البحث والتعليم والإعلام. وهو على هذه الحال لا يمكنه مواجهة الإعصار المعلوماتي الجديد نظرا لضعف العدة المعرفية وقلة الأدوات العملية والإجراءات التطبيقية. إنه هنا إعصار من المصطلحات والمفاهيم التي تقذف بها تكنولوجيا المعلومات والمعلومات والاتصالات كل يوم. ولا يقتصر الأمر على حقول التقانة

والهندسة المعلوماتية والفضائيات، وإنما يشمل أيضا مجالات العلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، بل والحياة العامة في الشارع حتى دخول البيوت من غير استئذان. وهو ما يعبر عنه بمصطلح سوهو SOHO نسبة إلى الأحرف الأربعة الأولى من الكلمات التي تشير إلى مجالات استعمالها Smal Office/Home Office، وهو مصطلح يجيل على سوق الأعمال الصغيرة المكتبية والمترية التي أصبحت لها قيمة كبيرة نظرا لسهولة استخدامها ووظائفها المتعددة⁽²⁾.

وبصورة عامة لقد أصبح المستخدم المعاصر ملتصقا بالأدوات التكنولوجية المعلوماتية الجديدة. فهو يجد فيها ما يحتاجه سواء تعلق الأمر بالبحث العلمي، أو التواصل والاطلاع على ما يجري في العالم من حوله، أو مجرد التسلية والتثقيف. والمستخدم العربي لا يستثنى من هذه القاعدة. فهو كغيره من المستخدمين يقضي الساعات أمام الأجهزة الفائدية ليؤلف أو يكتب رسائله، أو ليتواصل مع أصدقاء له في العالم، أو ليفتح مواقع على شبكة من الشبكات ليتابع الأخبار. ووسط هذا التشابك الوظيفي المتنوع يحتاج إلى معجم متعدد اللغات يمكنه من التواصل والإبحار والتنقل بين جزر المعلومات، ويساعده على الفهم والإدراك والتفاعل والإنتاج.

تضاعف الحاجة إذن في أكثر من اتجاه لبناء معجم مفاهيمي للمصطلحات التكنولوجية الحديثة قائم على الأنظمة الحاسوبية فائقة الوسائط يسد ثغرة كبيرة، ويعزز التكامل الوظيفي للأنظمة اللغوية العربية الخاصة بالدراسات المصطلحية، ويوفر دعما حيويا للبحث العلمي، وللمؤسسات التعليمية، ويزود الإدارات والشركات بأداة لا غنى لها عنها في عالم يموج دوما بالجديد من المخترعات والإبداعات وما يرافقهما من مفاهيم وما يلفظ من مصطلحات.

ولا يخفى ما لفهم المصطلحات من دور فعال في فتح قضايا العلم والمعرفة والثقافة. وإنه لا يمكن إحداث نقلة علمية تكنولوجية مع استمرار القصور المعرفي المرتبط بهذا المجال وغياب أدواته ومفاتيحه الاصطلاحية المفاهيمية. إن تحديد المصطلح التكنولوجي المعلوماتي ودراسته واستعماله غذا حاجة يومية ضرورية لمواكبة ركب الحضارة وتقنياتها وإيجازاتها⁽³⁾.

ومن أجل المساهمة في تطوير الأبحاث والدراسات في هذا الحقل المعرفي الخاص نقترح هنا خطة عمل نظرية وتطبيقية تروم بناء موقع شبكاتي يهتم بالدراسات المصطلحية الخاصة بمجال التكنولوجيا المعلوماتية الحديثة تدبيرا وتنظيما. وطلبا للاختصار فإننا سنحاول هنا التعريف بطبيعة:

- النظام الذي نتوقع أنه سيساعد على بناء مثل هذا الموقع، موضحين جوهر الأنظمة المعلوماتية وكيفيات اشتغالها لخدمة المصطلح، المعجم المفاهيمي للمصطلحات التكنولوجية الجديدة ميرزين بعض مميزاته ومواصفاته وكيفية اشتغاله ضمن النظام المقترح.

2- طبيعة النظام المعلوماتي المعتمد في تنظيم وتدبير المصطلحات:

إن محاولة تتبع ورصد المصطلحات العلمية في مجال علم التكنولوجيا والمعلومات أصبحت عملية شاقة ومضنية، خاصة إذا ما اكتفي باستخدام الأدوات التقليدية واقتصر على القدرات العقلية للفرد. هذا مع العلم أن تراكم المعارف وتضخم المعلومات أسرع بكثير من الاستيعاب والفهم لدى المجتمع الإنساني. وكان لكل من التراكم المعرفي والتضخم المعلوماتي الأثر الواضح في التدفق المصطلحي في شتى مجالات العلم والمعرفة حتى تلك التي كانت تنعت بالضيق.

ومع نمو علم المصطلح والدراسات المتعلقة به بدأت تظهر تدريجيا صناعة المعاجم المحوسبة المختصة منها والعامية، تحت ما يعرف بـ المعاجم الإلكترونية التي تلتها أنظمة معلوماتية متعددة تمثلت أساسا في ما يعرف بـ بنوك المصطلحات. وقد ساعدت على ذلك القدرات الفائقة لتكنولوجيا الذاكرة التي ساهمت في تطوير وتعميق الدراسات المتصلة بمعالجة اللغات من خلال النصوص التي كتبت بها.

وكان للتواصل الثقافي بين الشعوب أثره البالغ في مضاعفة الطلب على المعاجم المتعلقة بمجال التكنولوجيا والمعلومات والاتصالات. وغير خاف ما تمارسه شبكات الاتصال من عوامل الضغط على طلب وترويج المصطلحات والمفاهيم التي تهتم بعالم الاتصال والتكنولوجيا

المعلوماتية والفضائيات والذكاء الاصطناعي حيث تتحايك العلوم وتتداخل المفاهيم وترتبط فيما بينها بشكل لا يمكن، أو على الأقل، يصعب فصله.

يعتبر المصطلح في المعاجم العادية ثابتاً، وهو موجود في نصوص جامدة مسجونة بين قضبان المسافات البعيدة والفارغة. وقد ظهرت أنظمة النص المتشعب أو المترابط وضمنها الوسائط المتعددة والمتشابكة، لتكسر قضبان المسافة، وتفتح باب المغلق، وتقوي الاتصال المباشر، فانفتحت أبواب الثقافة والمعرفة والعلم، ولم يعد الاحتكار ممكناً، على الأقل في مستوى الفهم والإدراك والاستيعاب.

ويصطلح على الأنظمة الرائدة في هذا المجال — الأنظمة فائقة الوسائط -Hypermedia Systems، وهي أنظمة منبثقة من التطور الهائل في تكنولوجيا الذاكرة Memory Technology. وهي تلك التكنولوجيات التي اخترعت عبر مراحل تاريخية لحفظ وتوثيق الأفكار والأحداث والقوانين. وتسمح لنا عن طريق عملية الحفظ والتوثيق أن نتذكر ونسترجع ونستفيد مما حفظ فيها. وبذلك أطلق عليها الذاكرة الاصطناعية Memory Artificial في مقابل الذاكرة البيولوجية.

ولعل اهتمام العلماء والباحثين بالذاكرة الاصطناعية يهدف أساساً إلى صنع أجهزة متطورة تقوي الذاكرة البيولوجية الإنسانية وليس إلغاء قدراتها، خاصة بعدما تبين عدم إمكان الوصول إلى تقليد الذكاء البشري في جميع خصوصياته. وكان هذا الإجراء مشجعاً على إقامة المقارنة بين كفاءات اشتغال الذهن البشري وبين الطرق الرياضية المنطقية التي تشغل وفقها التكنولوجيات المعلوماتية الاتصالية. وكان من نتائج هذه الإجراءات العلمية التكنولوجية بمختلف صورها أن أصبحت المعرفة قوة لا مرء فيها، ومصدرها الذاكرة البيولوجية الخاصة بالإنسان. وجاءت الذاكرة الاصطناعية التكنولوجية لتعظم وتضاعف من قوة الذاكرة البيولوجية وبالتالي من قوة المعرفة الإنسانية. ونعت التزاوج بينهما بالثورة الجديدة للأمم.

نعم إذا كانت المعارف الإنسانية هي نتاج التجريب، فإن التكنولوجيا هي مزيج بين العلم والمعرفة والتجريب. والذاكرة الإنسانية هي التي تمسك بمقود هذه المسيرة وهي التي تتحكم فيها.

لقد رافق الثورة المذكورة ظهور مصطلحات ومفاهيم جديدة تعبر عن المخاض الفكري والتطور العلمي اللذين طبعاً المرحلة التي غدا فيها التفاعل بين الآلات والإنسان أهم موضوعاتها. وهي مصطلحات ومفاهيم تفسر طبيعة التغيير الحاصل في علاقات التبادل والتنظيم بين بني البشر. فالطرق السيارة للمعلومات والشبكات المعلوماتية والوسائط المتعددة والفائقة والنص المتشعب أو الفائق والمحاكاة والعبحار والتفاعل والاتصال والتعلم عن بعد والمؤتمرات الحاسوبية وغيرها من المفاهيم، هي عبارة عن مصطلحات وتعابير جديدة تحفل بها الكتابات الورقية والإلكترونية على السواء. وغالبا ما يلجأ إلى توظيفها للتعبير عن مفاهيم ومضامين علمية وفكرية وثقافية جديدة ومتطورة تعكس نوعاً من التغير الناتج عن ثورتين تكنولوجيايتين متالتين كانت أولاهما ثورة الحاسوب الشخصي، تلتها ثورة الشبكات المعلوماتية للاتصالات.

والمعاجم المصطلحية عموماً، والمعاجم الخاصة بالمصطلحات التكنولوجية والمعلوماتية الجديدة تستفيد كثيراً في تصاميمها وهندستها من الأدوات المعرفية والتطبيقية التي توفرها هذه الأنظمة. أي أنها تجمع بين ما هو فكري معرفي وبين ما هو هندسي تكنولوجي تطبيقي. فما هي هذه الأنظمة وكيف تشتغل؟.

2-1: صورة عامة عن مفهوم الأنظمة الحاسوبية فائقة الوسائط

إن تفاعل المستخدم مع الأجهزة التكنولوجية المعلوماتية المتطورة وتلقيه للمعلومات متعددة الأشكال جعله لا يقتصر على العرض التقليدي لهذه المعلومات (مطبوعة أو إلكترونية)، بل فرضت عليه تقنيات جديدة تشتمل على غدراج الصورة الثابتة والمتحركة، وعرض البيانات مصحوبة بتقنيات الصوت والصورة والألوان إلى جانب النصوص المقروءة. وهو ما يسمى

بأجهزة الوسائط المتعددة Multimedia servers. وهي أنظمة تتيح معالجة البيانات المتعددة وإدارتها وتوزيعها بأشكال متعددة من مطبوعة وصوتية وغيرها (4).

الأنظمة الفائقة في مفهومها التكنولوجي هي عبارة عن نص متشعب معروض بواسطة أجهزة متعددة يطلق عليها وسائط الدمج والتكميل Un hypermdia est un hypertexte multimedia. كما تجب الإشارة إلى أن استعمالات هذه المصطلحات كانت (ولا زالت في بعض الأحيان) تختلف من منتج لآخر، وغالبا ما كان يتحدث عن مفاهيمها مجرد التقاء تقنيتين أو واسطتين داخل عملية حاسوبية معينة. وإذا كان من بين معاني الأنظمة الفائقة أنها نص فائق معالج بوسائط فائقة فإنها عبارة عن موسوعة كبيرة، وفي بعض الحالات مكتبة ضخمة تمكن من تنظيم المعلومات وتسهيل البحث.

وترتكز التعاريف التي تناولت هذه المصطلحات على الصفة التفاعلية التي تلصق بإحداها كلما ذكرت، وعلى مجموع العناوين والأعمال الإلكترونية المبرمجة في الأقراص المغناطيسية التي تستخدم لأغراض التسويق من أجل التعليم والتثقيف والترفيه. وهي في حقيقتها لا تعني الأجهزة والوسائط فقط وإنما أيضا المحتوى المضموني الذي تقترحه على المستعمل الزبون، وكذا النهجية وطرق البرمجة المعتمدة في التصميم والصياغة. وتناول هذه المصطلحات يتطلب التنبيه إلى البعدين معا، عتادا ومضمونا فركيا ومفاهيميا.

2-2 أنظمة الوسائط الفائقة: نظرة تاريخية موجزة

- ورد ذكر مصطلح الوسائط المتعددة Multimedia لأول مرة في محاضرة صحفية قامت بها شركة ميكروسوفت في سنة 1986، وكان ذلك بمناسبة أول محاضرة دولية حول تسويق القرص الخاص بالقراءة CD-ROM. ومن الدارسين من يرجع ظهوره إلى سنة 1984 وينسبه إلى شركة أبل Apple. ومنهم من يذهب إلى أبعد من ذلك فيرجع ظهوره في الصحافة الأمريكية إلى سنة 1976 (5).

- أما مصطلح النص الفائق (المتشعب أو المفرع) فقد بدأ يستعمل في الكتابات الصحفية ويتردد على اللسنة منذ منتصف الستينيات، وتساعدت أهميته مع التطورات السريعة

للتقنيات الحاسوبية. ويقوم مفهومه على فكرة إيجاد موسوعة عالمية تشبه قاعدة معطيات ضخمة تفتح الطريق نحو أبعاد جديدة للثقافة والتعليم والتكوين والبحث عبر روابط متنوعة يقيمها المثقفون والعلماء فيما بينهم.

تشمل أنظمة النص الفائت على مجموع الوثائق التي لا يحكمها التسلسل الخطي، حيث ترتبط كل قطعة من المعلومات مع مجموعات من القطع الأخرى تشترك معها بشكل واسع في وحدة الموضوع أو المجال.

ومن رواد هذه الفكرة والذين عملوا على تطويرها نذكر:

+ **Vannever BUSH** وآله **MEMEX (1945)**:

لقد بوش مقالا بمجلة Atlantic Monthly بعنوان:

As we may think - selon notre faon de penser يشرح فيه فكرته ومخططه عن آلة للمحفوظات والأرشيف أسماها ميمكس وتعني MEMory Extender، بإمكانها التخزين والربط التشابكي غير الخطي بين وثائق وصور عن مواضيع سياسية وعلمية وثقافية تسهل للباحثين العودة للمراجع والحصول على المعلومات المطلوبة بشكل سريع.

+ **Ted NELSON (1965)** وبرنامجه **Xanadu (1970)**:

بعد مضي عشرين سنة على فكرة الميمكس طور نلسون أول برنامج معلوماتي يعتمد الربط التشابكي والغير خطي للبيانات. كانت أفكار وأبحاث نلسون تدور كلها في فلك بنوك المعلومات واسترجاعها Database and Information Retrivial. وهو ما عرف فيما بعد بقواعد البيانات المتصلة او المباشرة Online-database التي تعتمد في تصميمها على الموصلات Links او الروابط بين أهداف Objects بعدية موزعة ضمن الشبكات.

+ **Douglas ENGELBART ونظام Augment (1968)**:

اشتهر إنجلبرت باختراعه لفأرة الحاسوب. وقد طور مشاريعه عندما كان يرأس معهدا للأبحاث في جامعة Standford حيث عمل فيه على تجريب أنظمة تعدد الشاشات على واجهة الحاسوب، وكذا خلق روابط متعددة بين المعطيات ووضع اشكال هندسية دينامية لعرض الأفكار النصية في مجموعة من العقد.

ومن أهم مشاريعه يذكر نظام Augment الذي هدف من ورائه إلى الرفع من مستوى الذكاء البشري. والنظام عبارة عن نص متشعب يشتغل وفق روابط ومنعرجات تؤدي كلها إلى جزر من المعلومات منتشرة في مناطق مختلفة من العالم. في سنة 1968 نشر مقالا يشرح فيه الخطوط العريضة لمشروعه وذلك تحت عنوان:

A Conceptual Framework for the Augmentation of man's Intellect.

وتبعه بمشروع آخر أنجزه عام 1968 أسماه NLS: On Line System وبناءه على نفس الأفكار التي جاء به سابقه بوش.

Bill ATKINSON + وبرنامج HyperCard (1978):

برنامج الهايبركاردي معروف بين أوساط المهتمين. وبهذا البرنامج ترسخت فكرة الأنظمة الفائقة وأثبتت فعاليتها وقدراتها المتميزة مقارنة مع أنظمة البرمجة التقليدية. وبمجيئه تمكن مصطلح النص الفائق والوسائط الفائقة ولوج التطبيقات التعليمية. وأصبحت كل هذه المصطلحات وما تحملها من مفاهيم شائعة وهي توظف في مجالات العلم والبحث والتعليم على أوسع نطاق.

3- المعجم المفاهيمي لمصطلحات التكنولوجيا الحديثة: المواصفات وكيفية الاشتغال

3-1 من المعاجم الورقية إلى المعاجم الإلكترونية إلى المكنز العامة والخاصة:

لقد مرت الصناعة المعجمية في علاقتها بالتكنولوجيا المعلوماتية بثلاث مراحل أساسية. عرفت الأولى منها بالمعجم الحوسبي أو المعجم الإلكتروني حيث خزنت المعاجم الورقية ذاتها في أقراص مدججة خاصة بالقراءة. وجمعت كثير من المعاجم في صياغة هندسية عامة فأصبحت في مرحلة ثانية عبارة عن مكنز معجمية هامة، وهي التي طورت فيما بعد لتصبح بنوكا معجمية عامة تعنى باللغة وخاصة تقتصر على مصطلحات علم معين⁽⁶⁾.

نشير هنا إلى أن المكنز هي التي عرفت رواجاً علمياً كبيراً، وقد ارتبطت أول الأمر بما يعرف ببنوك المصطلحات العالمية من مثل: TEAM الذي أسسته شركة سيمتر الألمانية سنة 1968، وEURODICAUTOM التابع للمجموعة الأوروبية أنشئ عام 1975، وILLOTERM من

تأسس منظمة العمل الدولية يضم كلا من اللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية، و TERMITE من تأسيس الاتحاد الدولي للاتصالات، والجموعة العالمية Global Group التي أقيمت في النمسا وتضم بنوكا مصطلحية مشهورة من مثل: INFOTERM و TERMENET و ISO و GTW.

3-2 المعجم المفاهيمي للمصطلحات التكنولوجية الحديثة:

يندرج هذا المعجم ضمن مشروع عام أسميناه لقمان الحكيم وهو عبارة عن نظام صمم أساسا لبناء برانيم تعليمية تعلمية خاصة بتعليم اللغة العربية وثقافتها وتعلمهما. والمشروع يروم تفعيل البحث العلمي الخاص بخدمة اللغة العربية ونشر ثقافتها، مع محاولة ربطهما بمستجدات التكنولوجيا الحديثة تنظيرا وتطبيقا. وقد يكون ذلك حافزا لظهور رؤى أكثر تطورا وإفادة.

وعلى عكس النظم التقليدية يروم لقمان الحكيم إلى أن يكون نظاما تعليميا استكشافيا ذكيا وخبيرا في مجاله، يستطيع معالجة المفاهيم والأفكار التي يتناولها المستخدم بطرق متعددة ومشوقة، وقادرا على تتبع خطوات المستخدم وإرشاده.

والمعجم المفاهيمي للمصطلحات التكنولوجية الحديثة جانب من جوانب الأعمال والخدمات التي يوفرها النظام لمستخدميه المتكلمين بالعربية سواء تعلق الأمر بكونها لغة للناطقين بها (لغة أم) أو لغة أجنبية.

كانت تلك نظرة موجزة عن الإطار الفكري والنظري لمشروع نظام لقمان الحكيم الذي يضم ضمن مكوناته الأساسية معجما مفاهيميا للمصطلحات التكنولوجية الحديثة. أما عن كيفية اشتغال هذه المعجم وأسس استعماله فيمكن تلخيص ذلك كما يلي:

يعتبر المعجم المفاهيمي أداة من أدوات استرجاع المعلومات المتعلقة بمجالات استعمال التكنولوجيا الحديثة. فهو يتيح للقارئ/المستعمل أن يجد المصطلح المستخدم في هذا التخصص، وكما هو متفق عليه في المعنى والاستدلال بين أهلها، ويقترح مقابلا له بالعربية مع عرض مضمونه ومحتواه عن طريق إعطاء نظرة وافية عنه. إنه معجم يسعى إلى حصر

مصطلحات الاتجاه العلمي التكنولوجي ويضبطها ويرتبها وفق نمط يسهل به استرجاع المصطلحات مع شروحيها وتفاسيرها المضمونية والنصية.

أما عملية البحث داخل المعجم المفاهيمي للمصطلحات التكنولوجية الحديثة فتتم وفق طريقتين متكاملتين متناغمتين:

1- الطريقة الأولى في البحث هي طريقة البحث عن مصطلح ضمن المعجم، وهي الطريقة العامة التي يمكن عبرها تصفح محتويات وقوائم المعجم حسب المصطلح المحرك. وتتم عملية البحث هذه عن طريق تسجيل المصطلح قيد الدرس والفهم في خانة خاصة، ثم يطلب من النظام إعطاء تفسير عنه بالإنجليزية مع مقابل له بالعربية.

المصطلح
اللغة
التفسير

عند تسجيل المصطلح في الخانة الخاصة به يختار المستعمل على اللغة التي يريد أن يستعملها إما الإنجليزية أو العربية، ثم يضغط على التفسير لتعرض له شاشة خاصة بمجموع الشروحات المدرجة حول المصطلح المسجل وباللغة التي اختار التعامل بها مع النظام.

2- أما الطريقة الثانية في البحث فتتم عن طريق تحريك قائمة من قوائم ولوائح المصطلحات المدرجة في المعجم كاملاً وهي مرتبة حسب الحروف الهجائية الإنجليزية. فإذا كانت الطريقة الأولى تعتمد على المصطلح المختار، فإن الطريقة الثانية تتيح مرونة أكثر في التعامل مع المعجم حيث تعرض شاشة تضم الحروف الهجائية الإنجليزية، وعندها يمكن للمستخدم أن يضغط أي حرف من الحروف ليظهر له النظام قوائم ولوائح لمجموع المصطلحات التي تتبدئ بذلك الحرف المحرك. وفي داخل القوائم واللوائح يختار المستخدم المصطلح الذي يريد الحصول على معلومات عنه. وفي هذه الحال يعرض له النظام أربع شاشات صغيرة، ثلاثة خاصة بالإنجليزية والثلاثة الأخرى للمقابلات بالعربية. ويمكن توضيح ذلك كالآتي:

A	B	C	D
E	F	G	H
I	J	K	L
M	N	O	P
Q	R	S	T
U	V	W	X
	Y	Z	

تحريك حرف من هذا الجدول يمكن من الحصول على لائحة المصطلحات التي تبدأ بالحرف المضغوط. ومن هذه اللائحة يمكن اختيار المصطلح بنقرة بالفأرة حيث تفتح النوافذ الأربع المذكورة:

المصطلح بالإنجليزية	مقابله العربية
الشرح بالإنجليزية	الشرح بالعربية

ملحوظة:

لقد اكتفينا بعرض الجداول عوضا عن الشاشات لأن المعجم لازال في طور الإنجاز، ونحن الآن مهتمون بالجانبين النظري والتطبيقي لنظام لقمان الذي أعد أساسا لتعليم وتعلم اللغة العربية وثقافتها للأجانب.

المراجع:

نورد هنا بعض المراجع المتممة للمراجع المذكورة في الحاشية:

1- برجس ، عزام (1992): مراكز المعلومات

دار الجليل للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق

2- بونيه، آلان (1984): L'intelligence artificielle: Promesses et réalités/

باريس طبعة Inter Edition

3- التيجي، جيهان (1997): كمبيوتر المستقبل: يرى ويسمع ويتكلم

عالم الكمبيوتر، أبريل، ص. 12-13.

4- الجابر، زكي (1999): الإعلام والتربية

سلسلة المعرفة للجميع، ع. 10، منشورات رمسيس - الرباط

5- جيتس، بيل (1995): The road ahead

ترجمه إلى العربية عبد السلام رضوان تحت عنوان: المعلزمات بعد الإنترنت: طريق

المستقبل، عالم المعرفة، ع. 231.

6- الخطيب، حسام (1998): مصطلحات النص المفرع في إطارها الدلالي والتراثي

مجلة ترجمان، طنجة، المجلد 7، ع. 2، ص 57-87.

7- رشاد، عارف (1997): تكامل عمل الوسائط المتعددة

عالم الكمبيوتر، فبراير، ص. 34-37.

8- شربيل/ مورييس (1996): القفزات العلمية الكبرى في القرن العشرين

جروس برييس - طرابلس / لبنان.

9- عمرو، عادل حسن (1996): لغة علامات هايبرتكست HTML Language

عالم الكمبيوتر، نونبر، ص. 20-22.

10- Arsac, Jeans (1988), des machines à penser: des ordinateurs et des hommes.
Seuil, Paris.

11-Bailly, Sébastien (1995), Encyclopédie Marabout du Multimédia
Ed. Marabout, Belgique.

12- Balpe, Jean Pierre (1990), Hyperdocuments, hypertextes, hypermédias-

Ed. Eyrolles, Paris

- 13-Khames, Djamel (1994), Le multimédia: du CD-ROM aux autoroutes de l'infomation
Les Ed. du Téléphone, Paris.
- 14-Téléuniversité Montréal. Rhéaume, Jacques (1996), Hypertextes et réseaux.
Ed

¹ انظر نجاة رجب بسباس (1998)، مجلة ترجمان مجلد8، عدد 2، ص36، تصدر عن مدرسة الملك فهد للترجمة، طنجة.

² انظر جهاد عبد الله (1997)، وأخيرا اعترفنا بالأعمال الصغيرة، بايت الشرق الأوسط، مارس أيار.

³ انظر أحمد شفيق (1999) منهجية وضع المصطلحات وتطبيقها، ندوة: إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلمي العربي وتوحيده وإشاعته، المنعقدة في دمشق ما بين 25-28 تشرين الأول/ أكتوبر 1999.

⁴ شارل شلهوب (1994)، الأجهزة الفائدية والوسائط المتعددة، مجلة الكمبيوتر والالكترونيات، ص. 61-62.

⁵ Dominique Monet (1995), Le multimedia. Ed. Flammarion, Paris, p.7

⁶ للتوسع حول هذه المراحل يمكن الرجوع إلى مقال لنا بعنوان « أنظمة الحاسوب فائقة الوسائط وبناء معجم لغوي ثقافي متعدد » ستصدره الجمعية المغربية للدراسات المعجمية في العدد الثاني من مجلتها.

قضية الترجمة الآلية للمصطلح الأجنبي

ذ . العياشي السنوي

(كلية الآداب ظهر المهرارز فاس)

يتناول العرض النقط التالية :

1. مفهوم الترجمة الآلية.
2. أنظمة الترجمة الآلية.
3. مصاعب الترجمة الآلية .
4. مشاكل الترجمة الآلية .
5. شروط الترجمة الآلية .

1

يقصد بالترجمة الآلية تطبيق المعلوماتية (1) في ترجمة مصطلح أو "نصوص لغة طبيعية(مصدر) الى لغة طبيعية (هدف) (2).

2

توجد الآن أنظمة للترجمة الآلية ،تباين في درجة الآليةوالشمولية ونوع المعلومات. فمن حيث درجة الآلية هناك نوعان من الأنظمة: نوع ينجز الترجمة دون تدخل الانسان وان تدخل فينسب قليلة. ونوع يتدخل في انجازه الانسان سواء قبل عملية الترجمة من اجل حصر اللغة ،او اثناء الترجمة من اجل المشاركة في الانجاز، أو بعد الترجمة من اجل المراجعة . ومعظم الأنظمة المتداولة الآن هي من هذا النوع. اما بخصوص الشمولية ، فهناك ثلاثة أنماط من الأنظمة (3) :
نمط أعد للتعامل مع لغتين فقط .
وآخر لمعالجة عدة لغات .

وثالث شامل لكل ما سبق .

اما المعلومات التي توظف في الترجمة؛ فان معظم الأنظمة تستعمل معلومات لسانية (فيلولوجية ، ومرفولوجية، وتركيبية ،ودلالية)، وقليل من هذه الأنظمة يستعمل معلومت غير لسانية من أجل تميم عملية الترجمة،مثل المعلومات العامة،وتبادل المعطيات .

الأنظمة التي تستعمل المعلومات اللسانية أنواع :

النوع الأول: أنظمة ترجمة مباشرة ، وهي حين ظهرت لأول مرة أريد بها الترجمة من لغة الى أخرى، وقد أسست على قوائم معادلة مصطلح بأخر ، ولم تكن تحلل النص المصدر الذي لا يكون ضروريا من اجل انجاز مهمتها الترجمية. النوع الثاني: أنظمة ترجمة غير مباشرة؛ وهي تعتمد على تحليل النص المصدر في سياق تحضير وسيط يظهر المعنى الضمني للمبنى ويجرد ما لا يبدو فعالا في عملية الترجمة.

النوع الثالث : أنظمة لغة الاتصال العامة ؛وهي تقدم المعنى المشترك بين كثير من اللغات بلغة محايدة، وهذه الأنظمة تقوم باجراء ات الترجمة عبر مرحلتين: من اللغة المصدر الى لغة الاتصال العامة (L interlangue) ، ومن لغة الاتصال العامة الى اللغة الهدف.

اما أنظمة النقل فتشتغل عبر ثلاثة مراحل :

المرحلة الأولى: استبدال اللغة المصدر عبر تمثيل وسائطي(Representation intermediaire) ، يكون مستقلا نسييا عن لغة الوصول .

المرحلة الثانية: استبدال هذا التمثيل بتمثيل آخر يلائم اللغة الهدف.

المرحلة الثالثة: تمرير هذا التمثيل الى اللغة الطبيعية .

وهذه المراحل الثلاث تسمى تباعا: التحليل. التحويل. التوليد أو التركيب .

والتحليل يكون بواسطة الوصف اللساني للغة المصدر ،من جهات المعجم ، والتركيب والدلالة على الأقل .

أما التحويل فيتم بواسطة قواعد تصف المعادلات المعجمية والتركيبية بين اللغات. أما التوليد فيستعمل الوصف اللساني للغة الهدف من أجل إنتاج المعنى .

الأنظمة التي تستعمل معلومات غير لسانية تتبع إحدى المقاربتين التاليتين :

أ. المقاربة القياسية (Aalogie) أو المؤسسة على العينات وهي تنطلق من فكرة مفادها أنه من السهل أن نجد أمثلة تصلح لأن تتخذ أساسا للترجمة

ب. المقاربة التي تعتمد على المعارف العامة ؛ وأصحاب هذه المقاربة يرون أن الترجمة لايمكن أن تتم بدون معلومت عامة عن الكون من حولنا (4).

3

والترجمة الآلية للمصطلح من لغة مصدر إلى لغة هدف تستطدم بسلسلة من المصاعب التي يمكن تقسيمها إلى قسمين :

القسم الأول : يرجع إلى الصعوبات التي يواجهها المترجم عندما يريد انجاز تنميط دقيق للمصطلح في هذه اللغة أو تلك .

القسم الثاني : يرجع إلى الربط الذي ينبغي أن يتم بين اللغات من أجل الترجمة الآلية للمصطلح (5) .

وتنميط المصطلح ليس عملية سهلة لأن كل لغة تبدو عبارة عن ائتلاف بين مجموعة من المباني ومجموعة من المعاني ، ويبدو فيها أوجز شكل دال قد أحال على مرجع أو أكثر، وبموجب هذا الارجاع يتنوع الكلام إلى متباين ، ومترادف ، ومشترك، ومتضاد (6)، وظاهر، وخفي لا يفهم إلا في ضوء السياق النصي أو المقامي الذي يشكل معارف المستعملين للغة . ومن هنا المشكل الأساسي؛ كيف يرصد المقام والسياق في مجال غير محدد دون تدخل الانسان. وإذا كان المصطلح، كما يقول أ.د. الشاهد البوشيخي، "كل لفظ تبين من قرائن استعماله أنه أتى به من المجال اللغوي العام ليعبر به معنى في مجال لغوي خاص " (7) ، فاته ، أي المصطلح ، قد يتغير في المعنى أثناء تداول المستعملين له،

ويتأثر بمنازعهم الفكرية، فيكتسب في الزمان والمكان وعند الفرد الواحد أكثر من دلالة وأكثر من مرجع. فبأي معنى سترجم آليا الفاظا مثل: البديع، والمدح، والبيان؛ إذا كان البديع قد تعددت دلالاته عند المستعملين: فالبديع علم البلاغة، والبديع مترع في النظم يناقض طريقة العرب، والبديع علم من علوم البلاغة؛ وإذا كان المدح، في العربية، قد ارتبط بأداب خاصة وبنمطية في التعامل مع الآخر، وإذا كان البيان قد اختلف، آليا وتطوريا، في المعنى وفي البعد المعرفي: فالبيان الدلالة، والبيان علم من علوم البلاغة، وهو يختلف معرفيا إذا تقاطع مع مفاهيم أخرى، كالمحاكات، والصدق، والكذب، والغلو، والمبالغة؛ فقد يستعمل البيان في معنى تقدم الشيء بما هو عليه أو أسوأ. ومن علماء البيان العرب من كان يقصد بالبيان قدرا معلوما من التبيين، قدرا وسطا بين العي والتفصيح، أو بين العي والبيان المذموم الذي قال فيه الرسول، صلى الله عليه وسلم: "شعبتان من شعب النفاق: البذاء، والبيان، وشعبتان من شعب الايمان: الحياء، والعي" (8). ويفهم من البيان هنا تجاوز الحد المطلوب والايان بما يسيء الى الذوق، وهو غير البيان اذي يشكل الوسط المحمود. وقد ناقش الجاحظ المسألة فقال يرد على من لم يفهم المقصود من البيان في الحديث السابق: وقد زعمتم ان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: شعبتان من شعب النفاق: البذاء، والبيان. وشعبتان من شعب الايمان: الحياء، والعي". ونحن نعوذ بالله أن يكون القرآن يحث على العي، ونعوذ بالله أن يجمع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بين البذاء والبيان، وانما وقع النهي على كل شيء جاوز المقدار، ووقع اسم العي على كل شيء قصر عن المقدار. فالعي مذموم، ودين الله تبارك وتعالى بين المقصر والغالي" (9).

وبأي معنى سترجم مصطلحات مثل: Structuralisme , Semiologie ,
Semiotique , Connotation

بل بأي معنى سترجم حتى أظهر المصطلحات وأكثرها شيوعا في الاستعمال مثل: Litterature إذا كان المفهوم يختلف باختلاف الخلفيات المعرفية، وقد يتغير مع مرور الزمان حتى عند المستعمل الواحد (10).

ان المعرفة الدقيقة للمصطلح تتحقق عبر ادراك لصورته التركيبية وللمجال الدلالي الذي يقترن بها ،ويجب ان يكون هذا المجال معروفا لدى المتداولين للمصطلح ،ويجب أن يرافق التوافق التركيبي الذي يجريه المترجم بين مصطلحي لغتين وانتقال للدلالة التي يعبر عنها تركيب مصطلح في اللغة المصدر الى تركيب مصطلح في اللغة الهدف . وهذا التوافق الذي يجريه المترجم دعى المهتمين بالترجمة الآلية الى حصر مشاكل عدة (11) قد لا تخص المصطلح فقط وانما نصوص اللغة أيضا :

4

المشكل الأول يتعلق بضرورة وجود مقولات مشتركة بين كل اللغات الانسانية ؛أو افتراض لغة مجردة تشكل مدار كل اللغات ،وتسهل عملية الترجمة الآلية .
المشكل الثاني يتعلق بخصوصيات تنفرد بها هذه اللغة أو تلك ، والتي يكون التعامل معها صعبا جدا؛ كيف سترجم آليا ما هو خاص بأفق مجال دلالي الى أفق مجال دلالي آخر وهل ذلك ممكن دوما ؟
الثالث يخص حجم المقولات الدلالية وحجم الخصوصيات الدلالية في اللغات الانسانية التي تسمح بمعرفة ما اذا كان في الامكن القيام بترجمة آلية دقيقة من لغة الى أخرى .

5

لقد القينا نظرة سريعة الى المشاكل التي يجب حلها من انجاز ترجمة آلية، ولنعرض الآن الشروط التي وضعها المهتمون من أجل انجاز أنظمة قوية للترجمة (12) ، سواء تعلق الأمر بالمصطلح المفرد أم المركب.
ويقصدون بنظام الترجمة الآلية "مجموعة اجرائية تشتغل باستقلالية تامة"(13)
الشرط الأول: وجود دال يقبل تمثيل دوال اللغات الانسانية ومن أجل أن، يصير مادة معلوماتية يتعامل بها الحاسوب بكفاءة تامة.
الشرط الثاني : وجود مدلول واضح يسمح بتمثيل مدلولات اصطلاحية في لغات أخرى، ويصلح أن يكون مادة يتعامل بها الحاسوب بكفاءة تامة .

الشرط الثالث : تحديد نظرية تسمح بوضع جامع يجمع بين النموذجين التركيبي والدلالي . وهذان النموذجان يكونان أول الأمر في حال يستقل فيه الواحد منهما عن الآخر . وهذا هو الجزء الأكثر أهمية في النموذج العام ؛ لأن دقة جهاز الترجمة وحدوده العلمية تتبع نوعية الجمع بين التركيب والدلالة .

الشرط الرابع: ءامتلاك نموذج قادر على جمع النموذجين الصوريين المحددين في لغة، وعلى أن يأخذ بعين الاعتبار خصوصيات كل لغة. خصوصيات تركيبية، مثل وجود الحرف الكبير في بعض اللغات وانعدامه في أخرى، ومثل الألفظ الإسلامية في اللغة العربية والألفاظ المسيحية في اللغات الأوروبية. وخصوصيات دلالية، مثل البعد الديني الذي هو في اللغة العربية، عند المسلمين، محور الاشتغال، والبعد الاجتماعي الذي في بعض التعبيرات اللغوية، فمثلا قول العربي في بيئة حارة:أتلج الله صدرك، لا يمكن ترجمه حرفيا الى لغات بيآت باردة .

الشرط الخامس : حصر المجالات الدلالية والتركيبية بالكيفية التي تجعل حصيلة الأغلاط في الترجمة تميل نحو الصفر، والمعجم الآلي الذي يترجم كلمة بكلمة يمثل المدى الأبعد في هذا الحصر .

الهوامش

(1) أخذ مصطلح المعلوماتية من المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص68.

(2) Pierrette Bouillon : Introduction et bref historique, in La traductique , p.15.

(3) نفس المرجع .

(4) نفس المرجع ، ص 16 .

(5) Jean-Francois Hue :Les problemes poses par la traduction automatique , in La traductique , p. 23.

(6) حول هذه المعاهيم ، انظر: البيان والترادف والمشارك والتضاد للدكتور العياشي السنوني، ضمن أعمال ندوة الدراسة المصطلحية والعلوم الاسلامية ، ج 1 ، ص 189 وما بعدها .

(7) مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين ، ص16.

(8) البيان والتبيين للمحافظ ، ج 1 ، ص 202.

(9) نفس المصدر ، وانظر : مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين ، ص116.

(10) لنلاحظ هه الظاهرة على سبيل المثال لاالحصر ونغن نقرأ مفهوم التضمين عند (رولان بارت) في: S/Z..p.

مطبعة فحالة

زنقة ابن زيدون - المحمدية (المغرب)
الهاتف: 32.46.45 (03) الفاكس: 32.46.43 (03)



لقد رسخ لدينا الاعتقاد في أن البحث في المصطلح وفي قضاياها ما ينبغي له أن يفتر على ما بذل من الجهد. ذلك لأن البحث فيه متعلق أشد التعلق بتأهيل اللغة للقيام بأنوارها كاملة في مجالات المعرفة والإبداع والعلوم، وتنمية طاقتها التعبيرية لمواكبة ركب الحضارة والإسهام فيه بنصيب. ولأنه متعلق أشد التعلق بتأهيل المثقف للنهوض بإنتاج أنواع المعرفة والعلوم بلغته وبمصطلح لغته، ولضمان حضور معتبر في شتى مجالات الإبداع الإنساني. ولأنه متعلق بمكون من أهم مكونات المعرفة العلمية وضارب في عمق من أعماقها، إذ يمكن قياس تقدم العلوم بمدى نجاحها في بناء أنساقها الاصطلاحية المتعاقبة مع أنساقها المفهومية.

ولتقف أهمية البحث في المصطلح وفي قضاياها عند هذا الحد، بل تتعداه حينما نستحضر القضايا المرتبطة بإصلاح التعليم، وبتخطيط السياسة اللغوية، وبمشاكل التعريب والترجمة، وبتعميم اللغة العربية في المؤسسات والمعاهد والإدارات وغيرها.

إن البحث في المصطلح ومعاودة النظر في قضاياها، في ضوء ما استجد من المنهج والمقاربات والوسائل والتقنيات، وفي مجال الآداب والعلوم الإنسانية بالذات، لمن شأنه أن يحقق تراكما نوعيا يتضمن إضافات جديدة وحلولا مبتكرة وتصورات علمية ناضجة.

ولعله مما يضيف على هذه الندوة أهمية خاصة أنها تعرض البحث في المصطلح وفي قضاياها في مجالين متميزين: مجال الآداب المقارن في طبيعته لمجال العلوم الإنسانية المقارن في وضعه لمجال العلوم المادية.

وسيكون من المفيد عقد مقارنات تأخذ خصوصية القطاعات المعرفية بالاعتبار. كما سيكون من المفيد التعرف على الإمكانيات التي توفرها المعطيات التقنية المعاصرة كالحاسوب ومستتبعاته لتخزين المصطلحات واسترجاعها واستعمالها....

ذ. عز الدين البوشيخي
(من ديباجة الندوة)